الحديقة النـــاصرية

في تــاريخ وجغرافيــا كردستـــان

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر – حي خانزاد – اربيل– كُردستان العراق

ص.ب رقم: ١

www.araspublisher.com

علي أكبر كردستاني

الحديقة الناصرية

في تاريخ وجغرافيا كردستان

ترجمة: جان دوست

اسم الكتاب: الحديقة الناصرية في تاريخ وجغرافيا كردستان
تأليف: علي أكبر كردستاني
ترجمة: جان دوست
من منشورات ئاراس رقم: ١٤٠
التصميم والإخراج الفني: عبدالرزاق عبدالله
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تصحيح: شاخوان كركوكي
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - اربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٢٠٠٢/٢٠٩

مدخل

بين أيدينا ترجمة كتاب الحديقة الناصرية في تاريخ وجغرافيا كُردستان، وهو أحد الكتب التي تم تأليفها باللغة الفارسية قبل القرن العشرين عن تاريخ الكُرد ووطنهم كُردستان. ومن المفارقات المؤلمة أن الكتاب الأول (شرفنامه) الذي يعد أول كتاب خاص عن الكُرد، وتم تدوينه قبل هذا الكتاب بثلاثة قرون. كان أيضاً باللغة الفارسية. ونحن إذ نقول هذا الكلام، لا نلوم الأمير شرفخان البدليسي ولا المؤرخ علي أكبر كُردستاني، بقدر ما نحاول إثارة أسئلة إشكالية تحاول نفض الغبار عن التراث والتوغل فيه للبحث عن كنوز قد تكون مفقودة إلى الآن.

وإذا كان (شرفنامه) قد لاقى نجاحاً باهراً وأصبح مرجعاً لا غنى عنه في دراسة التاريخ الكُردي بعد أن ترجمه كل من محمد علي عوني في القاهرة والشهيد محمد جميل بندي روژبياني في بغداد إلى العربية إضافة إلى ترجمته الكُردية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على يد العلامة ملاّ محمود بايزيدي، وفي القرن العشرين من قبل الباحث والشاعر واللغوي عبد الرحمن شرفكندي (هژار). فإن من حق هذا الكتاب النادر أن يرى طريقه إلى النشر بلغات المنطقة جميعاً. لما له من أهمية قصوى في إلقاء الضوء على جزء من تاريخ الكُرد ظل مجهولاً لسنوات عديدة حيث لا نجد ذكراً لهذا المصدر في ثبت المصادر والمراجع للكتب التي تبحث في التاريخ الكُردي.

وإذا كان هذا الكتاب يبحث بشكل خاص في تاريخ بني أردلان الذين أسسوا إمارة دامت مئات السنين وانتهت في عهد الشاه ناصرالدين القاجاري شاه إيران سنة ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧ م عقب وفاة أمان الله خان الملقب بغلام شاه وهو آخر حاكم لهذه الإمارة. فإن أهميته تكمن في أنه يقدم تفاصيل دقيقة عن تاريخ الكُرد قد لا نجدها في أي مرجع آخر، فهو يلقي

الضوء مثلاً على الصراع المذهبي الذي شهدته إمارة أردلان، حيث نجد أن علماء الكُرد في (سنه = سنندج) عاصمة الإمارة وهم سنة شافعيون قاوموا بضراوة نشر المذهب الشيعي إبان حكم الوالي (غلام شاه خان) في كُردستان.

وما يلفت النظر في المؤرخ علي أكبر كُردستاني هو أنه منحاز إلى السلطة لدى تأريخه للحوادث والثورات والانتفاضات التي كان يقوم بها الكُرد. ولأنه كان موظفاً كبيراً لدى الدولة المركزية وعمل في إحصاء النفوس والقرى واستحصال الضرائب فإننا ندرك سر انحيازه المشار إليه، فهو ضد قبيلة الجاف عندما تحاول البحث عن مراعٍ تصطاف بها في ولاية كُردستان (سنندج) ويعزو تلك المحاولة التي كانت تتسم بالعنف أحياناً بسبب قمع الولاة ومنعهم، إلى نزعة الشر والتمرد المتأصلة في نفوس أفراد تلك القبيلة التي حاولت عبثاً دفع مبالغ طائلة مقابل السماح لها بالرعي ضمن حدود كُردستان سنندج، وعندما يتطرق للحديث عن ثورة الشيخ عبيدالله النهري ومؤازرة المكريين له وخاصة حمزه آغا زعيم عشيرة منگور، فإنه ينطق بلسان السلطة، بل يهتز طرباً لقتل الآغا المذكور غدراً علي يد أمير النظام حسن علي خان، ولا يخفي ابتهاجه بقطع رؤوس المتعاونين مع الشيخ عبيدالله النهري بل يصفها بالرؤوس المنحوسة وينعت حمزه آغا بأنه خميرة (فتنة) عبيدالله.

وعلى أي حال فإن أحكامنا هذه تنطلق من أساس قومي معاصر، ولا نريد أن نتعسف في الحكم على علي أكبر، فهو قد كتب الحديقة الناصرية وقاموس بدائع اللغة بدفع حبه لقومه ووطنه وصرح بذلك أكثر من مرة.

الكُرد والانقطاع المعرفي:

إننا وقد ترجمنا هذا الكتاب القيم (عن جزء من تاريخ الكُرد وجزء من وطنهم) من الفارسية إلى العربية، نحاول أن نثير إحدى أخطر القضايا التي تؤثر سلباً على الثقافة الكُردية وهي قضية (الانقطاع المعرفي) الذي نعانيه عمودياً وأفقياً، زمانياً ومكانياً، وهو انقطاع يستمر منذ مئات السنين على أكثر من جبهة ومجال. فثمة انقطاع بيننا وبين تراثنا. وثمة انقطاع بين

الناطقين باللهجات المتعددة، والانقطاع المعرفي الأخطر هو ما يعانيه الناطقون بالكرمانجية الشمالية ويتركز معظمهم في كُردستان تركيا، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تبديل الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية قد ساهم بشكل كبير في ترسيخ هذا الانقطاع وتجذيره، لأن هذا الانتقال نتج عن عقدة نقص تجاه الغرب والأتراك ولم يترافق مع مشروع شامل لنقل كامل التراث المدون بالأحرف العربية إلى اللاتينية، ولو بقي الحرف العربي أساس الكتابة في كُردستان تركيا لأضيف عامل آخر إلى عوامل التمايز عن الأتراك ولكان الحرف العربي من خصوصيات الشخصية الثقافية الكُردية غير قابل للإنكار أو الطمس. كما أن تحول قسم من الكُرد إلى الحرف اللاتيني قد خلق هوة بين الآداب الكُردية. وأضيفت بذلك حواجز أخرى كنا بغنى عنها.

ولا يعني كلامي هذا دعوة إلى العودة للحرف العربي بقدر ما يعني دعوة إلى إيجاد حل لهذه العقدة المستعصية فعلاً. فالمثقفون والكتاب الكُرد في تركيا – وقد عاينت بنفسي هذا الأمر – يقفون عاجزين عن قراءة وفهم النصوص الكُردية (سواء التراثية أو المعاصرة) المكتوبة بالأحرف العربية. وهم بذلك أميون. لأن من يعجز عن قراءة نص يعتبر أمياً في ذلك المجال بغض النظر عن درجة ثقافته ومستواه العلمي. والعكس صحيح فإن شاعراً من السليمانية يقف عاجزاً عن قراءة نص كُردي بالأحرف اللاتينية ناهيك عن عدم فهمه لهجة ذلك النص. وبذلك يبقى القراء محرومون في كلا الطرفين من قراءة ما ينتجه الطرف الآخر. ويزداد الموقف صعوبة والحل استحالة بتمسك كل فريق بحرفه. دون البحث بجدية ومسؤولية عن مخرج سليم للمأزق الذي دخلته الثقافة الكُردية منذ عدة عقود.

ومما يؤسف له أيضا أن ثمة انقطاعاً معرفياً بيننا وبين تراثنا الذي ساهم في خلق هويتنا الثقافية الخاصة. فنحن ورثة أسلاف تركوا لنا ثمرات إبداعهم ونتاج عقولهم. ومع أن تراثنا الثقافي المدون ضئيل جداً قياساً إلى تراث جيراننا من الشعوب العربية والفارسية والتركية فلا صلة بيننا وبينه على المستوى الفاعل وليس للتراث الكُردي أثر يذكر – إلا في مجالات محدودة جداً – في تطوير الثقافة الراهنة، ولكي نبتعد عن دائرة التبجح بما فعله الأجداد ونسلم من مرض (العيش في الماضي) نقول: إننا لا نريد أن نعود إلى الوراء

إلا لكي نستكشف ونجري حفريات معرفية تفيدنا في وقتنا الحاضر وتساهم في خلق نظرية قومية عامة يفتقر إليها الكُرد. وعلى سبيل المثال فإن ما كتبه علي أكبر كُردستاني جزء من التاريخ الكُردي العام، ويحتم علينا الواجب أن نقيم بيننا وبينه جسوراً تحقق التراكم المعرفي وبذلك لا نبقى معلقين في الهواء بدون جذور.

من جهة أخرى أود التنبيه إلى ضرورة اعتبار التراث الإسلامي الفكري مبعث افتخار الكُرد فليس ذلك التراث حكراً على أمة معينة، لأن كل الشعوب الإسلامية ساهمت في خلقه ومن حقها أن تنتمي إليها وتنهل منها.

إن الكُرد دخلوا الاسلام طوعاً وكرهاً منذ أكثر من ألف وثلاثمئة عام شأنهم في ذلك شأن العرب والفرس والأتراك والبربر وغيرهم. وأصبحوا منذ ذلك التاريخ جزءاً من أمة كبيرة تاريخها تاريخهم ومصيرها مصيرهم. وهكذا فالكُرد معنيون مثل غيرهم بالاحتفال بألفية ابن رشد أو الفارابي أو ابن سينا أو الغزالي. كما أنهم معنيون بالفكر الاسلامي المتعدد المشارب، فأمر الخوارج يهمهم، وكذلك أمر المعتزلة والشيعة ومسألة الشعوبية... والخلافة... واستبداد الأمويين وغير ذلك من المسائل التي تخص شعوب الإسلام جميعاً.

وليس معنى كلامي هذا الدعوة إلى أممية إسلامية تلغي الوجود القومي المستقل للكُرد فتلك دعوة تضر بالكُرد وتمحو هويتهم. ولكن الغاية هي تقوية مركز الكُرد كشعب مسلم. فهم قطعة من الفسيفساء الإسلامية، ومحاولة فصل هذه القطعة عن كامل اللوحة أمر يلحق الأذى بالكُرد حاضراً ومستقبلاً لأن ذلك يعني التنكر التام لجميع ما أنجزه الكُرد معرفياً خلال تاريخهم الطويل كشعب مسلم.

ومن الأمور الغريبة دعوة بعض المثقفين إلى تخطي الإسلام وتجاوزه والقفز فوقه للوصول إلى مرحلة كان الكُرد فيها زرادشتيين. بل الأنكى من ذلك أننا نراهم يرددون أن الإسلام هو سبب تخلفنا وانحطاطنا دون أن ينتبهوا إلى أن الشعوب الإسلامية الأخرى قد استفادت من الإسلام عسكريا وثقافيا وإلخ. إن إلغاء أربعة عشر قرناً من التاريخ يعني قطع الجذور عن شجرة كُردية نشأت فوق تربة إسلامية. والبحث عن جذور ميتة لن تفيد إلا في مخابر

البحث الأركيولوجي.

إن على الباحثين الكُرد اليوم أن يتعمقوا في دراسة التاريخ والجغرافيا الإسلاميين للبحث عن الأنا الكُردية التي تناثرت شظاياها وتاهت عبر مسالك التاريخ الإسلامي الوعرة.

إنني أتساءل كيف سنتمكن من تقييم (مم وزين) أحمد خاني كمثال على الثقافة الكُردية مثلاً دون ربطه بالثقافة الإسلامية وإحالة مؤلفه الشيخ أحمد خاني إلى التراث الإسلامي ؟ إن (مم وزين) هو أحد أكثر المؤلفات شهرة لدى الكُرد وهو يعج بالمصطلحات الفقهية والصوفية والفلسفية الإسلامية، ومحاولة النأي به عن دائرة الحضارة الإسلامية يعني تفريغه من محتواه تفريغاً شبه كامل، وكذلك الحال مع معظم التراث الكُردي مهما تنوع واختلف في المكان والزمان.

إن هذه الآراء ناتجة عن عدم قراءة جدية للتاريخ، أو بالأحرى عدم فهم لآليات التاريخ لدى الشعوب. وإن مما لا شك فيه أن الإسلام قد سبب صدمات كبيرة في المجتمعات التي دخلت إليه. ولقد ترافق دخول الإسلام بالعنف في أحيان كثيرة... ولكن حديثنا يقتصر على الإسلام الحضاري الذي ساهمت كل الشعوب في بنائه بعد مرحلة الاستقرار حتى أن أبناء الديانات الأخرى كاليهود والمجوس والنصارى قد ساهموا بقسط وافر في بناء صرح الحضارة الإسلامية دون أن يفقدوا خصوصياتهم الدينية أو القومية. ولقد استدركت الشعوب ذات الخلفية الحضارية نفسها كالفرس فقام أبناؤها ببناء كيانات مستقلة ودمجوا بين تراثهم وبين الإسلام فبرزت إلى الوجود دول قومية ذات طابع إسلامي على أنقاض الإمبراطوريات القديمة. وانتعشت الثقافة الفارسية في عهد الغزنويين بشكل لا سابقة له حتى في أواخر عهد الساسانيين.

إن الإسلام بات مشجباً يعلق عليه القوميون ضيقوا الأفق فشلهم التاريخي، هؤلاء الذين يصرون وبدون برهان على وجود حضارة كُردية وأبجدية خاصة بالكُرد عشية الفتح الإسلامي لمناطقهم.

إن الكُرد مطالبون اليوم بإثبات هويتهم وكونهم واقعاً معاشاً، وشعباً

يمضي في طريقه إلى اتخاذ الشكل النهائي كأمة تحاول تخطي عتبة الألفية الثانية وتدخل الألفية الثالثة معافاة من أمراض الوهم والتعصب. ولو أدرك أولئك القوميون أن الإسلام هو أهم قاسم مشترك بين الكُرد لتخلوا عن أقاويلهم، بل ولسعوا إلى الاستفادة من هذا الرابط الهام الذي يمنع تفكك المجتمع الكُردي إلى طوائف وفرق ومذاهب شتى... كما هم مشتتون لهجوياً...

نعم إن البحث عن أصل الكُرد والمنطقة التي وفدوا منها، والحدود التي انتشروا فيها، بحث مشروع وله قيمة تاريخية تبعث على رضا الشعب الكُردي عن نفسه وتنهي قلقه المشروع بشأن انحداره العرقي ولكن هذا البحث يبقى من شؤون البحث الأكاديمي الصرف. والأهم منه كما قلنا دراسة التاريخ الكُردي والمجتمعات الكُردية عقب ظهور الإسلام. وينبغي الابتعاد عن قراءة التاريخ قراءة رغبوية، فالرغبة وحدها لا تخلق تراثاً ولا تبني تاريخاً.

إن الرغبة جعلت الكثيرين يعتقدون أن أي علم من الأعلام منسوب إلى دينور أو العمادية أو أورميه أو الجزيرة، كُردي بالضرورة، ولكن الواقع أن انتساب الأعلام إلى بلد ما لا يعني أن العلم من أبناء ذلك البلد والقومية الغالبة فيه، وربما نسب شخص إلى بلدة لإقامته فيها مدة من الزمن أو لمروره فيها أو لولادته فيها إلى غير ذلك من الأسباب، وهناك أعلام كُردية مشهورة منسوبة إلى بلدان غير كُردية مثل البغدادي صاحب هدية العارفين وهو من أبناء البابان الذين حكموا السليمانية، وهنا لا بد من التأكيد على فصل المنسوبين إلى مدينة هي كُردية حالياً عن قوميتهم، كما أنه من الضروري البحث عن خارطة ثقافية إسلامية وإدراك أن المنسوبين إلى بقعة ما ليسوا بالضرورة من أبناء تلك البقعة أو مولودين فيها... بل قد يكونون نزلاء أو مهاجرين تختلف قوميتهم عن قومية أبناء تلك البقعة، وهذه مشكلة لا بد من طرحها وإيجاد حل لها في ضوء المعطيات الجغرافية والتاريخية. وهكذا فأنا لا أستطيع الجزم بأن رجلاً نسبته الكُردي هو كُردي بالقومية وليس بالجغرافية، فقد يكون منسوباً مثلاً إلى قرية كُرد وهي من قرى مدينة البيضاء في كورة اصطخر ببلاد فارس كما هو ثابت عند الجغرافيين الإسلاميين مثل ياقوت الحموي والاصطخري، وإليها ينتسب الصوفي أبو الحسن علي بن الحسين الكُردي البيضاوي. وما دام التاريخ وكتب الأعلام يسكتون عن قومية

هذا الصوفي فلا نستطيع الجزم بكُرديته، وما نسبته هذه إلا نسبة إلى قرية وليس إلى قومية ومثل هذا كثير، إذ نصادف في فهرست ابن النديم عن مترجم في العصر العباسي اسمه عيسى بن موسى الكُردي، ولا نملك معلومات عن قوميته ولا ندري هل هو كُردي فعلاً أم أنه منسوب إلى قرية كُرد أم أنه خالط الكُرد وعاش بينهم، وكذلك الأمر مع عدي بن مسافر الذي تكتب بعض المصادر اسمه منسوباً إلى إقليم هكاري (حكاري) ثم يضيفون إليه نسبة الكُردي لأنه عاش بين كُرد لالش. بينما أصله أموي مرواني ولد في بيت فار التابعة لمدينة بعلبك في بقاع لبنان.

ولو كان هذا الأمر شائعاً لدى الأميين ومتوسطي الثقافة لغضضنا الطرف عنه، لكنه آفة أصابت المثقفين والباحثين أيضاً، وما أكثر المقالات التي تنشر عن أعلام منسوبين إلى مدن كُردية في الوقت الحاضر على أنهم كُرد، وعندما نقول (في الوقت الحاضر) فإننا نعي ما نقوله، لأن مدناً كثيرة موجودة في كُردستان وسكانها كُرد لم يكن بها أحد من الكُرد قديماً كما أن هناك مدناً أخرى كانت تعج بالكُرد فرغت منهم الآن تماماً.

نعود إلى الإشكالية التي تحدثنا عنها قبل قليل وهي إشكالية الانقطاع المعرفي ولا أقول القطيعة المعرفية، وعلينا التفريق بين المصطلحين فالانقطاع لا إرادي، لا واعي، بينما القطيعة إرادية واعية، كالقطيعة التي يدعو إليها بعض الباحثين والمفكرين العرب مع تراثهم الذين يرون فيه عبئاً يرزحون تحت ثقله الكبير وعقبة أمام تطورهم الفكري. وبغض النظر عن كوننا نؤيد أو نعارض دعوتهم تلك، فإننا كباحثين كُرد ندعو إلى خلق تواصل معرفي بيننا وبين تراثنا من جهة، وبيننا وبين تراث أشقائنا الذين يختلفون عنا في اللهجة من جهة أخرى، وبيننا وبين أشقائنا في القومية المختلفين عنا في اللهجة من جهة ثالثة...

والتراث الكُردي (بمختلف اللهجات الكُردية) وعلى الرغم من ضآلة حجمه. لم ينشر إلى الآن على نطاق كُردستاني واسع، والمثقف الكُردي يجهل تراثه، ولا مرجعية ثقافية له، وقلما تجد كاتباً كُردياً يستطيع الاستشهاد ببيت من الشعر الكلاسيكي حتى ضمن نطاق لهجته (وأخص بالذكر هنا الكتاب

والمثقفين الكُرد في تركيا وسورية). ونحن لا نلقي باللائمة على المثقف وحده وإنما نلوم في هذا المجال أيضاً المؤسسات الثقافية الكُردية العقيمة والخاملة والتي ليس لمعظمها برامج ثقافية محددة، بل هي ديكورات لها بريق زائف سواء كانت في الوطن أو الشتات. أما الهيئات السياسية فهي نائمة في كهفها لم تشرق عليها شمس الثقافة ولم تعرف في تاريخها سوى السجالات العقائدية والجدل البيزنطي الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

وللانقطاع المعرفي مستوى خطير يتمثل في أن المثقفين الكُرد لا يتواصلون فيما بينهم نظراً لظروف الجغرافيا السياسية أولاً وللحواجز النفسية المقامة في عقول المثقفين ثانياً، وفي اعتقادي أن الحواجز النفسية باتت تحتل المركز الأول من حيث الأهمية والخطورة في عصر الاتصالات الحديثة، والمثقف الكُردي الذي يقرأ ويكتب بالكرمانجية الشمالية يعجز عن التواصل مع نتاج المثقف الذي يكتب ويقرأ بالكرمانجية الجنوبية فضلاً عن الزازائية واللورية وحتى البهدينية وهي فرع من الكرمانجية الشمالية، والعكس صحيح. ومرد ذلك إلى الحاجز النفسي الذي تشكله الأبجدية التي تكتب بها كل لهجة من اللهجات المختلفة ، وهكذا فإن صدور رواية عظيمة في السليمانية أو مهاباد أو سنندج أو هولير بالكرمانجية الجنوبية مثل عدم صدورها بالنسبة لروائي من كُردستان الشمالية مثلاً – وصدور ديوان شعر جيد في اسطمبول مثل عدم صدوره بالنسبة لكُرد الجنوب، ولا يمكن التواصل إلا عبر لغة وسيطة.

ومما يؤسف له أنه ليست هناك محاولات جادة لتحطيم الحواجز النفسية ولا محاولات لتوحيد الجهود المبذولة في ردم الهوة العميقة الفاصلة بين الآداب الكُردية التي تتطور كل منها بمعزل عن الأخرى، ولنعترف بشجاعة أن هناك آداب كُردية ناهضة تنمو بمعزل بعضها عن بعضٍ ، وإذا أردنا أن نرسم ملامح عامة للهوية القومية الكُردية أو تشكيل صورة شاملة للأمة الكُردية فما علينا إلا السعي الحثيث إلى التواصل وعلى الأقل بين الهيئات الثقافية والباحثين الكُرد وإلا فإن حالة التمزق والتباعد ستستمر، وستتشكل ثقافات كُردية مختلفة يصعب دمجها مستقبلاً إن لم نقل يستحيل.

ولنعترف أيضاً أن الأنا الكُردية تائهة ومتشظية يجب لصق شظاياها حتى

تصبح (أنا متجانسة) عليها أن تفكر لتثبت وجودها حسب الكوجيتو الديكارتي: أنا أفكر إذا أنا موجود.

وعلى هذا ينبغي القيام بعملية مصالحة بين أشتات الأنا المبعثرة في التاريخ والجغرافيا واللغة والأدب. وبدون هذه المصالحة لا يمكن للأنا الكُردية أن تفكر وبالتالي تخاطب الآخر وتتواصل معه وتثبت وجودها.

إن قطعة فخار من إناء أثري لا تملك أي قيمة في سوق الكنوز إلا إذا وجدت موقعها المحدد بين قطع ذلك الإناء المحطم الذي لا يساوي شيئاً إلا إذا عاد إلى شكله السليم الكامل.

إن الكُرد اليوم مطالبون بثورة في الثقافة لا أبالغ إن قلت إنها ستكون أكثر أهمية من كثير من ثوراتهم المتلاحقة المجهضة على طول التاريخ، وإنه لمن المخجل أن نتحدث عن نهضة ثقافية كُردية بالنظر إلى كمية المجموعات الشعرية أو القصصية أو الروايات التي تنشر بين الفينة والأخرى ولا يعني قولنا هذا الحط من قدر المبدعين الكُرد الذين يساهمون في الحفاظ على اللغة الكُردية واستمراريتها، ولكن الغاية من كلامنا هي أننا بحاجة في هذه المرحلة إلى الفكر أكثر من الشعر، وإلى المعرفة أكثر من القصص والروايات التي تبقى مشروعات فردية تحمل خصوصية مبدعيها وحدهم أما الثورة الثقافية التي نحن بصدد الحديث عنها فهي مشروع نهضوي شامل يُعنى بإعادة كتابة التاريخ وقراءته بحس نقدي بناء، كما يُعنى بإعادة صياغة الذات الكُردية التي بعثرتها الجغرافية ولم يستطع التاريخ لملمتها، وفي هذا المجال يجب الاتكاء على ما أنجز على يد بعض الموسوعيين الكُرد بشكل متقطع ومنعزل، فقد كانت جهود أولئك تبدأ وتنتهي بمعزل عن الجهود الأخرى دون تأثر أو تأثير، على سبيل المثال فإن (مم وزين) أحمد خاني وهو أهم أثر كُردي بقي رهين اللهجة التي كتب بها ولم يقرأ بلغته في المناطق الكُردية البعيدة عن نفوذ لهجة ذلك الأثر الكبير، ومعنى ذلك أن عملية التراكم الضرورية للنهضة الثقافية لم تحدث وجاءت المحاولات النهضوية غير فعالة إلا في نطاق زمكاني محدود.

إن في إمكان المؤسسات الثقافية الكُردية اليوم أن ترتبط بعضها ببعض عبر شبكة محكمة من الاتصالات التي وفرها العلم الحديث، ولو غير القائمون

بأمر هذه المؤسسات من عقلياتهم القروسطية الساكنة وسعوا إلى مد الجسور وفتح القنوات والتواصل المستمر لتطورت الثقافة الكُردية تطوراً يليق بالعصر الذي نعيش فيه.

لقد ألقيت محاضرة قبل عدة أعوام في مركز ميزوبوتاميا الثقافي MKM في اسطمبول عن وضع الثقافة الكُردية الراهنة وشبهتها بالجزر المعزولة. وقلت إن سكان تلك الجزر بحاجة ماسة إلى زوارق سريعة لوصل الجزر وانفتاحها بعضها على بعض حتى نستطيع تسميتها بالأرخبيل المتجانس وما زلنا إلى الآن نحلم بتلك الزوارق.

أخيرا لا بد لي من الإشارة إلى بوادر نهضة بدأت تلوح في كُردستان الجنوبية وأن الدعم اللامخدود الذي تلقاه الثقافة الكُردية هناك لا بد ان يؤتي ثمارا يانعة في المستقبل القريب، وهنا أنتهز الفرصة لأقدم شكري الجزيل لمجلة كولان العربي لنشرها هذا الكتاب مسلسلا عبر أعدادها المتلاحقة، كما لا بد من شكر رئيس تحريرها الأستاذ حمه كريم عارف وكذلك دار آراس للنشر والأخ بدران حبيب الذين كانت لهم أيادٍ بيضاء في طبع ونشر هذا الكتاب. كما أشكر السيد صهيب حسين على تفضله بمراجعة الترجمة ومقابلتها مع النص الفارسي وأقدم شكري للصديق محسن سيدا الذي رافقني في الترجمة وساعدني في إعداد الهوامش الملحقة بالكتاب، ولا أنسى أخيرا أن أشكر حضرة الفاضل محمد رؤوف توكلي الذي أذن لي بطبع ونشر الحديقة الناصرية.

جان دوست

ألمانيا ٢٠٠٢/٥/٣٠

مقدمـــــة الباحث محمد رؤوف توكلي

الذي أعلمه أنه لايوجد سوى عدد قليل من الكتب المهتمة بجغرافيا وتاريخ كُردستان المرتبط بالقرون السالفة. وربما كان عددها يقل عن عدد أصابع المرء.

أما أول أثر قيِّم بقي إلى الآن عن تاريخ كُردستان [الأصح تاريخ الكُرد... المترجم] فهو كتاب (شرفنامه) الذي انتهى من تأليفه سنة ١٠٠٥هـ ١٥٩٦ م الأمير شرفخان بدليسي[١]. ونستطيع تسمية هذا الكتاب بـ(الهوية الكُردية) لأهميته القصوى. ويأتي ذكر الكُرد في طيات الكتب التاريخية والجغرافية المتعلقة بالشعوب الأخرى ولكن ذلك يترافق دائماً بالاعتماد على الأساطير والكتابات المغرضة. فالمؤرخ العربي المسعودي[٢] مثلاً حينما يتصدى لبيان أصل الكُرد يقول: [وأما أجناس الكُرد وأنواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم، فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن معد، انفردوا في قديم الزمان

(١) الأمير شرفخان البدليسي: ولد عام ٩٤٩هـ = ١٥٤٢م، ونشأ في الحريم الخاص للشاه الإيراني طهماسب ليدرس القرآن والفقه والأحكام الشرعية. وذلك عندما بلغ التاسعة من عمره. وبعد اعتزال والده الأمير شمس الدين سنة ٩٦١هـ = ١٥٥٣م الحكم والبلاط، اتفقت عشيرة الروزكي على إسناد منصب الإمارة إلى شرفخان. فأصبح أميراً وهو في الثانية عشرة من عمره في إقليمي ساليان ومحمود آباد من أعمال شيروان. ثم عزل عن الإمارة بعد ثلاث سنوات، فالتحق ببلاط الشاه. وعهد به إلى عناية خاله محمد ى بك الذي بادر إلى عقد خطبة شرفخان على ابنته. وبعد أن أصبح أميراً في عدة مواقع، عينه الشاه طهماسب والياً على قزوين. وبعد وفاة الشاه طهماسب وتولي الشاه إسماعيل عرش إيران، أسند إليه منصب أمير أمراء الكُرد. ولكن الأمراء القزلباش أوقعوا بينه وبين الشاه اسماعيل الذي أخرجه من البلد بحجة إسناد حكومة نخجوان إليه. وبعد سنة وأربعة شهور صدر منشور من السلطان مراد خان الثالث بإسناد إيالة بدليس إلى شرفخان... وفي سنة ٩٩١هـ = ١٥٨٣ م ألحقت ناحية (موش). بإيالة بدليس مع عدة قرى تابعة لها. وقد تنازل الأمير شرفخان البدليسي سنة ١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م لولده الأمير شمس الدين. أي في السنة التي كتب فيها كتابه التاريخي الهام (شرفنامه).

(٢) المسعودي: علي ابن الحسن المسعودي ينتهي نسبه إلى الصحابي عبدالله بن مسعود ومن هنا نسبته، لقبه الأوروبيون أفلاطون الشرق!! وهو من كبار أعلام التاريخ والجغرافيا المسلمين ولد في بغداد في أواخر القرن الثالث للهجرة، وتوفي في فسطاط مصر سنة ٣٤٦هـ = ٩٥٧م له كتب عديدة منها: مروج الذهب ومعادن الجوهر، التنبيه والإشراف، إلخ... بدأ تأليف كتابه الشهير مروج الذهب سنة ٣٣٢هـ.

وانضافوا إلى الجبال والأودية، دعتهم إلى ذلك الأنفة، وجاوروا من هناك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس، فمالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية، ولكل نوع من الكُرد لغة لهم بالكُردية. ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار، وأنهم من ولد كُرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن، وأنهم انفردوا في قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان، ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر وقد اعتصموا بالجبال طلباً للمياه والرعي فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم. ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سُلِب ملكه ووقع على إمائه [جواريه] المنافقات الشيطان المعروف بالجسد، وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن، فعلق منه المنافقات. [أي حملن منه]. فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الإماء الحوامل من الشيطان قال [سليمان]: أكُردوهن إلى الجبال والأودية [من كُرد العدوَّ إذا طرده، والمكاردة هي المطاردة والمدافعة] فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الكُرد. ومن الناس من رأى أن الضَّحاك ذا الأفواه خرجت بكتفيه حيتان فكانتا لاتتغذيان إلا بأدمغة الناس. فأفنى خلقاً كثيراً من فارس. واجتمعت إلى حربه جماعة كثيرة وافاه أفريدون بهم، وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان، فأخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل دنباوند، وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشاً ورجلاً ويخلط أدمغتهما، ويطعم تينك الحيتين اللتين كانتا في كتفي الضحاك ويطرد من تخلص إلى الجبال، فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الأكراد]*.

مايلفت النظر هنا أن المسعودي يعتبر الكُرد حيناً من العرب، ومرة من نسل الشيطان، وتارة من الناجين من جور الضحاك وبطشه. كما تقول جماعة من المؤرخين العرب: (الكُرد طائفة من الجن كشف الله عنهم الغطاء). أما الخواجه سعد الدين ابن حسين مؤدب السلطان العثماني مراد خان وصاحب كتاب تاج التواريخ باللغة التركية فإنه لاينأى كثيراً عن قافلة المؤرخين العرب

(*) مروج الذهب ومعادن الجوهر تأليف أبي الحسن المسعودي. تح محمد محي الدين عبدالحميد. ج٢ مطبعة السعادة - مصر - ط٣ ١٩٥٨ ص ١٢٢-١٢٣. ونقلنا النص من مصدره الأصلي. المترجم.

في تشويه اسم الكُرد وأصلهم[٣]. فقد نقل عنه الأمير شرفخان مايلي: (إنه

(٣) ما ورد عن أصل الكُرد لدى المؤرخين الإسلاميين ليس من باب تشويه سمعة الكُرد، ولكن حدث ذلك لأسباب اقتصادية وسياسية. يقول المستشرق آرشاك بولاديان في كتابه (الكُرد حسب المصادر العربية – ترجمة: خشادور قصباريان، عبدالكريم أبا زيد): إن نشوء فرضية الأصل العربي للكُرد كانت على الأرجح تستهدف أبعاداً سياسية، فعن طريق تلك الروايات والمزاعم، جرى مداراة جزء من الكُرد، للتخفيف من علاقات العداء تجاه الفاتحين العرب، وهذا بدوره كان يسهل استجرار الكُرد للمساهمة في الحياة السياسية والعسكرية للخلافة الإسلامية، كما أن تلك الرواية (الفرضية) ساعدت من جهة أخرى على مضاعفة الوزن السياسي والاقتصادي للعرب في المناطق الكُردية. انتهى...

لقد انتبه المؤرخون الإسلاميون مبكراً إلى ضرورة البحث عن أصول الشعوب التي ضمتها الامبراطورية الإسلامية الناشئة، وتعددت الآراء بتعدد المؤرخين والجغرافيين وكان البحث عن أصل الكُرد أحد مشاغل علماء التاريخ والجغرافيا المسلمين. وبدا الكُرد حينذاك عيِّنة مثالية لشعب مبهم الأصل غامضه، ولما لم يكن للكُـرد حضارة في ذلك الوقت، بل كانت الغالبية العظمى منهم قبائل رحل وجبليين، فإنهم لـم يستطيعوا إثبات أصلهم، بل تركت المهمة للمؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين. فبرزت فرضية الأصل العربي للكُرد، حيث قال ابن عبدالبر في كتابه (القصد والأمم في أنساب العرب والعجم) إن الكُرد ينتسبون إلى كُرد بن عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا الذي كان أحد ملوك اليمن. ثم يورد هذا البيت:

لعمرك ما الكُرد من نسل فارس ولكنه كُرد بن عمرو بن عامر

ويرد هذا البيت الشعري في مصادر أخرى هكذا:

لعمرك ماكُردٌ من أبناء فارس ولكنه كُرد بن عمرو بن عامر

ونستشف من هذا البيت أنه رد على مقولة النسب أو الأصل الفارسي للكُرد التي كانت دارجة لدى بعض المؤرخين مثل ابن البلخي والمسعودي الذي أشار إلى أن الفرس يزعمون بأن الكُرد من ولد كُرد بن إسفنديار بن منوشهر وذلك في كتابه التنبيه والإشراف.

وقد أسرف بعض المؤرخين في الخيال ونسبوا الكُرد إلى الجن الذين كانوا في خدمة الملك سليمان، وهذا رأي سمج سقيم عدم الرد عليه أفضل لافتقاره إلى العقل والمنطق السليم.

وقد استطاع المقريزي في كتاب المواعظ، أن يحلل بحسه النقدي سبب نشوء فرضية الأصل العربي للكُرد فيقول: وهذه أقوال الفقهاء لهم ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك إليهم، وإنما هم قبيل من قبائل العجم، وهم قبائل كثيرة...

ومعنى كلامه، أن الفقهاء المسلمين لما أرادوا التقرب إلى الحكام الكُرد، أقنعوهم بأن لهم أصولاً عربية (والأصل العربي القرشي كما نعلم من شروط الحكم في القرون الغابرة).

ولقد استمرأ الكُرد أنفسهم تلك الفرضيات التي ترجع بهم إلى أصولٍ عربية. ومنهم حكام إمارات شمدينان وبهدينان وحكاري الذين ادعوا الانتساب إلى أصول عباسية وحكام إمارة بوطان الذين ادعوا انتماءهم إلى خالد بن الوليد... واليزيديون الذين كانوا إلى وقت متأخر يدعون انتماءهم إلى السلالة الأموية المروانية.

وثمة تفسيرات عديدة لنشوء نظرية الأصل العربي للكُرد نستعرضها فيما يلي: =

لما ذاع صيت النبوة المحمدية في الآفاق، ودوّى صدى الدعوة الإسلامية في

= يقول الشيخ محمد مرودخ كُردستاني في مقدمة قاموسه (قاموس مردوخ): يبرهن التاريخ وتشهد التجارب أن الشعب الذي يسيطر على شعب آخر يغير من أخلاق وعادات ولغة الشعب المغلوب تبعاً لطول مدة السيطرة ونفوذ الشعب الغالب. أما الباحث عزيز محمد بور داشبندي فيقول: إن شدة الشبه بين العرب والكُرد من جهة الحمية وحفظ الشرف والفروسية والبداوة (السكن في الخيام)، هي السبب في نشوء نظرية الأصل العربي للكُرد.

وللأستاذ الباحث رشيد ياسمي رأي قريب من رأي الشيخ محمد مردوخ فهو يقول في كتابه أصل الكُرد: نظراً لسيطرة العرب على كثير من الأقوام، فإن تلك الأقوام أرادت أن تخلق لنفسها نسباً يتصل بالعرب الغالبين، ومن بين هذه الأقوام الشعب الكُردي. وعلى هذا فقد اعتقد المؤرخون بصحة ذلك النسب المزعوم ويقول المستشرق الدكتور آرشاك بولاديان في كتابه القيم (الكُرد حسب المصادر العربية): إن مصطلح الكُرد كان يعني – علاوة على المعنى السلالي– مربي المواشي، البدوي، وهكذا فإن حمزة الأصفهاني من القرن العاشر يقول: إن الفرس قد سموا الديلميين كُرد طبرستان، وسموا العرب (كُرد سورستان). وتحت التأثير الإيراني أصبح هذا المعنى لكلمة (الكـرد) فيما بعد مقبولاً لدى المؤلفين العرب ودخـل فـي مؤلفاتهم، وقد حدث هذا على مايبدو، لأن كلمة (كُرد) كمرادف لمفهوم (مربي الماشية)، أصبحت تستخدم لتدل على تلك القبائل التي كانت حسب معيشتها تشبه الكُرد، رغم أن لها خصائص أخرى وكانت تقاليد الرعي لدى الكُرد التي امتدت قروناً، هي على الأرجح السبب الذي جعل الإيرانيين يسبغون على المعنى السلالي لكلمة (الكُرد) معنى اجتماعياً.

وفي قاموس بدائع اللغة مادة كُرد نجد أن الكُرد لفظ له معنى اجتماعي، إذ يقول الكاتب علي أكبر كُردستاني في تفسيره للفظة كُرد أنها تطلق على الأقوام التي تستوطن البراري.

وقد التصق مفهوم البداوة بالكُرد منذ القديم فصارت لفظة الكُردي مرادفة للفظة الراعي أو البدوي. وفي الأخبار الطوال ص ٢٧ لأبي حنيفة الدينوري المتوفي سنة ٢٨٢هـ أن ساسان بن بهمن أبو ملوك الفرس غضب من أبيه لما جعل الملك لابنته فاقتنى غنماً وصار مع الكُرد في الجبل – قالوا: فمن ثم يُعيَّر ولد ساسان إلى اليوم برعي الغنم فيقال: ساسان الكُردي وساسان الراعي.

ويمكننا فهم نشوء نظرية الأصل العربي للكُرد على ضوء الصراع القبلي بين العرب العدنانيين والعرب القحطانيين وهو صراع مديد أفاض فيه النسابون واستطردوا كثيراً، فكان فريق العدنانيين يدعي انتساب الفرس والكُرد إليهم مما حدا بخصومهم القحطانيين إلى الادعاء بانتساب اليونان والترك أيضاً إليهم. يقول الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) منشورات دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٦.

(ولم يكتف العدنانيون بقرابتهم للفرس والاسرائيليين، بل زعموا أن الكُرد من أقربائهم كذلك، وأنهم من نسل ربيعة بن نزار بن معد او من نسل ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل أو أنهم من نسل مضر بن نزار أو من ولد كُرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن (...) ولقد بقي هذا النسب الجديد للكُرد تشجيعاً من بعض الكُرد في أيام العباسيين وربما في أيام أواخر الدولة الأموية كذلك، فأيدوه وانقسموا أيضاً فرقاً في شجرات النسب) وكان من الطبيعي أن يجعل القحطانيون أعداء الفرس (وهم اليونان) من ذوي أرحامهم فقالوا: إن يونان أخ لقحطان (...) وكان من الطبيعي=

أرجاء العالم، واهتمت ملوك البلاد وسلاطين الممالك والأقاليم بهذه الظاهرة الجديدة، ورغبت في أن تتشرف بالخضوع إلى هذا السيد الكريم، وتقدم له

= انزعاج العدنانيين من ربط نسب قحطان بيونان، فانبروا للرد عليه، فقال أحدهم وهو أبو العباس الناشئ:

وتخلط يوناناً بقحطان ضلَّةً لعمري لقد باعدت بينهما جدا

وأضاف القحطانيون الأتراكَ إليهم أيضاً).

ولو لم يكن بين العرب والكُرد تشابه كبير في نمط المعيشة لما كان بالإمكان أن يعتبرهم العدنانيون عرباً، فهاهو ابن حوقَل يقول في صورة الأرض عن الكُرد: (ومذاهبهم في القُنية والنجعة مذاهب العرب) أما النجعة فهي الترحل وأما القنية فهي التملك.

وكما قلنا: فإن النسب العربي وخاصة العدناني لاقى صدى مقبولاً لدى الكُرد لأن عدنان كانت أشرف قبائل العرب وكان الرسول عدنانياً قرشياً، وانحصرت الخلافة في قريش ولو أن الأمر كان مجرد تشويه للأصل الكُردي لما كان المؤرخون والنسابون ينسبون الكُرد إلى العرب، لأن الانتساب إلى العرب مفخرة وليس تشويهاً، وعلينا ألا نقرأ التاريخ بعيون معاصرة أو نظرة راهنة. فلقد رغبت شعوب كثيرة في الانتساب إلى العرب لما في ذلك من مصلحة كبرى لهم مثل البربر الذين يقول عنهم ابن خلدون: (وأعجبوا بالدخول في النسب العربي لصراحته وما فيه من المزية بتعدد الأنبياء ولا سيما نسب مضر.).

ويقول الحسن بن داود البشنوي الكُردي المتوفي سنة ٤٦٥هـ وهو ابن عم صاحب فنك:

مفاخر الكُرد في جدودي ونخوة العرب في انتسابي

فالنسب عربي إذاً ولكن القومية هي الكُردية.

أما ابن خلدون فقد اختصر رأيه في هذه المسألة قائلاً: (وقد قيل أن الكُرد والديلم من العرب، وهو قول مرغوب عنه).

ويقول صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري:

(إن الكُرد وإن دخل في نوعهم كل جنس، فإنهم جنس خاص من نوع عام)× ومعنى قوله أن الكُرد جنس (قومية) من البشر، لاينفردون بهذا الاسم، بل تسمى كثير من الأقوام الأخرى كُرداً نظراً لظروف معيشتها، وخصائصها الاجتماعية كما بين ذلك حمزة الأصفهاني الذي سمى العرب كُرد سورستان [سورية وجزء من العراق] وسمى الديلم كُرد طبرستان.

مما سبق نستنتج مايلي:

١- نشأت نظرية الأصل العربي للكُرد لأسباب سياسية واقتصادية، منها محاولة احتواء الكُرد وضمان ولائهم للدولة الإسلامية.

٢- نشأت نظرية الأصل العربي للكُرد في خضم الصراع القبلي العربي بين الفرعين الكبيرين (العدناني والقحطاني).

٣- كان للكُرد المصلحة الكبرى في ادعاء النسب العربي.

٤- الشبه الكبير في الحياة الاجتماعية بين الكُرد والعرب من جهة حياة البداوة وما يتبعها من خيام وماشية وانتجاع واصطياف وترحل. كان من الأسباب التي دعمت نظرية الأصل العربي.

٥- لم تقتصر لفظة الكُرد على دلالتها العرقية السلالية بل تعدت ذلك إلى تسمية كل =

الطاعة بكل إخلاص وحماس، أرسل (أوغوزخان) الذي كان من عظماء ملوك تركستان. وفداً إلى فخر المرسلين وسيد الكونين والثقلين عليه السلام، وكان على رأس الوفد شخص يدعى (بغدوز) كريه المنظر، قبيح الصورة، أسود الجلد. فلما وقع نظر النبي عليه الصلاة والسلام على هذا المبعوث انزعج ونفر منه نفوراً شديداً. وعندما سأله الناس عن قبيلته وعشيرته قال: أنا من الكُرد. فعندئذ دعا عليه النبي قائلاً: لا وفق الله تعالى هذه الطائفة إلى الوفاق والاتحاد. وإلا فإن العالم يهلك على أيديهم)*.

الذي نلاحظه في الروايات السابقة أنها لاتملك أي قيمة تاريخية، وبإمعان الفكر قليلاً يدرك المرء زيفها. وخاصة الرواية الأخيرة للمؤرخ التركي الذي يدعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على الكُرد جميعاً بعدم الوحدة بسبب نفوره من منظر مبعوث أوغوز خان، في حين أن إحدى خصال الإسلام هي محاربة التمييز العنصري. والتقوى وحدها تقرب العبد إلى الله وليس حسن الصورة وجمال الهيئة. وإلا فكيف نال بلال الحبشي الأسود تلك الحظوة عند رسول الله؟ لقد ركز الأنبياء جميعاً على أفعال الإنسان دون النظر إلى أشكالهم. وكانوا يدعون الله دائماً أن يصلح أحوال عباده ويهديهم. إن الكذب على رسول الله ليس شيئاً مستحدثاً لأن خصوم الإسلام اختلقوا روايات كاذبة وأكثروا من الإسرائيليات وادعوا أنها أحاديث نبوية. ولحسن الحظ فقد نهض المحدثون المسلمون وبينوا زيف تلك المرويات.

لقد راجت الوقائع المزيفة عن الكُرد في مختلف أدوار التاريخ. والمؤرخون غير الكُرد تحدثوا بشح عن الخدمات التي أسداها الكُرد إلى الإسلام والثقافة العالمية. ولم يريدوا أن يكتبوا أن أبناء الأثير والدينوري والشهرزوري

= شعب بدوي كُرداً كما لاحظنا عند حمزة الأصفهاني.

٦- إن خوض المؤرخين العرب والنسابة في هذه القضية واتفاقهم على أن الكُرد من أصل عربي، ليس من باب الصهر القومي، بل هو نتيجة منطقية للمناخات التي تحدثنا عنها آنفاً.

٧- بات من حكم المؤكد ونتيجة للدراسات المعاصرة أن الكُرد من الأقوام الآرية الهندو أوروبية. ولا يربطهم بالساميين أي رابطة من روابط النسب.

* نقلت ترجمة هذا المقطع من الشرفنامه. ترجمة محمد علي عوني... مع قليل من التصرف. بعد مقابلته مع النص الفارسي في الحديقة الناصرية. المترجم.

والسهروردي وابن الحاجب وابن خلكان وأخيراً الشيخ محمد عبده ومحمد كُرد علي والمفتي الزهاوي وغيرهم قدموا خدمات عظيمة للتاريخ والمعارف الإسلامية والعالمية[٤].

كيف يدعو رسول الله على قوم أنجب صلاح الدين الأيوبي الذي دحر الصليبيين وقضى على فسادهم بحسن تدبيره وسياسته وجعل العالم الإسلامي رهن مروءته وتضحياته؟

لحسن الحظ أيضاً فقد ظهر في القرن العاشر الهجري الأمير شرفخان البدليسي وأخيراً برز كل من المؤرخين الكُرد محمد أمين زكي وحسين حزني مكرياني والشيخ محمد مردوخ ورشيد ياسمي وتوفيق وهبي ورفيق حلمي وعلاء الدين سجادي وجمال نه به ز وعز الدين مصطفى رسول والملا جميل بندي روژبياني وكليم الله توحدي. بالإضافة إلى جمهرة من المستشرقين.

وظهرت حقائق في كهف (كرفتو) و(زيويه) في أطراف مدينة سقز وهكذا خرجت كُردستان من إطار الأسطورة واتضح بطلان الفرضيات التي لم تكن ذات معرفة كافية أو لم تكن مطروحة بحياد تام. وصار من المؤكد أن الكُرد آريون من سلالة الميديين الذين ظهروا في كُردستان قبل آلاف السنين[*].

(٤) من الشائع افتخار القوميين الكُرد بأعلام من أصل كُردي على طول التاريخ الإسلامي وعرضه، وبإمكان المرء أن يصادف كثيراً من هؤلاء الأعلام في بطون المصادر العربية والإسلامية، ولكن هل انتماؤهم القومي وحده بالضرورة مصدر فخر أم مدى التصاق أولئك الأعلام بهموم قومهم ؟! وعلى هذا يمكن قبول افتخار الكُرد بأحمد خاني، أما افتخارهم بأحمد شوقي فهو من باب المغالاة والعصبية الجاهلية. كذلك ليس للكُرد أن يتباهوا بالمرحوم خالد بكداش لأن أصله كُردي وبامكانهم احتساب المناضل العلامة هادي العلوي واسماعيل بشيكجي كُرديين أكثر من غيرهما.

(*) بالنسبة للآثار القيمة التي تم العثور عليها في (زيويه) فقد هُرِّبت إلى خارج إيران ولم يبق منها سوى القليل في متحف ايران المحلي. راجع كتاب (دوران بن خبري ياغارت كنجينه ى زيويه) رشيد كيخسروي... م. توكلي.

مواصفات الكتاب:

قمت بمقابلة نسختين من هذا الكتاب، حيث تبين أن النسختين مكتوبتان بيد المؤلف نفسه. النسخة الأولى تحمل الرقم ٦١٨٤ وهي مسجلة في المكتبة الوطنية (مكتبة ملك) طهران. غلافها من جلد الغنم المدبوغ. الورق افرنجي قياس الصفحات ١٣-٢١. الخط نستعليق [نوع من الخطوط التي ابتكرها الفرس للكتابة العربية وهو عبارة عن دمج خط النسخ مع التعليق] تحوي كل صفحة على خمسة عشر سطراً. ويقع الفهرس في عشر صفحات ومتن الكتاب في ٢٩٨ صفحة. بعد عرض الفهرس يبدأ الكتاب بهذه العبارة: بسم الله الرحمن الرحيم... حمداً لاينتهي. يليق بالله الذي خلق بقدرته سبع سموات طباقاً ومن الأرض مثلهن. وأجرى في الأرض أنهاراً صافية. وأحيا الصحارى بماء المزن... " وأنهى المؤلف الكتاب بهذه العبارة: (وآمل أن يكون عمل هذا الحقير مقبولاً لدى العلماء غير مردود. والحمد لله على إتمامه في شهر رجب ١٣٠٩).

النسخة الثانية مسجلة في المكتبة الوطنية بطهران تحت الرقم ٦٢٥ غلافها من جلد الماعز. قياس الصفحات ١٤-٢١. الورق افرنجي. عدد الأوراق ١٦١. كل صفحة تضم خمسة عشر سطراً كاملاً. الخط نستعليق. ويعود تاريخ كتابة هذه النسخة أيضاً إلى العام ١٣٠٩ هـ. عبارة الابتداء في هذه النسخة مطابقة لنظيرتها في النسخة الأخرى. ولكن النهاية تكون هكذا: (... إذا أمهلني الأجل في ما بقي من عمري وعشت في مأمن من الموت... فإنني سأكتب عن الحوادث اللاحقة في كتاب خاص إن شاء الله تعالى وإلا فرجائي من أبناء وطني الغيورين أن يسجلوا الحوادث اللاحقة لحوادث هذا الكتاب مرتبة. فالغيور هو ذلك الشخص الذي لايدع اسم وطنه عرضة للاندثار والفناء على يد الفلك الأعوج وتحت براثن الزمان).

وفي النهاية أضاف المؤلف فصلاً إلى الكتاب سماه الملحقات يبدأ بهذه العبارة (ذكرت هنا بعض الطوائف المعتبرة في مدينة سنندج. وبشكل مختصر شرحت حال بعض رجالها. حتى يكون ذلك تذكاراً للأجيال القادمة).

وبعد أن يعدد الطوائف المشهورة في سنندج ويعرف بالأشخاص المعروفين ينهي الملحقات بهذه العبارة: (وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين).

مصادر المؤلف:

استفاد المؤلف من عدة مصادر أهمها (الشرفنامه) للأمير شرفخان البدليسي وكذلك (مرآة البلدان الناصرية) من تأليف محمد حسن خان... كما أنه استفاد من كتاب (زبدة التواريخ) الذي توجد نسخة منه في المكتبة المركزية لجامعة كمبريج – بريطانيا... مسجلة تحت الرقم ٥٧٦٩. وأيضاً فقد استفاد من كتاب (لب التواريخ) تأليف خسرو بن محمد بن منوجهر الأردلاني (وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٧٧). كما استفاد المؤلف من كتاب (تاريخ أردلان) من تأليف مستورة كُردستاني [وهي الشاعرة الكبيرة والمؤرخة الشهيرة وابنة عم المؤلف علي أكبر].

نبذة عن المؤلف علي أكبر:

كما قال المؤلف نفسه في المقدمة فهو علي أكبر وقايع نكار كُردستاني [وقائع نكار لقب يعني المؤرخ ومدوّن الحوادث] وهو ابن الميرزا عبدالله منشي باشي من الطائفة القادرية في سنندج وابن عم ماه شرف خانم (مستوره) الشاعرة ومؤلفة كتاب (تاريخ أردلان).

وقد كان أيام حكومة أردلان وولاة كُردستان يعمل مستشاراً ومأموراً في الإحصاء وجباية الأموال بالإضافة إلى عمله كاتباً ومدوناً للحوادث. وحسب قوله فإن كتابه الذي بين أيدينا هو خلاصة لكتاب آخر اسمه (تاريخ الكُرد) وقد سماه بالحديقة الناصرية نسبة إلى الشاه القاجاري ناصرالدين.

ومع أنه في هذا الكتاب قد أكثر من الثناء على الشاه ناصرالدين ومدح أمراء كُردستان. فقد أظهر بين الحين والآخر نقاط ضعفهم وتحدث عن ارتكاب بعض الحكام للفظائع ناقداً إياهم ومعاتباً وقائلاً: إنني توخيت

الحقيقة وكتبت بحياد تام.

ومن الملاحظ أن المؤلف في تعريفه لبعض الطوائف الكُردستانية جانب الحياد وقام بالتجني على تلك الطوائف. كما نلاحظ أنه يقف إلى جانب الحكام حين يكتب عن الخلافات التي نشبت بين العشائر الكُردية من جهة وموظفي ملوك إيران وحكامهم المنتدبين من جهة أخرى. ولم يظهر تأييده لأعمال تلك العشائر إلا نادراً. وقد وقع أغلب مؤرخي عهود الاستبداد في هذا المطب ولم يكن مؤلفنا وحيداً في هذه النقيصة. وعلى أي حال فإن هذا الكتاب يعتبر مصدراً قيماً لمن يرغب في الاطلاع على كُردستان وماضيها، فقد توخى المؤلف الدقة في المعلومات التي بثها في كتابه كما أنه استطاع أن ينقذ جزءاً هاماً من تاريخ كُردستان من خطر النسيان.

وقد اعتمد المرحوم آية الله مردوخ على هذا الكتاب فاقتبس منه معظم معلوماته الجغرافية وما يتعلق بتاريخ أمراء أردلان. وذكر كل ذلك في كتابه (تاريخ مردوخ).

وإنه لمن دواعي الأسف أن هذا الأثر القيّم بقي رهن الغياب عن أنظار الباحثين. لذا فقد بادرت إلى تحقيقه وتصحيحه وطبعه ونشره ورجائي أن تقع هذه الخدمة موقع القبول لدى الباحثين. والسلام على عباد الله الصالحين.

محمد رؤوف توكلي

طهران آذار ١٩٨٥

علي أكبر كُردستاني

الحديقة النـــاصرية في تـــاريخ وجغرافيـــا كُردستـــان

يقول محمد أمين زكي في كتابه (تاريخ السليمانية) ص٢٨١ ترجمة الشهيد الملا جميل الملا أحمد الروژبياني: إن الشيخ محمد من أهل شهرزور ألف في عام ١٠٧٣ هـ وهو في مكة المكرمة كتاباً في تاريخ كُردستان ومنه نسخة واحدة فقط في المتحف البريطاني.

كما يقول الباحث عزيز محمد پور في مقدمته لكتاب (عادات ورسومتنامه كُرديه) الذي ألفه ملا محمود بايزيدي باللغة الكُردية. أن ملا محمود لم يكتف بترجمة الشرفنامه، بل ألف كتاباً في التاريخ سماه (تاريخ كُردستان الجديد) سنة ١٢٧٤ هـ الموافق لسنة ١٨٥٨ م. بدأه من حيث انتهى الأمير شرفخان.

جاء في الشرفنامه على لسان سعد الدين خواجه مؤدب السلطان العثماني مراد: إن كل واحد من الكُرد رافع رايات الاستبداد والانفراد مفضلاً الحياة الحرة المستقلة في قلال الجبال وأعماق الوهاد، لا تجمعهم سوى رابطة الشهادة الإسلامية.

وكذلك تقول الدكتورة آمال السبكي في كتابها تاريخ إيران السياسي بين ثورتين من سلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت: أنه من الأشياء المريبة في السياسة التبشيرية الأمريكية أن يتم عقد اتفاق مع حكومات كل من إيران والعراق وتركيا في أدنبرة عام ١٩١٠ ينص صراحة على حق الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في القيام بالتبشير للديانة المسيحية بين شعب الكُرد المسلمين...) وقد جددت الحكومة الإيرانية في عهد رضا بهلوي الاتفاق سنة ١٩٢٨ وكان قصد الشاه الإيراني تحقيق أهداف منها:

أولاً: التخلص من الكثافة السكانية الكُردية التي تقطن أذربيجان ايران منذ مئات السنين.

ثانياً: كسر شوكة الكُرد بتحويل الكثير منهم إلى المسيحية.

ثالثاً: تذويب الهوية الكُردية في القومية الإيرانية لإحكام السيطرة عليهم والحيلولة دون التئام شمل القومية الكُردية مع نظائرها في العراق وتركيا وسوريا... ص١١٥– ١١٦ من الكتاب المذكور. ويذكر أن مدينة مهاباد كانت مركز الإرساليات التبشيرية المسيحية.

المقدمـــــة

الحمـد لله حـمـداً لا حـدّ له يليق بالإله الذي خلق سـبع طبـاق من الأرض بقـدرته الكليـة، ورفع سـبع سـمـوات وأجـرى في الأرض المظلمـة مـاء رقـراقـاً صافياً. وأحيا الفيافي والصحارى بماء المزن.

هـو الحكيم الذي نصب في أطراف الأرض رواسي شـــامـــخـــات وتلالاً راسخات تقيها شر الزلازل.

هو القـادر الذي خلق من امتـزاج الماء والتراب شـوكاً وشـجـراً. وأظـهـر من خلال الشـوك أزهاراً. وخلق على الأشجار ثماراً. هو الرحيم الذي بعث الرسل والأنبياء لهداية الناس والشفاعة لهم.

كـمـا يليق بالمديح الخاص حـضـرة خاتم الأنبـيـاء وقـائد الأصـفـيـاء مـحـمـد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وبعد:

فإنه لم يعد خـافـيـاً لدى علمـاء العصر أن العلم أفضل جواهر الإنسـان في بحر الخلق، ولا يحصل المرء على هذه الجوهرة إلا بتـركيز الخـواطر. والأمن من المخـاطر ولله المنة أنه في عـهـد هذا السلطان العـادل... راعي الرعـيـة... افتخار الخواقين وغياث المسلمين... الملك الشـهير الميمون. الشاهنشاه المتوج... السلطان ناصرالدين شاه قاجار[٥] خلّد الله ملكه وعهده الميمون... بات الناس ينامون مطمئني البال في مـهد أمنه وسلامه. وقد راج العلم في أسواقه، فكل

(٥) هو الشـاه القـاجـاري ناصـرالدين (١٨٣١- ١٨٩٦) حكم إيران في الفـتـرة الواقـعـة بين عـام ١٨٤٨- ١٨٩٦، تجول في بلاد أوربا وسعى في إدخال المدنيَّة إلى إيران. اشتد في عهده نفوذ الأجانب عبر الامتيازات التي حصلوا عليها، مثل امتياز التبغ، وامتياز البارون رويتر لبناء السكك الحديدية والتنقيب عن المعادن والاستفادة من الغابات، ناصبه رجال الدين الشيعة العداء، وقامت الجماهير في وجهه إلى أن قتل على يد أحد أتباع جمال الدين الأفغاني وهو ميرزا رضا الكرماني وذلك في مدينة الري جنوب طهران أثناء مراسيم تقبيل يد السلطان.

من كان علمه أكثر كان مقدماً أكثر. وكل من كان فكره متنوراً أكثر علت رتبته أكثر. ولهذا فإن العوام والخواص يتخاطفون فيما بينهم كرة حسن السيرة. إذ ربما لقي الواحد منهم الحظوة لدى هذا السلطان المشجع للعلوم. ففتحت أمامه أبواب الرعاية والرحمة!!

وإن هذا العبد الملازم للأعتاب علي أكبر وقايع نكار كُردستاني نجل المرحوم ميرزا عبدالله منشي باشي جامع فتات موائد العلماء... وملتقط الحبوب من بيادر العقلاء... ظن نفسه واحداً من سلسلة هذه الطبقة من العلماء بدون وجه حق. ووضع قدمه في دائرتهم.

فلقد كنت دائم الانشغال بذكر وقائع هذا العصر، حتى تكون عبرة للاحقين. ولكن الزمن لم يمنحني الفرصـة، حـتى تسنى لي قـراءة بضع مـجلدات من الكتب القديمة والحديثة عن جغرافيا العالم. وأمعنت فيها النظر. فلم أجد فيها ذكراً عن جغرافية ولاية كُردستان. فشمرت الساعد للكتابة عن ذلك. وقد كان حب الوطن الذي هو من علامات الإيمان رفيقاً لي في مسعاي هذا. وكان هدفي أن أكتب رسالة شاملة حول وضع ولاية كُردستان وبيان حدودها وشرح مناخها والكتابة عن حاصلاتها وعدد نفوسها وتبيان مدنها وأنهارها وجبالها وطوائفها وعشايرها وآثارها الغريبة. بحيث يحصل للقراء بعد مطالعة تلك الرسالة معرفة تامة بوضع هذه الولاية. ومن الله التوفيق والاستعانة.

وأملاً مني في نيل مراحم ومكارم هذا الملك العادل الثاقب النظر، راعي الرعية، حامي الملك والدين، ماحي الظلم وقامع البدع، آية لطف الله وأساس أمن أهل هذا العصر. حارس الدولة والدين. حافظ الشرع المبين وارث تاج الكيانيين. ولي نعمة من في أصقاع إيران الفسيحة، الملك السعيد (سلطان السلاطين وخاقان الخواقين، أبو النصر والاقتدار، السلطان ناصرالدين شاه قاجار لازال للدين والإسلام ناصراً، وللكفر والأصنام كاسراً) فقد أقدمت على تأليف هذا الكتاب مسمياً إياه (الحديقة الناصرية). وآمل أن ينفع القراء من جهة الإطلاع على أوضاع كُردستان وموقعها.

وقد بدأت ببيان موقعها ثم عرَّجت على بيان أوضاعها في العصور السالفة وأظهرت الممالك التي أخضعت كُردستان لحكمها والسلاطين الذين ضموا هذه البلاد إلى ممالكهم. ثم كتبت عن جغرافية كُردستان.

الفصل الأول

إقليم ماد (ميديا)

تقع كُردستان سنندج – التي هي إحدى ولايات دولة إيران – في منطقة جبلية وتعد من ولايات إقليم الجبال[١].

(١) إقليم الجبال: هو موطن الكُرد ويقال له الجبل أيضاً. وكان الكُرد الذين يقطنون إقليم الجبال في غالبيتهم من القبائل الرحل. يقول الاصطخري: والغالب على أهل الجبال كلها اقتناء الأغنام، وعلى أطعمتهم الألبان وما يكون منه، حتى أن جبنهم يحمل إلى الآفاق (١).

وقد انتبه المسعودي إلى تأثير البيئة والمناخ على نفسية وتكوين السكان فقال: لذلك جانبوا فظاظة الكُرد وسكان الجبال من الأجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم حزون الأرض ودهاسها، وذلك أن هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلاقها مساكنها في انخفاضها وارتفاعها، لعدم استقامة الاعتدال في ارضها فلذلك أخلاق قطانها [سكانها] على ماهي عليه من الجفاء والغلظ (٢).

والمجتمع الكُردي بقي معزولاً ومنغلقاً على نفسه بسبب عدم وجودهم على ساحل بحر يمكنهم من الانفتاح والتواصل مع الشعوب والحضارات. فالبيئة البحرية هي بيئة تواصل وانفتاح أما البيئة الجبلية فهي بيئة انغلاق وانقطاع، وربما لهذا السبب لم يستطع الكُرد المحصنون بجبالهم قديماً بناء حضارة خاصة بهم، يقول الاصطخري: وليس بجميع الجبال بحر صغير ولا كبير ولا نهر تجري فيه السفن، والغالب عليها كلها الجبال (٣) ووافقه في ذلك ابن حوقل في كتابه صورة الأرض وهذا الإقليم الواسع الذي ضم الكُرد بين حدوده، كان يحيط به من الغرب أذربيجان، ومن الجنوب شيء من العراق وخوزستان ومن الشرق مفازة خراسان وفارس ومن الشمال بلاد الديلم وقزوين والري عند من يخرجهما عن بلاد الجبل(٥). وعاصمة هذا الإقليم مدينة أصفهان.

وبمقارنة ما كتب عن هذا الاقليم ومدنه، نجد هناك فرقاً في الحدود وعدد المدن عند الكتاب باختلاف زمانهم. فابن حوقل يعتبر قزوين والري من بلاد الديلم وليس من إقليم الجبال. ويعد من مدنها المشهورة: همذان، الروذراور، رامن، بروجرد، الكرج، المرج، فراونده، نهاوند، قصر اللصوص، أسد آباذ، دينور، قرميسين، طزر، حومة، سهرورد، شهرزور، زنجان،أبهر، سمنان، قم، قاشان، روذه، بوسته، خان لنجان، بارمه، الصيمرة، نواحي السيروان، دور الراسبي، الطالقان،أصبهان.

وعند القلقشندي نجد أن أربيل [إربل] مدينة من بلاد الجبل محدثة وكذلك نجد قصر شيرين، وجولمرك، والعمادية وفي مختصر كتاب البلدان: "وما ينسب إلى الجبل وليس منه: الري وأصفهان وقومس وطبرستان وجرجان وسجستان وكرمان وقزوين والديلم والبير والطيلسان(١).

ولا يعني اعتبار إقليم الجبل موطناً للكُرد أن سكان ذلك الإقليم كانوا كلهم من الكُرد. بل إن تسمية الإقليم باسم الجبل أو الجبال هي تسمية جغرافية جاءت نتيجة حاجة الدولة الإسلامية =

وحسب قول المؤرخ (تيودور)[٢] الذي جمع أخبار (أكتزياس)[٣] اليوناني الذي كان كبير الأطباء وطبيباً خاصاً للملك الإيراني (بهمن)[٤]. وقد عاش في بلاطه سبعة عشر عاماً. كتب خلالها تاريخ إيران وما جاورها وقد سمى كُردستان وسائر بلاد الجبال باسم (ميديا)[٥]. كانت ميديا قسمين حينذاك:

= إلى تنظيم الولايات لجباية الخراج. ولقد كان الكُرد متناثرين في أصقاع شتى من الامبراطورية الإسلامية حسبما تشير إلى ذلك المصادر الإسلامية التاريخية والجغرافية. مثل أذربيجان وخوزستان وهما إقليمان متاخمان لبلاد الجبل. كما أن التقسيمات الجغرافية لدى قدماء الجغرافيين المسلمين لم تخضع للاعتبارات العرقية.

وغايتنا من هذا الكلام هو نفي قدسية الحدود القومية وعدم الاعتماد على التاريخ وحده في تثبيت حدود كيان قومي معاصر. لأن ذلك يخلق إشكالات عديدة تتعلق بترتيبات جديدة في كل أنحاء العالم. إن رسم الحدود القومية بالرجوع إلى التاريخ فقط هو عمل خطير قد لايكون في مصلحة القوميات التي تطالب بكيانات مستقلة.

(٢) تيودور: هو تيودور الصقلي، عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وهو مؤرخ يوناني كتب التاريخ القديم في اربعين جزءاً، لم يصلنا منها غير خمسة عشر جزءاً. المنجد في اللغة والأعلام.

(٣) أكتزياس: Ctesias طبيب ومؤرخ يوناني كتب كتاباً تاريخياً موسعاً سماه (persixa) وكان معاصراً للطبيب الشهير أبقراط. أسره الجيش الفارسي، وأخذه داريوش الثاني إلى بلاطه ثم انتقل إلى بلاط أردشير الثاني وقضى سبعة عشر عاماً هناك. استفاد منه الملك الفارسي كمترجم مع اليونانيين ذهب سنة ٣٩٨ ق.م إلى سبارتا بأمر من الملك ثم عاد إلى بلاده اليونان. وهناك أراد الحط من شأن المؤرخ الكبير هرودوتس فكتب مذكراته، وخص تاريخ ميديا بقسط وافر من كتاباته. فقال إن الآشوريين احتلوا ميديا وبابل في عهد نينوى واحتلوا باكتريا في عهد سميرأميس وحكم الآشوريون ميديا لعدة قرون ولم يحدث شيء يذكر ولكن فيما بعد طرد ارباك (Arpakes) الذي كان حاكماً من قبل الآشوريين مع بلسيس. ولقد قاوم ملك الآشوريين ساردانابل ببسالة، وفجأة انشق الباكتريون عن الآشوريين وانضموا إلى هارباك [ارباك]. ومن ثم بدأت الدولة الآشورية تضعف وتتدهور(٢).

(٤) بهمن: هو الملك الفارسي أردشير الثاني الذي خلف نسيبه شاهبور في عرش الامبراطورية وعزل بمسعى من أشراف المملكة. ولكن أردشير الثاني هو من سلسلة الملوك الساسانيين الذين جاؤوا بعد الميلاد. وما يحدثنا به علي أكبر وأيضاً كتاب ميديا سابق للميلاد ففي الأمر خطأ ما.

(٥) ميديا: اختلف في أصل تسمية ميديا، فقال بعضهم وهم الأساطيريون أن سكان بلاد ميديا من نسل مادي بن يافث بن نوح، وفي التوراة يرد اسم بلاد مادي مترافقاً دائماً مع بلاد فارس فيقال بلاد مادي وفارس.

والنظرية الأخرى وهي الأصح أن معنى كلمة ميديا هو وسط... وسميت ميديا كذلك لتوسطها بين بلاد فارس وآشور، وما زالت هناك كثير من الكلمات في اللغات الأوروبية مشتقة من الجذر (Mid،Med) بمعنى وسط، فالعصور الوسطى بالانكليزية هي Meddle ages، والقيام بالوساطة بين خصمين هو Mediation ويقول مؤلف كتاب ميديا إ.م. دياكونوف في هوامشه: إن كلمة MADA السومرية مشتقة من كلمة MATU الأكدية السامية. =

(ميديا الكبرى) وكانت تضم كُردستان وما جاورها وعاصمتها آكباتان – همدان الحالية. وميديا الصغرى التي سميت (آتروباتن) وهي أذربيجان الحالية. وقد استقل (آرباس)[٦] بحكم قسمي ميديا بالإضافة إلى أقاليم بارس وباختر[٧] وبابل ومناطق كيلان وغيرها.

وكان (آرباس) هذا رجلاً شجاعاً حصيف الرأي. وفي أول أمره كان قائداً لمئة ألف من الجنود الميديين الذين تكفلوا بحماية مدينة (نينوى)[٨] عاصمة الضحاكيين [الآشوريين]. عندما كان (ساردانابل) آخر الملوك [الآشوريين] قد صرف همه إلى معاقرة الخمرة ومعاشرة النساء.

وبتحريض من (بلزيس)[٩] الذي كان قائداً لمئة ألف من البابليين. شق

= ويقول إن كلمة الميدي باللغة الآشورية هي Amadai، Medai وMatai وباللغة العيلامية الحديثة Matape وباللغة العبرية القديمة Madai وباللغة الفارسية القديمة Mada وباليونانية القديمة Medoi وMadoi وبالأرمنية القديمة Mar-k. وهذه الكلمة هي إحدى سمات الأسماء الجغرافية ذات الأصل العرقي وليست لها جذور واضحة في اللغات الايرانية. ومع ذلك فقد انتشرت الكلمة بين كل الذين كانوا يتكلمون اللغة الايرانية في تلك الأراضي في القرن التاسع قبل الميلاد. ويضيف دياكونوف قائلاً: إن كلمة آماداي أو ماداي المذكورة في المصادر الآشورية مع الكلمات السابقة كلها تأتي بمعنى المحارب أو المقاتل أو المتمرد الجبلي(٢).

(٦) آرباس: هو آرباك او هارباك أحد كبار رجال ميديا اعتبره المؤرخ اليوناني اكتزياس (كتسياس) محرر ميديا، بدلاً من كياكسار المتفق عليه لدى جمهرة المؤرخين.

(٧) باختر: أو باكتريا أو Bactra عند اليونان، وبالفارسية القديمة باخترش وكانت في الواقع تطلق على الإقليم، وفي الفهلوية باخل أو بهل، وهي على الشاطئ الجنوبي لنهر جيحون. وسميت بلخ فيما بعد، وقد كانت العاصمة السياسية لولاية خراسان القديمة ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان. وتذهب الأساطير الإيرانية إلى أن منشئ هذه المدينة هو كي لهراسب، وتربط الأسطورة بين نشأة بلخ ونشأة الديانة الزرادشتية ويذكرنا هذا بأن أهمية بلخ التاريخية ترجع إلى عهد الأخمينيين. إذ كانت في ذلك العهد مقر والي خراسان، كما كانت مدينة مقدسة(١).دمرها التتار في عهد جنكيزخان.

وتزعم الروايات أن زرادشت قتل في بيت نار بمدينة بلخ على يد الطورانيين حوالي ٥٨٣ق.م.

(٨) نينوى: عاصمة بلاد آشور، تقع أطلالها في الموصل. احتلها الجيشان الميدي والبابلي وقتلوا وسلبوا كثيراً سنة ٦١٢ ق.م. وبذلك قضوا على أكبر امبراطورية في العالم ذلك الوقت. وفي كتاب (ميديا) للمؤلف: دياكونوف وصف قريب من الذي نجده في الحديقة الناصرية للهجوم على نينوى وتخريبها على يد الاتحاد البابلي الميدي.

(٩) بلزيس أو بلسيس، قائد بابلي اعتبره المؤرخ أكتزياس ملكاً لبابل، يقول دياكونوف إن الملكين اللذين شاركا في إسقاط نينوى هما البابلي نيوبلاسر والميدي كياكسار ويقول دياكونوف أيضاً: إن أكتزياس يعرف بأن دولة آشور قضي عليها باتحاد ملوك بابل وميديا وبناء عليه ذكر =

آرباس عصا الطاعة على الملك (ساردانابل) وجمع ثلاثمئة ألف من الجنود العرب والبابليين والبارسيين من الذين كانوا يحمون العاصمة (نينوى). وضم الجميع إلى جنوده المئة ألف ثم سار بهم بعيداً عن نينوى. ونصب خيامه حول أسوارها. ثم اشتبك مع جيش ساردانابل في ثلاث وقعات حالف النصر في جميعها الملك [الآشوري] وانهزم آرباس هزائم منكرة. حتى أنه في الوقعة الثالثة سقط جريحاً وفرَّ باتجاه بابل.

وذات ليلة من الليالي دأب (بلزيس) البارع في علم التنجيم حتى الصباح على مراقبة حركة الكواكب والنجوم والتأمل فيها، إلى أن استنتج أن (آرباس) والجيوش المنهزمة التي كانت تحت إمرته. لو قاوموا خمسة أيام أخرى لحصلوا على مبتغاهم وانتصروا على الملك (ساردانابل). ثم قام بجمع الجيوش المتفرقة وأعطاهم الضمان بالظفر.

وعندما بزغت شمس اليوم الرابع... شاع خبر مسير جيش من باختر مؤلف من مئة ألف جندي بقيادة (سام نريمان) باتجاه (نينوى) بقصد الدفاع عنها.

ولما اقترب ذلك الجيش من معسكر (آرباس). قام آرباس فيهم خطيباً وألقى كلمة في غاية الفصاحة والبلاغة، شرح فيها أفعال (ساردانابل) عندئذ انقلب ذلك الجيش القادم لحماية نينوى إلى صفوف الجيوش المتحالفة تحت لواء (آرباس) وهجموا هجمة رجل واحد على (ساردانابل) المغرور بانتصاراته في الوقعات الثلاث والثمل بخمرة الغفلة، وحالما سمع الأخير خبر الهجوم. انتخب خيرة رجاله واندفع بهم إلى ميدان الحرب حيث انهزم بعد قتال عنيف وتحصن خلف أسوار نينوى مسلماً قيادة جيشه إلى (سليمان) أخي زوجته. دافعاً إياه إلى ساحة المعركة حيث قتل فيها. ولكن المهاجمين لم يستطيعوا دخول "نينوى".

مضت ثلاثة أعوام والجيوش المتحالفة تحاصر نينوى دون أن تفتح أبوابها وبحكم القضاء وبعد انتهاء الأعوام الثلاثة فاض ماء النهر [دجلة]. فانهدم من السور مقدار ثلاثة آلاف وستمئة ذراع. مما مكن جيش آرباس من اقتحام

= أسماء الذين شاركوا في الأحداث لكنه ترك الأسماء الضرورية وذكر بدلاً عنها أسماء قادة ميديا وبابل(٢).

المدينة وفتحها. وقد أحرق الملك (ساردانابل) نفسه. بعد ذلك قام (آرباس) بارتداء خرقة السلطنة ولبس التاج الملكي وجلس على العرش واستلم زمام الحكم في الممالك الآشورية جميعاً بما فيها ميديا وبارس وبابل وباختر وعربستان.

وعرفاناً بالجميل وتقديراً لخدمات (بلزيس) فقد وضع بابل تحت تصرفه وتصرف نسله من بعده. ثم اختار آكباتان (همدان الحالية) عاصمة لملكه ونقل ماغنمه من ذهب وفضة وجواهر وأشياء ثمينة إلى عاصمته الجديدة. و(آرباس) هذا يسميه الشعراء والمؤرخون الذين ليس لهم اطلاع كافٍ على تاريخ العالم بـ(كاوا الحداد).

وحول تسمية تلك النواحي باسم (ميديا) فقد كان القدماء يعتقدون أن سكان تلك المملكة من نسل (مادي) بن يافث بن نوح عليه السلام ويعتقد البعض أن (مد) تعني (وسط) باللغة القديمة [لم يبين المؤرخ أي لغة قديمة يعني والأرجح انها اليونانية... ج. د]. ومعنى ذلك أن ميديا تشكل الحد الفاصل بين مملكتي آشور وإيران.

أما حدود (ميديا الكبرى) فهي كما يلي: يحدها من الشرق طبرستان وجزء من سلسلة جبال (كوسي). ومن الشمال مازندران وگيلان، ومن الجنوب جبل باطاق وجبال بشتكوه في لورستان ومن الغرب أرمينيا. ومع أن المؤرخين الإيرانيين والإغريق القدماء لم يصرحوا باسم كُردستان فإن القرائن تدل على أنهم أطلقوا اسم (ماتيان) على كُردستان. وعلى هذا فأينما ورد اسم (ماتيان) كان المقصود به كُردستان الحالية. وجدير بالذكر أن الحقير جامع هذه الصفحات الذي هو أنا، نقل ماسلف من أخبار مملكة ميديا عن كتاب (مرآة البلدان الناصرية) تأليف الفيلسوف الكبير حضرة السيد محمد حسن خان اعتماد السلطنة وزير المطبوعات[١٠]. ولا مفر للمؤرخ في حالة كهذه من الاقتباس عن هذا الكتاب.

(١٠) محمد حسن خان ابن علي خان اعتماد السلطنة توفي سنة ١٨٩٦م وهو أديب فارسي، ترأس دار الترجمة والطباعة في إيران، من مؤلفاته (مرآة البلدان) وهو قاموس جغرافي. و(المآثر والآثار). ترجم بعض الروايات الفرنسية [إلى اللغة الفارسية]. المنجد.

وعلى كل حال فإن سنندج التي هي من بلاد (ميديا الكبرى) تتصل جنوباً بأرض كرمانشاه وشمالاً بأرض كروس وشرقاً بهمدان وغرباً بالسليمانية التي تقع حالياً تحت سيطرة الدولة العثمانية.

وتبلغ المسافة من الجنوب إلى الشمال أربعةً وعشرين فرسخاً، ومن الشرق إلى الغرب ستةً وخمسين فرسخاً. وهي تتضمن مدينة واحدة وسبع بلدات وسبعة عشر نهراً وسبع عشرة طائفة من القبائل التي تسكن الخيام وبعضها تسكن القرى حالياً. كما تتضمن بضع جبال عظيمة أيضاً.

الفصل الثاني

سنندج

إن هذا العبد الحقير وبعد التمعن والتفحص، اختصر شرح حال مدينة سنندج والبلدان التابعة لها والأنهار والطوائف والجبال العظيمة التي فيها – وهي أيضاً سبعة عشر جبلاً – وهو يسأل الله أن يوفق قلمه إلى كتابة الحقيقة.

إن سنندج[1] التي هي دار ملك [عاصمة] كُردستان. مدينة حديثة البناء، بناها سليمان خان سليل الأردلانيين والحكام القدماء لكُردستان وذلك سنة ١٠٤٦هـ = ١٦٣٦م وقد اتفق العارفون على تأريخ بنائها بكلمة (غمها) [الهموم]. ومن الإنصاف أن نقول أن هذه الكلمة لاتناسب مطلقاً حال هذه المدينة، هذا وقد مضى على بنائها إلى حين كتابة هذه الأسطر أي شهر محرم من عام ١٣٠٩ هجري = ١٨٩١م مئتان وثلاث وستون عاماً. عرضها من خط الاستواء ثلاث وثمانون درجة، وطولها من الجزائر الخالدات[2] ست وثلاثون درجة.

وقد اعتبر صاحب الشرفنامه [شرفخان البدليسي] عرض شمال كُردستان خمساً وثلاثين درجة واثنتي عشرة دقيقة. وطول شرقيها ثمانين درجة. ويظهر

(١) سنندج: في معجم البلدان لياقوت الحموي أن سحنه بلد بالقرب من همدان. ربما تكون سنندج الموجودة في هذا الكتاب،إذ نصادف في دائرة المعارف مادة أردلان أن سحنا تسمى أيضا سنا هي قصبة أردلان. راجع الهامش ٧ الفصل السابع.

(٢) الجزائر الخالدات: في معجم البلدان. هي جزائر السعادة التي يذكرها المنجمون في كتبهم وقال البيروني: هي ست جزائر واغلة في البحر المحيط قريباً من مائتي فرسخ وهي ببلاد المغرب. ويبتدئ بعض المنجمين في [قياس] طول البلدان منها. ومعنى طول مدينة هو بعدها عن تلك الجزائر. ويقاس الطول بالدرجات. والبعض يقيس الطول ابتداءً من ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) أما العرض فمن خط الاستواء وهنا نجد طول سنندج يبتدئ من الجزائر الخالدات أي بعد سنندج عن تلك الجزائر ويبلغ ستاً وثلاثين درجة. والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ أكثر من خمسة كيلومترات.عند الفرس ٥٢٥٠ م، وعند العرب ٥٧٦٢.

أنه في هذه الحسابات كان بلا بصيرة.

وعلى أي حال وقبل أربعة عشر عاماً فإن الحقير مؤلف هذا الكتاب الذي هو أنا وحسب أمر ديوان النفوس قام بإحصاء عام للسكان. الذين بلغ عددهم آنذاك، أي عام ١٢٩٥هجري = ١٨٧٨ ميلادي أربعاً وعشرين ألفاً وأربعاً وأربعين نسمة (٢٤٠٤٤). وكان عدد البيوت خمسة آلاف وأربعمئة وثمانين بيتاً. ومن المعتقد أنهم الآن ازدادوا بمقدار ألف بيت أي حوالي ستة آلاف نسمة.

تقع قلعة الحكومة في هذه المدينة على قمة تلة وترتفع أسوارها عن المدينة من الأطراف الأربعة مقدار عشرين ذراعاً. وهي تشرف على كامل المدينة. ويوجد في هذه القلعة حمامان وسبعة أحواض للمياه. وسنفصل أحوال المياه في المدينة قريباً.

ولقد كانت عاصمة كُردستان قبل بناء هذه المدينة هي قلعة (ظَلَم) الواقعة في مدينة شهرزور. وكان (كلول) ابن (أردلان) حينذاك حاكماً عاماً لكُردستان كما كانت حدود ملكه تمتد من همدان شرقاً إلى أربيل غرباً. وتقع أربيل على بعد اثني عشر فرسخاً من الموصل. ثم تمتد الحدود إلى زنجان شمالاً وكرمانشاه وسقز جنوباً. وكانت مدينة السليمانية الحالية التي كان اسمها وقتذاك (شهربازار) تحت تصرف ذلك الحاكم بالإضافة إلى مدن (كوي والعمادية وروانذوز وشهرزور) كما كانت (كروس) التي كان اسمها (زرين كمر) والداخلة في الحدود الشمالية لكُردستان جزءاً من ممتلكات كلول بن أردلان.

لقد قام المغول والتتار الذين استولوا على إيران بحملات عديدة على كُردستان، ولكنهم لم يظفروا بشيء. ولم يستطيعوا الاستمرار في إقامة حكومة دائمة هناك. كما أن شجاعة الكُرد وذكاءهم في زمن سيطرة الإسكندر على إيران كانت سبباً في تحرير تلك البلاد ورعاياها من قبضة قواد وخلفاء الإسكندر. وفي المدة القصيرة التي حكمت فيها جيوش الإسكندر هذه المناطق، لم يستطع القواد أن يحكموا فعلياً سوى مقرات إقاماتهم ومعسكرات جنودهم فقط.

لقد قام الحاكم كلول بنقل العاصمة من قلعة (ظلم) إلى قلعة (پلنگان) التي تبعد اثني عشر فرسخاً عن سنندج الحالية. وبنى هناك قلعة في تمام الاستحكام كما بنى قلعتين أخريين في (مَريوان) و(حسن آباد). وذلك على قمتي أعلى جبلين بحيث لايشرف عليهما شيء.

وقد كانت كل واحدة من هذه القلاع الثلاث بالتناوب وحسب الظروف عاصمة لكُردستان. أما قلعة پلنگان فقد بنيت في مكان شديد الوعورة بحيث عُدت من القلاع المحكمة في العالم. ولم يستطع أي من سلاطين تلك العصور فتحها وكانت تسكن فيها طائفة (الگوران) التي هي من الطوائف الشهيرة في كُردستان[٣] وفي عام ٩٩٨ هجري = ١٥٨٩م انتقل حكم ولاية كُردستان وراثياً إلى (هلوخان) وهو من السلالة الأردلانية. وقد قام بزيادة استحكام قلعة (پلنگان) والقلعتين الأخريين. بحيث أصابه غرور شديد من منعة تلك القلاع الثلاث فلم يخضع لحكم أي ملك من ملوك زمانه.

وفي عام ١٠١٢ هجري = ١٦٠٣م عزم (حسين خان) حاكم لورستان على قتال (هلوخان) فقصد كُردستان. وحاصر قلعة (حسن آباد) التي كان يشتي فيها (هلوخان). ومع ان مَن كان في معية هلوخان كانوا نفراً قليلين لم يستطع حسن خان فعل شيء بل هُزم شر هزيمة ولاذ بالفرار حيث تعقبه

(٣) يعتبر الگوران أن نسبهم ينتهي إلى بهرام كور أو بهرام جوبين الذي اعتلى عرش الامبراطورية الساسانية (٤٢٠ - ٤٤٠م) الذي يقول شرف خان أنه كان كُردياً يرجع إليه نسب الكرتيين والسلاطين الغوريين في العهد الإسلامي(١). وعقيدتهم هي عقيدة (أهل الحق) أو (علي اللهي) كونهم يغالون في الإمام علي. وهم يسكنون كرمانشاه ونواحيها. ويتوزع الباقون على طهران وقزوين وهشتگُرد في غرب طهران. وفي ميانداوآب وماكو في أذربيجان الغربية (كُردستان الشرقية) ويعتبر نهر سيروان قبلة لهم. وهم يعتقدون بالتناسخ وأن الحشر يوم القيامة سيكون في سهل شهرزور (السليمانية). ولهم كتاب ديني مقدس يسمى (سرانجام) باللهجة الگورانية الكُردية، وهم يسمون في العراق بالكاكائيين(٢). ويعتبرهم البدليسي أحد الفروع الأربعة الكبيرة التي تشكل في مجملها مجموع الشعب الكُردي مع اللور والكلهور والكرمانج(٣). وفي بدائع اللغة أن والد (كُرد) الذي هرب من بطش الضحاك استقر في كُردستان ونسي لغته الأصلية. ولما وصل مدينة كوراب سكنها واكتسب قليلاً من لغتها التي هي الفارسية القديمة. ثم عاد إلى كُردستان واقترن باحدى الجنيات. وتكلم لغة مزيجاً من لغة كوراب واللغة العربية. وبمرور الزمن تحولت لفظة كوراب إلى گوران (٤). ويضيف علي أكبر أنه قد تفرعت عن الگوران سبع طوائف لاعلاقة لها بالگوران منها طائفة المردوخيين.

الجيش الكُردستاني مسافة أربعة فراسخ وقتل مايقرب من الألف من جنوده.

ولما كان الشاه عباس يحكم إيران في ذلك الوقت، فقد أزعجته حركات (هلوخان) فأعد جيشاً جراراً لاحتلال كُردستان وتأديب حاكمها. وقد تقدم ذلك الجيش حتى وصل إلى مشارف إسفند آباد.

وقد كان هناك رجل اسمه (آلي بالي) من قبيلة (زنگنه) يعمل خادماً خاصاً للشاه عباس. وقد رأى هذا الرجل أن قرار الشاه بقتال هلوخان قرار خاطئ. فذهب إلى مقر السلطنة وأقنعه بالعدول عن ذلك فاقتنع الشاه وبدأ يخطب ود (هلوخان) الذي لم يتوان بإبداء الرغبة في إطاعة الشاه. فأرسل ابنه أحمد خان مع الهدايا اللائقة إلى بلاطه. حيث أصبح محط ألطاف الشاه وتكرماته. بل زوّجه من ابنته (زرين كلاه). وهكذا كسب الشاه ولاءه للتاج الصفوي وأخذ منه العهد بأن يبعث والده (هلوخان) إلى البلاط حالما تطأ قدماه أرض كُردستان. ووفى الابن بوعده الذي قطعه للشاه فأرسل والده إلى أصفهان حيث لاقى التكريم اللائق من الشاه إلى أن مضت ستة أشهر على إقامته هناك. فطلب الاذن بالانصراف إلى كُردستان. وعاد وهو في غاية السعادة. وحسب طلبه فقد أوكل حكم (شهرزور) إلى ابنه أحمد خان الذي حكم كُردستان وشهرزور مدة أربعة وعشرين عاماً. وامتد حكمه إلى بغداد وكركوك والموصل.

ولكن عندما دخل العام ١٠٤٠ هجري = ١٦٣٠م شق أحمد خان عصا الطاعة ولجأ إلى السلطان العثماني [هو مراد الرابع... ج د]. ونتيجة لهذه الحادثة فقد تعهد سليمان خان ابن الأمير علم الدين بن تيمور خان الأردلاني الذي كان تابعاً للشاه صفي وموضع ثقته واعتماده... تعهد بنقل دار الملك من قلعتي (پلنگان) و(حسن آباد) إلى سنندج الحالية. وأصبح بعد ذلك حاكماً لكُردستان التي ما إن وصلها حتى باشر ببناء سنندج. وبنى فيها قلعة في غاية الاستحكام على قمة تلة. وهذه القلعة ماثلة للعيان إلى يومنا هذا. وهي تقع وسط المدينة.

كما بنى عمارات وحمامات ومساجد وأسواق خارج أسوار القلعة. وشق قناة لجر المياه إلى القلعة والمدينة من وادي (سرنووي) الذي يبعد ألف قدم

عن سنندج.

وعندما جاء حسن علي خان الأردلاني حاكماً بعد سليمان خان طوّر تلك القناة وبنى عليها ثلاث مضخات حيث بات الماء ينتقل بسهولة إلى قلب القلعة. وهي ماتزال موجودة إلى الآن. ولهذا السبب عُرفت القناة باسم قناة حسن علي خان. وعلى أية حال فقد خرّب سليمان خان قلاع (ظلم) و(پلنگان) و(مَريوان) و(حسن آباد) حتى لاتصبح مرة أخرى ملجأً وملاذاً لحكام كُردستان. وبنى قلعة صغيرة في أطراف سنندج كانت أطلالها ماثلة للعيان حتى قبل ثلاثين عاماً.

ولقد بقيت المدينة على حالها مدة مئة وستة وسبعين عاماً اللهم إلا ما أضافه حسن علي خان إلى قلب القلعة الحكومية من عمارات وقاعات وحمامات حتى وصل حكم ولاية كُردستان إلى يد أمان الله خان الوالي الشهير بأمان الله خان الكبير وذلك عام ١٢١٤هـ = ١٧٩٩م. وقد كان هذا الأخير رجلاً عالي الهمة ذا كفاءة ومهارات عالية. فوسع قلعة الحكومة وأضاف إليها مبان أخرى ماتزال موجودة تقاوم الزوال. ولكنها ومنذ عشر سنوات تتعرض للتخريب من قبل الحكام عديمي الإنصاف.

ومنذ عام ١٢٢٠هـ = ١٨٠٥م إلى ١٢٣٠هـ = ١٨١٤م قام أمان الله الكبير بتوسيع رقعة المدينة وزاد من عماراتها ومساجدها وأسواقها. وقد بنى مسجداً في غاية العظمة والجلال والعلو سمي (دار الإحسان) جدرانه مبنية بالآجر المنقوش وله رواق يتخلله أربع وعشرون عموداً حجرياً. وقد نُقشت جدرانه وأعمدته بحوالي ثلث القرآن الكريم بخط يشبه الخط الكوفي وهو في غاية الجمال. وفي هذا المسجد إيوانان أحدهما من جهة القبلة والآخر في جهة الشرق، حيث ارتفعت منارتان شاهقتان أضفتا كثيراً من الرونق والبهاء إلى هذا المسجد.

وقد كتب الميرزا صادق ناطق المتخلص بـ(أصفهاني) قصيدة بمناسبة الانتهاء من بناء المسجد. وقد حُفرت تلك القصيدة على حجارة المرمر الموجودة في الإيوان القبلي بخط في غاية الجمال. كما أن الميرزا فتح الله خرّم المتخلص بـ(كُردستاني) كتب أيضاً قصيدة غراء. ضمن المصراع الأول من

كل بيت تأريخ بناء المسجد، والمصراع الثاني تأريخ انتهاء البناء، ومن الإنصاف أن نقول أنه لم يكتب أحد من الشعراء إلى الآن قصيدة مثل تلك القصيدة التي نقشت أبياتها على حجارة المرمر في الإيوان الشرقي. وتقام في هذا المسجد صلاة الجمعة على مذهب الإمام الشافعي رضوان الله تعالى عليه حيث يحضرها معظم أبناء المدينة.

أما خارج رواق المسجد، فقد بُنيت مدرسة تضم اثنتي عشرة حجرة وغرفتين لاستيعاب طلاب العلم. لقد أصبحت كُردستان في عهد الوالي أمان الله خان الكبير موئل العلم في كُردستان وقد برز كثير من العلماء الأجلاء في ذلك المسجد ووصلوا إلى درجات الكمال، وما العلم المنتشر في كُردستان الآن إلا بفضل ذلك المسجد. إن قرية (اخليجان) التي تبعد فرسخاً عن سنندج قد وقفت عدة بساتين لأجل معيشة طلاب العلم وعمارة ذلك المسجد. ولكن المسؤولين قطعوا الطريق أمام الطلاب وسعوا إلى تخريب المسجد ومدرسته.

ولقد بلغ مايصل إلى المسجد من أموال الأوقاف أكثر من أربعمئة تومان كانت كلها تذهب إلى جيوب اولئك القائمين على أمر المسجد والمدرسة. ولم ينهض منهم أحد لصرف النقود على عمارة المسجد منذ سبعة وثمانين عاماً حتى سقط بعض الآجر من الجدران. ورويداً رويداً يؤول المسجد إلى الخراب. وعلى كل حال فإن نشاط أمان الله خان في بناء الحمامات والمساجد والأسواق والحدائق كان سبباً في النهضة العمرانية لهذه المدينة وجمالها ورونقها والحق يقال فإن هذا الرجل بمآثره يستحق الثناء والتقدير في كتب التاريخ فهو يعتبر أحد عظماء عصره ولقد بلغ من الشهرة وعلو الهمة إلى حد أن ملك الهند حينما كان يحارب الانكليز طلب المعونة منه وبعث إليه رسالة فيها الكثير من التذلل والخضوع. وقد صادف وصول تلك الرسالة يوم وفاة ذلك العظيم [أمان الله خان]. وإن أصل تلك الرسالة موجود بحوزتي أنا الحقير جامع هذه الأوراق.

ويوجد في مدينة سنندج سبعة وثلاثون مسجداً ومدرسة وستة وثلاثون حماماً كما تجري المياه في معظم بيوتها، ويجدر بالذكر أن عمر بن علي بن الحسين عليهم السلام مدفون فيها وقد بنيت قبة على قبره قام محمد إبراهيم

خان نظام الدولة سنة ١٣٠٦هجرية = ١٨٨٨ م بإضافة تزيينات هي غاية في الجمال إليها وصرف على الضريح كثيراً من المال. كما توجد إلى جوار الضريح مدرسة صغيرة بُنيت قديماً وفيها ست حجرات وفناء صغير. وقد قام الميرزا صادق خان ابن المرحوم الميرزا محمد رضا الوزير سنة ١٢٩٧هجرية = ١٨٧٩م بإعادة إعمار وتوسيع المسجد بالكامل. وبنى عشر حجرات عالية صرف عليها أكثر من ألف وخمسمئة تومان.

وهناك خلاف في نسب صاحب الضريح الإمام عمر، ففي حين ينسبه البعض إلى حضرة الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، ينسبه آخرون إلى الإمام موسى الكاظم ويقولون أن اسمه السيد عبدالصمد. ولكن بما انه ظهر وتوفي خلال حكم السُّنة فقد سمي (پير عمريها) ويسمى الآن (پير عمر) والله اعلم(٤).

ومن العمارات الجديرة بالذكر في سنندج مسجد (دار الأمان) الذي بناه أمان الله خان الصغير المعروف بـ(غلامشاه خان) والملقب بـ(ضياء الدين) وقد انتهى من بنائه سنة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م ويضم هذا المسجد إيواناً عالياً باتجاه المشرق ورواقاً كبيراً وثلاث غرف واثنتي عشرة حجرة. وقد ضم غلامشاه قرية (خليفة خان) وبضع مزارع وحديقة إلى أوقاف ذلك المسجد... وجَرّ قناة خاصة إليه. سرق السكان ماءها كلياً ولم يبق من القناة شيء. هذا وجملة أوقاف هذا المسجد في السنة أكثر من مئتي تومان... وهو إلى الآن غير تام البناء ويحتاج إلى إعادة تعمير شامل.

ومن المنشآت التي أحدثها أمان الله خان الصغير حديقة (حسين آباد) و(أمانية) وحديقة (نشاط) حول أطراف المدينة. ولقد كان أمان الله خان الصغير هذا رجلاً ينتهج سلك الدروشة، طلق المحيا، نقي السيرة، جواداً فاضلاً يعطف على المستضعفين. وإن كل مافي كُردستان اليوم من قدرة ومنعة هو بفضل ذلك الرجل العظيم.

(٤) ليس في نسل علي زين العابدين بن الحسين أولاد أسماؤهم عمر، فلعلي زين العابدين ولدان هما زيد ومحمد الباقر. كما أن الإمام موسى الكاظم (الذي هو ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر) لم يكن له أولاد بهذا الاسم (انظر جمهرة أنساب العرب - ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٨).

ومن المنشآت الأخرى التي يجدر الحديث عنها حديقة (خسرو آباد) الواقعة على بعد مئة قدم جنوب غرب المدينة. وهي من آثار أمان الله خان الكبير. وتشتمل على أربعة حدائق واثني عشر ممراً وأربعة أحواض كبيرة، وعمارة شاهقة.

وقد أنشئت هذه الحديقة وفق الطراز القديم حيث وضع أساسها المرحوم أمان الله خان، ثم انتقلت ملكيتها إلى علي أكبر خان شرف الملك ابن المرحوم محمد صادق خان بن أمان الله خان الكبير. وقد جددها من أساسها وبناها بالحجر والآجر وهي تعتبر من جملة المنشآت الجميلة في هذا العصر. كما قام بتجديد الحدائق الأربعة وممراتها وبنى عمارات لائقة وحفر خندقاً عميقاً حول الحديقة. زرع فيها أشجار الدلب والصفصاف بحيث تبدو أطراف الحديقة الآن مثل غابة عظيمة. ويعتقد أن علي أكبر خان قد صرف عليها وعلى ذلك الخندق من ثلاثين ألف إلى خمسة وثلاثين ألف تومان. وفي الواقع فإن الحديقة ستبقى أثراً خالداً من آثار علي أكبر في العصور اللاحقة.

إن السيدة هاجر والتي هي أخت الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليهما السلام مدفونة في سنندج، وقبرها مزار أهل المنطقة خواصهم وعوامهم، وقد بنى شخص يعرف بـ(لَلَّهْ يعقوب) مسجداً إلى جوار ضريح تلك السيدة المعصومة يشتهر بمسجد (هاجر خاتون) أصبح حرماً آمناً يلوذ به الخائفون من سطوة مَن يلاحقونهم. والآن فإن الحاج الشيخ شكرالله شيخ الطريقة النقشبندية ومن خلفاء المرحوم الشيخ عثمان قد جدد المسجد بشكل كامل وهو يقضي معظم أوقاته فيه(٥).

(٥) الشيخ عثمان هو الشيخ عثمان سراج الدين بن خالد بن عبدالله بن محمد بن درويش. انتقل جده محمد بن درويش من جبل حمرين إلى أورامان وأقام في قرية (طويلة). ولد سنة ١١٩٥هـ= ١٧٨٠م في تلك القرية، وبعد مدة انتقل إلى بغداد للانتظام في سلك التصوف فسكن في مدرسة جامع عبدالقادر الگيلاني وأخذ يدرس هناك إلى أن التقى الشيخ خالد النقشبندي وكان بينهما سابق معرفة في كُردستان، وقد استخلفه مولانا خالد سنة ١٢٥هـ= ١٨١٩م وأجازه في الإرشاد. وهو أول خليفة من خلفاء مولانا خالد، ولازمه في جميع أسفاره إلى أن هاجر مولانا خالد إلى الشام. فبقي الشيخ عثمان في خانقاه مولانا خالد بالسليمانية يقوم بالارشاد. توفي سنة ١٢٨٣هـ نقلاً عن (علماؤنا في خدمة العلم والدين). وفي كتاب تاريخ السليمانية للمرحوم محمد أمين زكي: أنه ولد سنة ١١٨٩هـ = ١٧٧٥م في قرية تويلة التابعة لحلبجة (تُويله بضم التاء =

إن المكان الذي بنيت فيه مدينة سنندج يقع في أرض غير مسطحة ومرتفعة ويجري فيها نهر صغير أقيمت عليه جسور عديدة، وكان لي شرف بناء أول جسر على ذلك النهر بلغت تكاليف بنائه ثمانين تومناً. وتوجد على أطراف المدينة حدائق وبساتين كثيرة، [...] وتوجد إلى الشمال الغربي من المدينة مقبرة تسمى قبرستان شيخان [مقبرة المشايخ] يقال أنه دفن فيها أربعون نفراً من كبار المشايخ تروى عنهم خوارق كثيرة. ومع أن المدينة حديثة البناء فإن في تلك المقبرة قبور تدل شواهدها الحجرية على أن تاريخ دفن بعض أولئك المشايخ يعود إلى تسعمئة عام، حيث يقال أن سنندج هذه كانت في الأصل مدينة أخرى ولكن لامبالاة المؤرخين السابقين لكُردستان أدت إلى اختفاء اسمها. ويدل على ذلك وجود ضريح الإمام (پير عمر) وضريح (هاجر خاتون). ويوجد على بعد ألف قدم من المدينة جبل عظيم يسمى جبل (آبيدر) سيرد ذكره في الجزء الخاص بجبال هذه الولاية.

وجدير بالذكر أنه إلى الآن لم تنظم أزقة وحواري هذه المدينة، بل بقيت كما كانت عند بنائها. وقد أنشأ المرحوم الحاج فرهاد ميرزا معتمد الدولة أمام مبنى الحكومة معسكراً لتدريب الجنود يتسع لفوج كامل. وقد مضى على إنشاء ذلك المعسكر اثنان وعشرون عاماً تهدمت معظم مهاجعه. وقد تدارك الأمر محمد خان إقبال الملك والي كُردستان الحالي فشرع في إعادة إعماره هذه السنة. وتوجد أقنية متعددة داخل المدينة من جملتها قناة شقها الميرزا يوسف مشير الديوان ابن المرحوم الميرزا محمد رضا الوزير. بحيث صارت الأفضل والأجمل والأغزر ماء بين جميع تلك الأقنية. وقد بنى معظم أصحاب المنازل الكائنة في أسفل المدينة أحواضاً لاستغلال مياه هذه القناة للشرب.

وتوجد في أحد محلات المدينة والتي تسمى (قطارجيان) عدة ينابيع ذات

= وكسر الواو لفظة كُردية معناها الجبهة، ولما كانت القرية تلك قائمة على نتوء في سفح الجبل سميت بهذا الاسم، أما كتابتها (طويله) فغلط محض. هكذا يقول المترجم ملا جميل الروژبياني في هامشه الإيضاحي لمعنى تويله...) وقد ازدادت الطريقة النقشبندية على عهده تبسطاً وتوسعاً في أنحاء السليمانية وكُردستان الإيرانية. توفي سنة ١٢٨٤هـ في القرية المذكورة، فدفن في رباطه. وترك وراءه من الأولاد الشيخ محمد ولقبه بهاء الدين وهو أكبرهم وله أشعار في الكُردية والفارسية والعربية. والشيخ عمر وهو الأصغر ولقبه ضياء الدين.

مياه رقراقة صافية، كما يوجد في المدينة مبنى للتلغراف (تلغرافخانه) ومبنى للبريد ودار للسلاح تابعة للدولة، وفي الآونة الأخيرة بنى الأرمن كنيسة لهم في سنندج يصل صدى ناقوسها صباحاً ومساءً إلى مسامع المسلمين. كما توجد في المدينة قنصلية تابعة للدولة العثمانية.

وقد جرت العادة في هذه المدينة مع كل غروب شمس أن تعزف الموسيقى العسكرية في (النقارخانة) الموجودة في المعسكر، وهذه النقارخانه ايضاً من جملة مابناه أمان الله خان الكبير... هذا باختصار وضع مدينة سنندج في كُردستان.

الفصل الثالث

بلدات كُردستان

سأبدأ الآن في شرح حال وأوضاع بلدات كُردستان مهملاً الترتيب في ذكرها. وليكن معلوماً أن هذه البلدات تصدّر كثيراً من المواد إلى خارج كُردستان من السجاجيد والبسط والجوارب وسائر الفرش والألبسة الصوفية والسمن والصوف وفرو الثعالب والعسل والتبغ والقمح وسائر الحبوب والصمغ واللبان والحلوى والزبيب والجوز.

بانـــــه

يوجد في كُردستان سبع عشرة بلدة في كل واحدة منها حاكم يحكمها. وإحدى هذه البلدات هي (بانه) بالباء الموحدة على وزن (خانه) وهي تقع إلى الغرب من سنندج على بعد أربعة وعشرين فرسخاً. سكانها متوحشون وعديمو التربية. ويطلقون اسم السلطان على حاكم مدينتهم، والسبب في ذلك أن ملك إيران نادر شاه أطلق اسم السلطان على حكام المدن المتاخمة لأراضي الدولة العثمانية. وبالمقابل فإن السلاطين العثمانيين أطلقوا لقب الباشا الذي هو مخفف بادشاه [بمعنى الملك] على أولئك الحكام الذين عينوهم في مناطق الحدود [تفسير هذا الأمر هو تحقير كل طرف للآخر بإطلاق لقب خصمه على حكام محليين قليلي الشأن... جان دوست].

وتشتمل بانه على بلدة واحدة ومئتي قرية، وهي تتصل من جهة الغرب بأراضي ساوجبلاغ [مهاباد] ومُكري. ومن جهة الجنوب بأراضي الدولة العثمانية ومن جهة الشرق بأراضي مَريوان، ومن جهة الشمال بأراضي سَقز. وتغطي الغابات مجمل جبال هذه المنطقة، وهي عبارة عن أشجار البلوط التي تعطي أربعة عشر صنفاً من المواد التي تؤكل أحدها (كزانكبين) الذي يباع المن الواحد منه بثلاثة آلاف. [المن وحدة وزنية تعادل ثلاثة كيلوغرامات

والمؤلف لم يفصح عن السعر أهو ثلاثة آلاف تومان أم ثلاثة آلاف شاهي... والأرجح أن المقصود ثلاثة آلاف شاهي فالتومان يملك قيمة شرائية كبيرة... المترجم] ومن هذه المواد أيضاً ثمار البلوط الذي يباع المن الواحد منها بخمسة آلاف.

وقد اطلعت على بعض ماتنتجه أشجار البلوط وهي كما يقول أهل هذه المنطقة (كزانكبين، البلوط، القندرون [عصارة حلوة المذاق].

ونظراً لاعتماد الناس على نتاج هذه الأشجار فإنهم قلما يهتمون بزراعة القمح وسائر الحبوب، ولذلك فهم يستوردون حاجتهم منها من خارج منطقتهم.

ولقد بلغ عدد سكان هذه المنطقة سنة ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٨م حسب ماتسنى لي إحصاؤهم بأمر ديوان النفوس ما مجموعه ثلاثون ألفاً ومئتان واثنان وأربعون نسمة.

يحيط ببلدة (بانه) نهر يجري في الغرب، وفي هذه البلدة حمام واحد وثمانية مساجد ومسجد جامع واحد يصلي فيه أهل المدينة صلاة الجمعة، كما توجد ثلاث محطات للقوافل ينزلها التجار. وفي موسم البلوط يصل التجار الكبار من كافة المناطق إلى (بانه).

ويوجد على بعد نصف فرسخ من (بانه) ضريح لأحد أجداد حكام (بانه) اسمه سليمان بك أصبح مزاراً ومحجة لأهل تلك النواحي، ويقال أنه كان صاحب كرامات وخوارق. وقد سمقت حول ضريحه أشجار كثيرة لايجرؤ أحد على قطعها حتى تشكلت غابة كثيفة.

ويزرع سكان هذه المنطقة محصولاً يسمونه (ديميله) [الذرة البيضاء] حيث تبلغ عرانيسها أحجاماً ضخمة. وهذا المحصول يشكل أساس غذائهم.

وفي هذه السنة في يوم السبت الذي صادف الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام أي في يوم عيد الغدير عقد يونس خان حاكم (بانه) العزم على قتل أخيه الكبير الحاج مصطفى بك وأولاده. فأولم لهم وليمة. وأثناء تناول الطعام قام ابن يونس خان بإشارة من والده فأردى عمه قتيلاً بطلقات مسدسه. ثم قتل بعضُ الحضور أحدَ ابني مصطفى بك. أما الثاني الذي

سُدّت في وجهه منافذ الهرب وتدفق الدم من ثمانية مواضع في جسمه بسبب طعنات الخناجر، فقد سلَّ خنجره وحمل كالأسد على [عمه] يونس خان فقتله بطعنة واحدة منتقماً بذلك لوالده. كما أنه أصاب ستة آخرين بجراح مميتة، إلى أن تمكن منه أحد الحاضرين وقتله. ونظراً لجدارة وشجاعة هذا الفتى المسمى عبدالله بك والذي لم يتجاوز عمره خمسة عشر عاماً فقد أقدمت على تسجيل هذه الواقعة. متوخياً الإشارة إلى وحشية هؤلاء الناس. تحتكر منطقة بانه صيد الصقور. لأن صقور كُردستان كلها موجودة في بانه، كما يتم فيها خلال فصلي الخريف والربيع صيد الحِجل. وهو يتم وفق طقوس معينة لا يمارسها أحد في أي جزء من العالم، ولقد حضرت احتفالات الصيد وكانت تتم كما يلي:

تسمى إحدى قرى هذه المنطقة (كَوبَكار) و(كَوْ) بفتح الأول وسكون الثاني يعني الحجل و(بكار) تعني منطقة العبور. يوجد في هذه القرية مضيق يمتد حوالي فرسخ طولاً. بينما يمتد جبلان على طرفي المضيق. وحينما يقترب موعد ظهور الحجل يبلغ حاكم المنطقة الحكومة بذلك. ويذهب جميع سكان المنطقة بموافقة الحكومة إلى ذلك المضيق، حيث تعين كل طائفة وكل رئيس قرية مكاناً خاصاً ينزلون فيه فينصبون الخيام والأدوات التي جاءت بها الحكومة على طول المضيق.

وتدوم فترة الصيد مدة ثلاثة أيام حيث يعتبر الناس ضيوفاً على الحكومة. وحسب القاعدة المعروفة فإن كل جماعة تأتي بالسمن والخبز والماشية والفحم والحطب. وفي هذه الأيام الثلاثة ومن شروق الشمس إلى غروبها تتوافد أسراب الحجل بمئات الآلاف إلى المضيق المذكور ولا يفلت طائر واحد من تلك الأسراب الكثيفة من يد الأهالي.

ومن جملة القوانين في رحلة الصيد هذه قانون يمنع أي شخص من وضع قدمه في منطقة صيد شخص آخر. وإذا رمى أحدهم طائراً بعصا أو حجر أو بندقية ولم يقع الطائر في منطقة صيده... بل وقع في منطقة أخرى يصيح أحدهم: هذا الطائر من صيد فلان. وأنّى وقع الطائر يأتون به إلى الشخص الذي أصابه... انتهى

أهل منطقة (بانه) سنيون على المذهب الشافعي ضرائب هذه المنطقة تبلغ خمسة آلاف وستمئة تومان.

سَقــز

بفتح السين المهملة وكسر القاف المشددة وسكون الزاي المعجمة. بلدة تقع إلى الشمال الغربي من سنندج على بعد أربعة وعشرين فرسخاً وثمة ثلاثمئة قرية تابعة لهذه المنطقة.

ويجري باتجاه الشمال نهر كبير في البلدة التي تضم ألفاً ومئتي أسرة. وفيها ثلاث حمامات أحدها بني حديثاً من قبل الحاج صالح من أهالي تلك النواحي. كما أن فيها عشر مساجد أحدها مسجد جامع. كما يوجد فيها قصر مجيد خان الحاكم السابق وأيضاً سوق واحدة وثلاث محطات للقوافل ومبنى فخم للحكومة.

وسكان هذه المنطقة قياساً إلى غيرهم أكثر تمدناً وتربية. وهم قريبون في قيافتهم من أهالي سنندج.

وتتم سقاية المحاصيل الزراعية في البلدة والقرى التابعة لها إما من النهر أو ماء الينابيع. ويجري وسط منطقة سقز نهر (جغاتو) وسيرد ذكره مفصلاً في فصل أنهار كُردستان. ويبلغ تعداد سكان هذه المنطقة حسب إحصاء عام ١٢٩٨ هـ = ١٨٨٠م والذي قمت به شخصياً أربعة وثلاثين ألفاً وأربعة وعشرين نسمة والعلم عند الله. وهم سنيون على المذهب الشافعي والطريقة النقشبندية. ويوجد في سقز طلاب للعلوم الأدبية والدينية. ومنهم قاضٍ وشيخ الإسلام وأمين الإسلام. ويشتهر بينهم الشيخ مصطفى أحد خلفاء الشيخ المرحوم عثمان [سراج الدين].

والمنطقة بشكل عام منطقة غابات، وتنتشر فيها المحاصيل الشتوية والصيفية من قبيل القمح والشعير والحمص والعدس والذرة والقطن والبطيخ والجبس والتبغ الذي يزرع بكثرة ويصدر إلى طهران وآذربيجان.

ضرائب هذه المنطقة ستة آلاف وثلاثمئة وخمس تومانات.

إسفند آباد

تقع إلى الشرق من مدينة سنندج. وقبل عدة سنوات كانت دار الحكومة في هذه المنطقة تقع في (قصلان) التي بنى فيها المرحوم أمان الله خان الكبير قلعة وقصراً وحماماً وحديقة ومزرعة كبيرة. ولكن ومنذ أربعين عاماً لم تمتد يد الترميم إلى هذه الآثار التي آلت نتيجة ذلك للخراب.

ويتجول حاكم المنطقة الآن في قراها البالغ عددها أربعة وتسعين قرية. ويبلغ عدد سكان المنطقة أربعة عشر ألف نسمة. وحاصلاتها صيفية وشتوية من جميع الأنواع.

وقد كان يعيش في هذه المنطقة رجل من نسل الأئمة اسمه سيد جمال الدين ويشتهر بـ(بابا گُرگُر) ضريحه موجود في قرية تحمل نفس الاسم. ويقال أن الإسم باللغة التركية ومعناه: انظر انظر ياأبي. حيث يروى أن ثعباناً ضخماً شوهد من بعيد فخاطب سيد جمال الدين والده بتلك العبارة. وما كان من والده إلا أن سلَّ سيفه وقتل به ذلك الثعبان والآن يوجد قرب الضريح تل على شكل ثعبان. وعلى امتداد التل يوجد شق يقال أنه من أثر ضربة السيف والعلم عند الله. ويقع ذلك الضريح في مكان مرتفع. وتوجد في الأسفل منه بحيرة صغيرة تصدر أصواتاً عجيبة وغريبة هي أصوات المد والجزر. ويجري ماء تلك البحيرة في ذلك الشق الموجود على طول التل. ومذاقه مر ومالح لكنه يفيد في شفاء الأمراض الجلدية. ويوجد على بعد خمسمئة قدم من الضريح بئر ماء تسمى (دنكز) التي تعني البحر باللغة التركية. وهي عميقة جداً ويبلغ طول محيطها مئتي قدم تخميناً وهي مليئة بالماء ولم يصل أحد إلى تقدير عمقها إلى الآن. وقد غرق فيها كثيرون. كما أقيمت عليها طاحونة مائية.

أهالي إسفند آباد شيعة جعفريون.

الضرائب سبعة آلاف ومئة وتومانان. وأربعة آلاف وأربعمئة دينار.

كرفتو

بالكاف العربية والراء المهملة والفاء الساكنة وضم التاء والواو المعروفة الساكنة. منطقة تقع شمال سنندج على بعد ثمانية عشر فرسخاً وهي تضم سبع عشرة قرية. وقد كانت (كرفتو) في الأصل جزءاً من منطقة سقز. ليس فيها من الحاصلات سوى القمح والشعير. عدد سكانها ألف وستمئة نسمة وفيها قلعة غريبة جداً هي من جملة عجائب العصر. ولم يستطع أحد إلى الآن التجول كاملاً في القلعة أو الوصول إلى نهايتها ولا يعرف من هو بانيها. وفيها كثير من الآثار الغريبة.

وصف قلعة كرفتو:

حينما يدخل شخص بيده مصباح إلى داخل القلعة فإن نظره سيقع من جهة اليسار على ثلاث غرف مشيدة بالحجر المنحوت، وكذلك نوافذها منحوتة من الحجر الذي هو في غاية الروعة وإتقان النحت.

أما من جهة اليمين فهناك مقبرة يبلغ طولها عشرين ذراعاً تربتها رطبة. يتناثر عليها كثير من العصي، إذ يقال انه على كل شخص يصل إلى تلك البقعة أن يرمي عصاه التي في يده. وثمة صندوق على شكل تابوت يحوي جمجمة آدمية عظيمة جداً. يصل كثير من الناس الغرباء والأهالي إلى هذا المكان بيسر وسهولة.

ويقال أن على أطراف ذلك الصندوق أثر قدم عظيمة جداً يخبطها المرء ثم يعود بعد لحظات ليراها بوضوح. وحينما يعبر المرء ذلك المكان يصادف أمامه باباً صغيراً جداً داخل طاقة منحوتة من الحجر فيه مكان للجلوس. كما يصادف المرء في تلك الطاقة عدة أبواب أخرى. ويعبر السياح إلى الغرف الأخرى بواسطة درجات كثيرة. حيث توجد في تلك الغرف منافذ عدة للخروج بعضها يتجه بالمرء إلى الأعلى وبعضها إلى الأسفل.

وعلى السياح الذين يدخلون هذه القلعة أن يأخذوا معهم كمية من التبن لينثروا منه على الدروب التي يسلكونها حتى يستدلوا بها على طريق العودة.

كما أن عليهم أن يجلبوا معهم مصابيح ومؤونة كثيرة حتى لاتنقطع بهم السبل.

ولقد قام الوالي المرحوم رضا قليخان بزيارة هذه القلعة بعد أن اصطحب معه مايلزم من الأطعمة والأمتعة. وظل يمشي يومين متتاليين دون أن يصل إلى نهايتها وقد ضاع في تلك الرحلة عمه محمود خان... مما دعا الوالي إلى إلغاء مشروعه في الوصول إلى النهاية.

أما أغرب شيء في هذه القلعة فهو سوق مستقيمة تشبه سوق الحدادين حيث يصادف المرء فيها قضباناً حديدية يبلغ طول الواحد منها عشرة أذرع وعرضه نصف ذراع. وقد تآكلت وصدئت تلك القضبان العظيمة بالرغم من ثخنها الكبير. ومهما يكن من أمر فإن أحداً لم يصل إلى منتهى هذه القلعة فبقي وضعها غامضاً (حينما لم يروا الحقيقة تكلموا بالخرافات).

ضرائب هذه المنطقة خمسمئة واثنان وعشرون تومناً.

تيله كو

تقع (تيله كو) إلى الشمال الغربي من سنندج على بعد ثمانية عشر فرسخاً وفيها أربعة وعشرون قرية. أهل هذه المنطقة ميّالون إلى الشرور وفيهم نزعة إلى الفساد. عددهم أربعة آلاف ومئتان واثنان وأربعون نسمة.

حاصلات المنطقة شتوية وصيفية وتعتمد على مياه الينابيع وسكانها يشتغلون بزراعة التبغ أيضاً. وهم سنيون على المذهب الشافعي. وتوجد حدائق حديثة كثيرة في هذه المنطقة. الضرائب ألف وخمسمئة وست تومانات.

خور خوره

تقع على بعد ثمانية عشر فرسخاً إلى الشمال الغربي من سنندج. وتضم حالياً خمسين قرية بينما كان عدد قراها أكثر من تسعين قرية قبل عدة سنوات. وفي إحدى هذه القرى والتي تسمى (بَسْت) يوجد مسجد وتكية رائعة الجمال يعود تاريخ بنائهما إلى أكثر من ثلاثمئة وسبعين عاماً. وتضم التكية

بين جنباتها قبر الشيخ ابراهيم الذي كان من جملة أجلاء الشيوخ. وقبره يُزار، وإليه ينسب الشيوخ الموجودون في هذه المنطقة[1] وتضم تلك القرية ثمانين بيتاً عامراً.

ومن قرى هذه المنطقة قرية تسمى (مولانا آباد) فيها مايقرب من خمسين بيتاً. ينتسب سكانها إلى سلالة كبار المشايخ. ومنهم الشيخ حسن الذي كان شيخاً عظيماً صاحب كشف وكرامات وله ضريح بنيت عليه قبة من الآجر فيها طاقة من الخشب المعشّق. ويعتبر ذلك الضريح مزاراً للجميع. كما أن والدة هذا الشيخ الجليل مدفونة خارج القبة. ولقد أوصى الشيخ حسن قائلاً: على كل مَن أراد زيارتي أن يبدأ أولاً بزيارة والدتي. ولسكان كُردستان عموماً اعتقاد في هذا الشيخ[2].

ويبلغ تعداد سكان هذه المنطقة حوالي ثمانية آلاف نسمة. وكان حاكمها يلقب فيما مضى بالسلطان وهو من بيوتات المنطقة نفسها. ولكن لم يبق من سلسلة أولئك الحكام الآن أحد. ويحكم خورخوره حالياً شخص اسمه ابراهيم سلطان وهو رجل أريب لبيب. أما سكان هذه المنطقة فهم سنيون يتبعون المذهب الشافعي.

ويجري في المنطقة نهر عظيم إلى جهة الشمال يسمى نهر (خور خوره).

حاصلات المنطقة: القمح والشعير والذرة والقطن والعنب والتبغ.

ضرائبها...

(١) هو الشيخ ابراهيم بن الشيخ ميكائيل وهو من قرية (بست) من نواحي سنندج، كان من أفاضل العلماء وأماثل الصلحاء وأكابر الزاهدين. تتلمذ على الشيخ شهاب الدين الحسني الشاذلي في حدود سنة ١٠٨٠هـ= ١٦٦٩م.

(٢) الشيخ حسن مولان آبادي بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ ميكائيل. ولد في حدود سنة ١٠٤٠هـ= ١٦٣٠م وتربى عند والده فختم القرآن الكريم وقرأ مبادئ العلوم... ثم سافر إلى مصر وأتم علومه هناك، ثم عاد إلى العراق وزار الشيخ محمد النودهي وأصبح من مريديه، ثم رجع إلى موطنه واستقر في قرية مولانا آباد إلى أن توفي سنة ١١٣٥هـ= ١٧٢٢م.

مَريوان

تقع هذه المنطقة في الأراضي الإيرانية المتاخمة لأراضي الدولة العثمانية، وفيها بحيرة مشهورة باسم (زره بار). وقد بنى على بعد ألفي قدم من هذه البحيرة عاهل إيران الملك المتوج ناصرالدين شاه قاجار (أدام الله ملكه إلى يوم القرار) قلعة شديدة المنعة سنة ١٢٨١ ١١٦هـ = ١٨٦٤م، ولقد رأى الحاج فرهاد ميرزا معتمد الدولة من الأصوب أن يقلل مساحة القلعة ليزيد من استحكامها. وقد صرف على بناء القلعة منذ البدء وحتى الآن أربعون ألف تومان. وهي تضم مصنعاً للأسلحة ومربضاً للمدفعية حيث تم إحضار أربع بطاريات مدفع عيار ٩ باوند و١٨ باوند إليها. وهي حالياً من جملة الآثار في القلعة المذكورة التي يطلق عليها اسم قلعة (شاه آباد).

أما في الجهة الغربية من القلعة فقد بُنيت بأمر الحاج فرهاد ميرزا معتمد الدولة بلدة رُحِّل إليها مئة عائلة من الأسر الشهيرة والسادات والشيوخ من مَريوان. وقد أصبحت هذه البلدة عامرة تضم حماماً في غاية الجودة بالإضافة إلى مسجد مازال ماثلاً للعيان مع الحمام وبعض البيوت.

ولقد قام فرهاد ميرزا أيضاً بجرّ قناة إلى القلعة تمد المسجد والحمام بالمياه، حيث أمر ببناء خزان ماء كبير داخل القلعة يمتلئ ليغطي حاجة سكان القلعة. كما أنه بنى حوضاً كبيراً يستمد ماءه من تلك القناة. وقد قام حاكم مَريوان وحامي الثغور محمد علي خان ظفر الملك ابن الوالي المرحوم رضا قليخان بإضافة كثير من المنشآت في القلعة وأطرافها فبنى عدة مضافات وحماماً جميلاً داخل القلعة. وأنشأ محطة كبيرة جداً للقوافل خارج القلعة، وهي تعتبر مستراحاً للعابرين والذين يترددون على القلعة محطاً لأحمالهم من جهة، ونزلاً للكسبة والتجار من جهة أخرى. كما قام ظفر الملك بشق قناة اخرى أنشأ أمامها حديقة كبيرة زرعت فيها أشجار كثيرة مثمرة وغير مثمرة. وخاصة شجيرات الكرمة. وأنشأ أسفل القلعة طاحونة رائعة كانت باعثاً هاماً على رفاهية الأهالي ولكن هواء هذه القلعة حار جداً وسيء بسبب مجاورتها للبحيرة.

إن منطقة مَريوان كلها منطقة غابات. وتغلب عليها أشجار البلوط، كما ان الأرز ينمو بكثرة فيها إلى جانب المحاصيل الأخرى من قبيل القمح والشعير والذرة والحمص والعدس.

إن سكان مَريوان محاربون أشداء وسفاكو دماء وهم من أهل السنة والجماعة وعلى المذهب الشافعي. ويزحف كل عام جيش حكومي لمنع عشيرة الجاف من القدوم إلى المنطقة.

وفي مَريوان مئتا قرية. وعدد سكانها ستة وعشرون ألفاً أغلبهم يملكون البنادق ويوجد منهم ألف وخمسمئة من حملة البنادق وآلات الحرب الأخرى جاهزون وقت الضرورة. ومن أعيان هذه المنطقة الملا أبو بكر المؤلف المشهور وهو من أجل علماء العصر وأصله من قرية (جور)[٣]. كما يوجد سادات أجلاء من تلك القرية والقرى الأخرى ومنهم شيخ الإسلام سيد حسن وهو أيضاً من قرية (جور). وهو شخص كثير الفضل والأدب يمتاز على أقرانه من علماء العصر في كافة العلوم الأدبية والدينية. وقد تشرف بحج بيت الله الحرام[٤].

(٣) هو الشيخ حسن بن السيد هداية المعروف بملا أبي بكر المصنف. ليس معروفاً متى واين ولد. والظاهر أنه ولد في كلات أرزان التابعة لسنندج. كتب (طبقات الشافعية) زار مصرو الحجاز وأقام مدة في المدينة المنورة ثم رجع إلى كُردستان وصار مدرساً في المدرسة المتصلة بجامع السور الذي بناه الأمير حمزة البابانى، وبقي هناك ثماني عشرة سنة ألف أثناءها كتاب (الوضوح) و(سراج الطريق في التصوف والأخلاق) و(رياض الخلود) وديوان شعر سماه (آفتاب) بالفارسية في المدح النبوي. وقد صادف تدريسه في مدرسة جامع السور حكم هلوخان الأردلاني الذي جدد له الجامع والمدرسة. وقد كان ذلك الحاكم الأردلاني يحبه ويحترمه. ويقال أنه زار الشيخ ذات ليلة فوجده يكتب ولا مصباح عنده وإنما يضيء المكان حجر يوضع عليه المصباح. فزادت ثقة الوالي بكرامته. ووهبه نصف قرية (نه نه). توفي سنة ١٠١٤هـ = ١٦٠٥م(١).

(٤) هو الشيخ حسن بن الشيخ عبدالقادر من أحفاد الشيخ أبو بكر المصنف، ولد في حدود سنة ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م ونشأ في قرية جور التي بناها الشيخ ابو بكر. سافر إلى العلامة الملا علي القزلجي المدرس في أطراف بوكان من نواحي مهاباد، وقد أجازه العلامة المذكور إجازة عامة في التدريس والإفادة فعاد إلى قرية جور. له من الكتب الرسالة الكلامية في صفات الله وله حاشية على ألفية السيوطي في النحو والصرف، وحاشية على رسالة الاسطرلاب للعاملي، وحواشٍ أخرى. حج إلى بيت الله الحرام سنة ١٣٠٧هـ= = ١٨٨٩م وتوفي في سنة ١٣٢٢هـ= ١٩٠٤م في قرية جور وبها دفن.

وتوجد على بعد حوالي ثلاثة آلاف قدم من قلعة (شاه آباد) قلعة مَريوان التي كانت يوماً ما عاصمة كُردستان، وهي في مكان شديد الاستحكام وقد دارت فيها أكثر من عشرين مرة وقائع بين الجيشين العثماني والإيراني.

وقد التجأ إلى هذه القلعة القاضي ميرزا شقيق الشاه طهماسب الأول الذي شق عصا الطاعة على الشاه أيام حكومة سرخاب بيك الوالي الأردلاني عام ٩٥٦ هجري ١٥٤٨م، وقد شفع الوالي المذكور للقاضي ميرزا لدى الشاه طهماسب وبعثه إلى بلاطه مع واحد وعشرين نفراً من خاصته بتوسط شاه نعمة الله قهستاني الذي كان موضع ثقة الشاه طهماسب.

ومن قرى مَريوان قرية تُسمى (بيلك) عسكر فيها فرهاد ميرزا معتمد الدولة وكان قد وفد إليه حاكم أورامان حسن خان أورامي مع ألف من حملة البنادق وقد عمد فرهاد ميرزا إلى تقييد أخوين من إخوة الحاكم المذكور... وهذه الواقعة والإقدام على ذلك العمل من جملة الوقائع الغريبة في العالم.

ضرائب المنطقة ألف وستمئة وخمسة وخمسون توماناً.

أورامان تخت

تقع هذه المنطقة على بعد خمسة عشر فرسخاً إلى الجنوب الغربي من سنندج. وهي منطقة وعرة المسالك صعبة العبور جداً. وتتصل غرباً بأراضي شهرزور العثمانية وشرقاً وشمالاً بقرى سنندج وجنوباً بمنطقة (أورامان لهون) وقرى (جوانرود). والوصول إليها يتم عبر طريقين يستحيل على الجيوش والمدافع أن تمر منهما. ولذلك فهي تشق عصا الطاعة على الحكومة وتتمرد وتبغي في أغلب الأوقات. وقد شقت عصا الطاعة عام ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٩م وشن السكان غارة ليلية على معسكر فرهاد ميرزا معتمد الدولة وقتلوا مايقرب من ستة وثلاثين جندياً من جيشه، وبناءً على دعوة من ذلك الأمير قامت الدولة بتجهيز جيش يقوده كل من قنبر عليخان سعد الدولة، ومصطفى قليخان اعتماد السلطنة همداني وبيوك خان إقبال الدولة. وأمرت هذا الجيش بقمع عصيان كُردستان.

وفي الحقيقة فإنه بفضل حظ ملك إيران ناصرالدين شاه أدام الله شوكته،

وبإصرار واهتمام و[نفاذ] بصيرة فرهاد ميرزا معتمد الدولة، انتصر ذلك الجيش على الأورامیين وتغلب عليهم ولم يتركهم يعيثون فساداً ويخربون القرى ويقطعون الأشجار والغابات، وتم إعدام جميع العصاة والباغين في كلا منطقتي أورامان ومَن بقي منهم هرب بجلده ولجأ إلى الدولة العثمانية.

والآن فإن ذلك الرفيع الأصل [يقصد معتمد الدولة] خصص كل سنة خمسمئة نفر لحراسة المنطقة ويؤمر عليهم كل سنة رجلاً من أهالي مدينة سنندج. وبذلك فقد نشر ذلك الأمير الأمنَ والاطمئنان في ربوع تلك المنطقة. وبعد عشر سنوات وبسبب عدم تبصر حكام كُردستان فقد انتقل الحكم مرة أخرى إلى يد الأورامیين. ورويداً رويداً يستعدون للتمرد. فهم الآن مطيعون ظاهراً، ويغلون تمرداً وعصياناً في الباطن. عدد قرى هذه المنطقة بضع وثلاثون قرية. وأغلب محاصيلها من التين والرمان. كما توجد غابات بلوط أيضاً. وهي تستورد القمح والشعير وسائر الحبوب من خارج المنطقة. عدد السكان أربعة آلاف نسمة. الضرائب: سبعمئة تومان. والسكان في غاية الوحشية فهم يميلون إلى سفك الدماء ولا يتقيدون بالدين. بعضهم شافعيون وبعضهم تابعون للمذهب الجعفري.

أورامان لهون

تقع على بعد سبعة عشر فرسخاً إلى الشمال الغربي من سنندج. عاصمتها قرية (نفسود) وهي تتصل من جهة الغرب والجنوب بأراضي الدولة العثمانية. وفي أوقات العصيان تتحد كل من (أورامان تخت) و(أورامان لهون) وتصبحان يداً واحدة.

وإن الطريق إلى أورامان لهون يمر من نهر (سيروان) وهو نهر عميق الغور ولا يمكن عبوره إلا ببذل جهود كبيرة.

والآن يستقل بحكم هذه المنطقة رستم سلطان ابن محمد سعيد سلطان. وفي عام ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٩ م قام الجيش الإيراني بقيادة مصطفى قليخان اعتماد السلطنة همداني ومشاركة علي أكبر خان شرف الملك بهجوم على هذه المنطقة حيث تم إحراق عاصمتها (نفسود) بالكامل. كما تم إقتلاع ماكان فيها

من حدائق وأشجار من جذورها. تضم هذه المنطقة اثنتين وعشرين قرية كلها غابات ولا يوجد فيها أرض مستوية صالحة للزراعة. وتنحصر المحاصيل في التين والرمان وهي تفيض عن حاجة الأهالي فيصدرونها إلى خارج منطقتهم ويبيعونها أو يقايضونها بالقمح والشعير وسائر الحبوب وتشتهر المنطقة بانتاج العسل بكثرة.

عدد السكان أربعة آلاف نسمة، الضرائب ثلاثمئة تومان، ويأخذ الناس حاجتهم من الماء من الينابيع، ويلقب الحاكم عندهم سلطاناً. ويوجد أسفل قرية (نفسود) وبالقرب من نهر سيروان ضريح لشخص يسمونه (سلطان اسحق). ويقال إنه من نسل الأئمة. ولكن لست أدري إلى أي إمام من الأئمة الأطهار ينتسب؟!

وإلى الشرق من هذه المنطقة توجد قرية تسمى (هَجيج: بفتح الهاء وكسر الجيم والياء التحتانية المعروفة وسكون الجيم الأخيرة). وهي تقع في مكان شديد الوعورة يقال أنه لاتوجد منطقة أشد وعورة منها في العالم. وهي تضم ضريح سلطان عبيدالله شقيق الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليهم السلام وهو يعرف بـ(كۆسەی هەجيج). إذ يشاع أن ذلك العظيم كان كوسجاً (عديم شعر الذقن) وتنقل عنه كرامات وخوارق كثيرة. ويمتاز أهل تلك القرية بلباسهم الخاص بين جميع الناس إذ يعتمر كل شخص فيهم عمامة تكون علامة خاصة تميزهم عمن سواهم. ويعاملهم الناس معاملة خاصة حيث يبالغون في احترامهم. ولا يأخذ أحد منهم الرسوم الجمركية أو رسوم العبور وفي مواجهة الجبل المتصل بتلك القرية من جهة سنندج يجري نهر عميق جداً ويرتفع الطريق إلى سنندج فوق هذا النهر حوالي أربعين ذراعاً. وقد صنع الأهالي جسراً رفيعاً من العصي والحبال لايستطيع أحد سواهم العبور عليه، وإذا أراد غريب أن يعبر الجسر فإن الأهالي يعصبون عينيه ليعبروا به إلى الطرف الآخر. كما يستطيع أهالي المنطقة حمل حميرهم على أكتافهم والعبور بها فوق ذلك الجسر بيسر وسهولة. هذا ولقد عبرت الجسر ذات مرة ثم تبت توبة نصوحاً ألا أعبره مرة أخرى.

جوانرود

تقع منطقة جوانرود على بعد ستة عشر فرسخاً جنوبي سنندج. وتقع بلدة جوانرود المسماة (قلعة) وسط المنطقة. محيط المنطقة من كل طرف ستة فراسخ. وقد بنى القلعة الموجودة هناك والي كُردستان أمان الله خان الكبير عام ١٢٢٤هـ ١٨٠٩م وهي قلعة حصينة جداً. وقد جمع الوالي المذكور رؤساء الطوائف من جميع القرى وأسكنهم في أطرافها. ويبلغ ارتفاعها عن سطح البلدة أكثر من عشرين ذراعاً وبها عمارات شاهقة، ويأتيها الماء من المرتفعات الشرقية حتى مسافة عشرين قدماً داخل القلعة حيث يكون هناك حوض كبير يمد القلعة وأحواضها المتعددة بالماء.

كما توجد في أحد أطراف القلعة حديقة غنّاء فيها أشجار كثيرة. ونظراً لعدم مبالاة واهتمام الحكام في تلك المنطقة فقد آلت القلعة للخراب. وقد تم قبل اثنتي عشرة سنة الشروع ببناء قلعة جديدة بالقرب من القديمة على يد المهندس سرتيب وبأوامر من الدولة في عهد ميرزا نصرالله خان... ولكن تم غض النظر عن المشروع فلم يكتمل. وليس هواء بلدة جوانرود على مايرام. وثمة جدول من الماء يجري داخل البلدة جنوباً. ويوجد بجانب القلعة القديمة نبع رقراق بني عليه حمام هو الوحيد في البلدة، وثمة أربعة مساجد وتكيتان للدراويش.

والناس في هذه المنطقة سنيون على المذهب الشافعي والطريقة النقشبندية. ويكثر في جوانرود طلاب العلوم الأدبية والدينية، وثمة سلسلة من العلماء يشتهرون بكنية (صديقي) نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وقد انصرفوا إلى العلم والتأليف جيلاً بعد جيل، ومنهم ملا أحمد ملا باشي الذي يعيش حالياً في سنندج وهو عالم فاضل ومسؤول عن أوقاف كُردستان ومتولي أمور مسجد (دار الأمان).

تتصل (جوانرود) غرباً بأراضي (شهرزور) وجنوباً بأراضي (زهاب) و(كرمانشاه) وشرقاً بقرى سنندج وشمالاً بـ(أورامان). وفيها حوالي مئة قرية تغلب عليها الغابات التي يكون شجر البلوط عمادها.

وإحدى القرى المعتبرة في جوانرود هي قرية (باوه) التي عُربت إلى (فاوج) يسكنها حوالي مئة عائلة وفيها خمسة مساجد، أحدها مسجد (عبدالله بن عمر) وهو من المساجد القديمة.

ويوجد بالقرب من هذه القرية نبع يسمى (سراب هولي) وهو في مكان جميل وماؤه رقراق صاف، ويعتمد الناس على مياه النهر الذي ينبع من الجبال الموجودة هناك. عدد السكان خمسة عشر ألف نسمة.

محاصيل المنطقة: القمح والشعير والذرة والحمص والعدس والجبس والبطيخ والتبغ والرمان. وتشتهر قرية (باوه) في جميع أنحاء كُردستان بإجاصها.

كما تصدر هذه المنطقة إلى الخارج العسل والـ (كزانكبين) والصمغ والكتيراء. ومن الصادرات التي تتفرد بها (جوانرود وسردشت) صنف من العسل يسمى (شاه بدرم) حيث لايعثر عليه إلا في هاتين المنطقتين. والنحل التي تصنع هذا العسل أضعف وأرفع من باقي أنواع النحل ولا يمكن أن تدجن وتربى في البيوت بل تتخذ بيوتها في الأراضي الوعرة ذات المياه القليلة. وتصنع خلاياها الصغيرة في حفر بعمق نصف ذراع. وطعم هذا العسل يختلف عن طعم العسل العادي ويشبه طعم ثمر الكباد.

الصناعات الشهيرة في هذه المنطقة: صناعة أقمطة الأطفال والغلايين والسكاكين والقداحات.

ومن آثارها الغريبة مغارة حجرية في قاعدة جبل تسمى مغارة (كاوات). وقد زرتها بنفسي ويظن المرء لأول وهلة أنها نافذة أو رواق من صنع البنائين ولها هيئة الهلال. وتوجد في مقدمتها صفة أو مصطبة ترتفع ثلاثة أذرع عن الأرض حيث يتم الوصول إلى طاقة كبيرة مفتوحة عن طريق عبور تلك المصطبة مع الانحناء قليلاً. وحالما يصل المرء إلى داخل المغارة يصادف أثر غرفتين مبنيتين بالحجر المنحوت. وعند نهاية المغارة بفاصل قدمين عن الجدار يلاحظ وجود جرنين حجريين مملوئين بالماء على شكل فوهتين في عرض المغارة. وتتجه النافذة الهلالية إلى الجنوب، أما الفوهتان فإحداهما إلى الشرق والأخرى إلى الغرب. يدخل الماء من الفوهة الشرقية ويخرج من الغربية. ويستطيع المرء اجتياز الفوهتين بسهولة، ولكن من جملة العجائب أن

كثيراً من السواح الذين أخذوا معهم المصابيح والزاد ودخلوا هاتين الفوهتين وقطعوا مسافة فيها عادوا خوفاً من انتهاء الزاد قبل الوصول إلى النهاية. وقد عقد بعض من ولاة كُردستان العزم على استكشاف المغارة فأرسلوا ناساً في سبيل تحقيق الوصول إلى النهاية ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة.

ضرائب هذه المنطقة أربعة آلاف وثمانية وتسعون تومناً. ولقد قمت في عام ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م بالكتابة مفصلاً عن جغرافية المنطقة حسب أمر محمد حسن خان اعتماد السلطنة وأرسلت له بحثي ذاك فألحقه كما هو بكتابه (مرآة البلدان) المطبوع والموجود لدى الجميع.

ييـــلاق

تقع (ييلاق) شرقي مدينة سنندج، وتبدأ حدودها (الإدارية) خارج سنندج من مسافة فرسخ إلى ثمانية فراسخ. يلقب حاكمها بالسلطان وهو يتجول في قراها البالغ عددها ثمانين قرية. إن هذه المنطقة شديدة البرودة، حيث يبقى سكانها في قراهم لايغادرونها تسعة أشهر كاملة ولا يستطيعون العيش دون إشعال النيران [للتدفئة].

محاصيلها محصورة في القمح والشعير والحمص والعدس. ولا يعثر المرء فيها على غابات طبيعية أبداً. ويحصل الناس على حاجتهم من الحطب بواسطة نبات له أغصان شوكية ويسميه الكُرد (گادمه). بالكاف الفارسية على وزن (خادمه).

ويبلغ عدد سكان هذه المنطقة حوالي اثني عشر ألف نسمة، وهم من السنة الشافعيين ضرائبها ثلاثة آلاف وستمئة وأربعة عشر تومناً. وتستمد مياهها من الأنهار والينابيع.

كـــلات أرزان

تبدأ حدود هذه المنطقة على مسافة فرسخ واحد وحتى ثمانية فراسخ غربي مدينة سنندج. عدد قراها ستمئة وأربعة قرى. وهي تعج بالغابات وأشجار

الجوز والمشمش وغيرهما. وليس فيها مكان خاص بالمباشِر (وهو جابي الضرائب الذي توظفه الدولة لاستحصالها. المترجم) الذي يضطر للتجوال بين القرى.

حاصلاتها: القمح والشعير والحمص والعدس وعدد كبير من أشجار الكرمة والفواكه ذات القطوف الدانية. كما تشتهر المنطقة بانتاج الكتيراء.

عدد السكان قريب من عشرة آلاف نسمة. مصادر المياه هي الأنهار والينابيع.

ضرائبها: ألف وستمئة واثنان وسبعون تومناً.

والسكان شافعيون. وهم بسطاء جداً وأهل طاعة وعبادة. حيث يوجد في كل قرية من القرى مسجد للصلاة. وفي إحدى قرى المنطقة والتي تسمى (نگل) بالكاف الفارسية يوجد مسجد قديم يسمى مسجد عبدالله بن عمر توجد فيه نسخة كبيرة الحجم من القرآن الكريم بالخط الكوفي. وقد زرت المسجد المذكور وشاهدت تلك النسخة من القرآن. وهي من النسخ القديمة جداً ومن المعتقد أنها نسخت قبل ألف سنة. وفي مسجد (آيا صوفية) في اسطمبول توجد نسختان من القرآن الكريم من نوع نسخة مسجد عبدالله بن عمر. إحداهما كُتبت بخط الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. والثانية بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كروز

بضم الكاف العربية وفتح الراء المهملة ثم الواو المفتوحة فالزاي المعجمة الساكنة. هي منطقة تقع على بعد عشرة فراسخ إلى الغرب من مدينة سنندج. سكانها من عشيرة (الكوماسي). وهم طائفة من الناس أشرار وعديمو أدب.

وتوجد في هذه المنطقة عشرون قرية. ويحتمل أن يكون عدد السكان ألفين وخمسمئة نسمة. الضرائب مئتان وخمسون تومناً. وبالرغم من قلتها فهم كثيرو الشر. ويتعرضون لجباة الخراج والضرائب مئتين وخمسين مرة في السنة. ومع أن حاصلات هذه المنطقة قليلة فهي تفي بحاجة الأهالي. وهي عبارة عن القمح والشعير والذرة. أما الغابات الموجودة فهي عبارة عن غابات من شجر البلوط ولسان العصفور. وتشكل الأنهار والينابيع مصادر مياه لتلك النواحي.

زاورود

تقع هذه المنطقة على بعد أربعة فراسخ جنوبي مدينة سنندج وهي تضم ثمانية وخمسين قرية. سكانها بسطاء وذوو طاعة وعبادة. ويوجد في كل قرية من قراها مسجد. وبعض المساجد قديمة البناء، وكل مسجد قديم يسمى (مسجد عبدالله بن عمر أو عبدالله عمران) وليس معلوماً أي عبدالله يقصدون. والمؤكد أن هذه المساجد بنيت في عهد الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، حيث تم فتح هذه المناطق على يد الجيوش الإسلامية.

تشتهر المنطقة بغاباتها وبساتينها الكثيرة والأشجار المتوافرة هي المشمش والتفاح والسفرجل والجوز. أما حاصلاتها من الحبوب فهي القمح والشعير وسائر الحبوب الأخرى وهي تفي بحاجة السكان.

مصادر المياه: الأنهار والينابيع

الضرائب: أربعة آلاف وثلاثمئة وأربعة عشر تومناً.

هوباتو، سارال، قراتوره

توجد هذه البلدات في منطقة واحدة تقع على بعد عشرة فراسخ إلى اثني عشر فرسخاً شمالي سنندج. وهي تضم اثنتين وثمانين قرية.

أما هوباتو فهي شديدة البرودة. وتنقطع طرقها بسبب تراكم الثلوج مدة أربعة أشهر وفي فصلي الصيف والربيع تنمو فيها أنواع كثيرة من الأزهار والأعشاب.

أرضها مسطحة عالية. وفيها ينابيع صافية. وتعتبر من أفضل بقاع كُردستان في فصل الصيف، طول هذه المنطقة فرسخان وعرضها فرسخان، وعدد سكانها اثنا عشر ألف نسمة وهم من قبائل (مندمي) و(گلباغي).

حاصلاتها: القمح والشعير والذرة، والحمص والعدس والبطيخ والجبس والتبغ. وليس فيها غابات جبلية.

مصادر المياه: الأنهار والينابيع. وأهم نهر في المنطقة هو نهر (قزل أوزن)

[بالتركية ويعني النهر الأحمر الطويل. ج.د].

وتسمى إحدى قرى هذه المنطقة (هەزار كانيان) أي الينابيع الألف. يقال أنه يوجد فيها ألف نبع والله أعلم بعدتها.

الضرائب: ألفان وثمانمئة وعشرون تومناً. وجابي الضرائب يتجول في القرى وليس له مكان معين.

أمير آباد، پلنگان، بيلاور

تعتبر هذه البلدات، بسبب تجاورها، منطقة واحدة، وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من سنندج على بعد ثمانية إلى اثني عشر فرسخاً.

ضرائبها: ألف وثلاثمئة وثلاث وستون تومناً.

القرى: ثلاثة وخمسون قرية.

السكان: أربعة آلاف وخمسمئة نسمة.

الحاصلات: العنب والجوز والقمح والشعير والحمص والعدس، وتتوزع فيها غابات البلوط وشجر لسان العصفور.

وتقع بيلاور التي هي إحدى بلدات هذه المنطقة قرب حدود كرمانشاه.

حسن آباد

سميت المنطقة (حسن آباد) على اسم قرية بنفس الاسم تقع على بعد فرسخ واحد جنوبي مدينة سنندج. وثمة جبل ينتصب جنوب هذه القرية بنيت على قمته منذ القدم قلعة حصينة جداً، وكما أشرنا سابقاً. فإن الوالي [الأردلاني] هلوخان الذي كان عاصمته قلعة (پلنگان) قام بترميم تلك القلعة واتخذها في فترات مختلفة من حكمه عاصمة لملكه. وما تزال إلى الآن آثار تلك القلعة ماثلة للعيان.

وفي عهد الشاه صفي (الصفوي) قام حاكم كُردستان سليمان خان بتغيير العاصمة من قلعة (حسن آباد) إلى سنندج الحالية.

وعلى أية حال فإن طول منطقة حسن آباد يبلغ سبعة فراسخ. ويجري عبر

المنطقة نهران عظيمان يسمى أحدهما (كاوه رود). السكان سنّة على المذهب الشافعي والطريقة النقشبندية.

ومن قرى هذه المنطقة قرية تدعى (سمران) من أملاك حضرة الشيخ حاجي شيخ محمد يوجد فيها مسجد رائع الجمال بناه الشيخ المذكور الذي هو أصلاً من العائلات النبيلة المعتبرة في كُردستان. وقد اقتفى منذ شبابه أثر آبائه وأجداده وتشرف بزيارة بيت الله الحرام. وفي سلك التصوف كان مريداً للشيخ عثمان الذي كان دعامة الإرشاد في الطريقة النقشبندية. وكان [الشيخ حاجي] قطب زمانه زاهداً في الدنيا قانعاً بالخبز وحده. عاكفاً عن مخادعة الخلق.

وتوجد في هذه القرية أيضاً تكية ومنزل بمثابة محط للرحال. ولا بد لكل من يزور المنطقة من الخواص والعوام أن يحل ضيفاً هناك.

كما توجد في هذه المنطقة قرية تدعى (پير مقداد) فيها مسجد جميل قديم البناء. دفن إلى الجهة الشرقية من الطرف الخارجي من ذلك المسجد، رجل يعتبر قبره مزاراً للخاص والعام. وفي أغلب هذه القرى أضرحة لكبار الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وسبب وجود هذه الأضرحة في قرى كُردستان ليس معروفاً والعلم عند الله.

عدد القرى اثنتان وثلاثون قرية.

الضرائب أكثر من ألفين وأربعمئة تومان.

عدد السكان خمسة آلاف وخمسمئة نسمة.

كان هذا شرحاً لأوضاع مناطق كُردستان السبعة عشر، التي وفقني الله إلى بيان أحوالها.

حسين آباد

ثمة منطقة أخرى في كُردستان تسمى (حسين آباد) تقع شمال مدينة سنندج. عدد قراها أربعة وثلاثون قرية. السكان تقريباً خمسة آلاف نسمة.

الضرائب: ألف ومئتان وستة وتسعون تومناً.

ولأن هذه المنطقة لم تخصص بموظف أو محصِّل ضرائب بل اعتبرت جزءاً من حكومة (قراتوره، سارال، هوباتو)... فإنني لم أكتب عنها كمنطقة خاصة بل ألحقتها بتلك المناطق كي لايتهمني القراء بعدم الاطلاع.

الفصل الرابع

أنهار كُردستان

الآن وقد فرغت من بيان أحوال مناطق كُردستان، فإنني سأبدأ بعون الله تعالى بالكتابة عن أنهارها ومنابعها ومصباتها.

لايخفى أنه يجري في كُردستان سبعة عشر نهراً كبيراً. وتنتهي هذه الأنهار في أربع مصبات مشهورة. ثمانية منها تصب في شط بغداد [شط العرب] وثلاثة تصب في البحر المالح "طسوج" أو بحيرة أورمية، وأربعة تصب في بحر (رشت) ونهران يصبان في نهر (قراسو) الذي يجري في كرمانشاه.

ولكي أزيد من بصيرة القراء فإنني سأبين منبع وجريان كل نهر على حدة ومن الله التوفيق.

فالأنهار التي تنتهي في شط بغداد هي التالية:

نهر سنندج، نهر كاورود، نهر پلنكان، نهر كاران، نهر سوركول، نهر مَريوان، نهر زلان، نهر بانه.

والأنهار التي تصب في بحيرة أورمية هي: نهر قزل أوزن، نهر كوله، نهر تروال، نهر حاجي جا.

أما الأنهار التي تصب في نهر (قراسو) فهي: نهر روانسر، نهر زرين جوب وشيروانه.

نهر مدينة سنندج

يعرف هذا النهر باسم نهر (قشلاق) أيضاً، وقد بنى أمان الله خان الكبير في مطلع هذا النهر جسراً تعرض للخراب بمرور الزمن.

وفي عام ١٢٦٨هـ = ١٨٥١م قام الميرزا محمد رضا وزير كُردستان بهدم ذلك الجسر من أساسه، وبنى مكانه جسراً شديد الاستحكام هو الجسر الموجود حالياً.

ينبع هذا النهر من جبال (سفيد) و(سنَك سفيد) وهي قرية من كُردستان تقع إلى الشمال من سنندج على بعد خمسة فراسخ، ويجري هذا النهر جنوباً باتجاه مدينة سنندج حتى يعبر موازياً لها على بعد نصف فرسخ. وبعد خمسة فراسخ يلتقي بنهر كاورود، ولمسافة ثلاثين فرسخاً يجري النهران الملتقيان اللذان يسميان حينئذ نهر سيروان الشهير والواقع في الأراضي العثمانية. وهو يصب بدوره في شط العرب.

ويبلغ طول هذا النهر من منبعه حتى نقطة التقائه بنهر سيروان أربعة وأربعين فرسخاً.

نهر كاورود

يجري هذا النهر على بعد خمسة فراسخ جنوب مدينة سنندج، وهو ينبع من قريتي (آكه) و(طولان) واتجاه جريانه من الشرق إلى الجنوب الغربي.

ويبلغ طوله من المنبع إلى المكان الذي يسمى فيه (كاورود) ستة فراسخ، ثم يجري مسافة أربعة فراسخ ليلتقي بنهر (سيروان). وبعد طي تلك المراحل يصب في شط العرب. وقد أنشأ درويش بيك من طائفة وكلاء كُردستان قبل مئة وأربعة أعوام جسراً محكماً على هذا النهر عند قرية (دير مولى). ولكن هذا الجسر تعرض للخراب عبر هذه السنوات الطوال. مما دفع الميرزا عبدالغفار خان معتمد كُردستان إلى إنشاء جسر جديد شديد الاستحكام على نفس المكان الذي كان الجسر القديم قائماً فيه. وقد أفاد هذا الجسر الناس كثيراً ومكّنهم من العبور ذهاباً وإياباً.

نهر پلنكـــان

ينبع هذا النهر من قريتي (لهون) و(شاهيني) الواقعتين على بعد اثنتي عشر فرسخاً من سنندج شرقي (پلنكان). ويبلغ طوله من منبعه حتى قرية پلنكان مسافة ستة فراسخ. ومن هناك وبعد أن يجري ثلاثين فرسخاً يصب في نهر (سيروان) الذي يصب بدوره في شط العرب.

پلنگان: بالباء الفارسية، قرية تقع على بعد اثني عشر فرسخاً من مدينة سنندج، وكما ذكرت سابقاً، فقد كانت في العهود السالفة عاصمة ولاة كُردستان. وكانت موقعاً شديد المنعة.

نهر گاران

بالكاف الفارسية والراء المهملة والألف والنون جبل يقع على بعد اثني عشر فرسخاً من مدينة سنندج. وفيها غابات عظيمة يغلب عليها شجر البلوط والمازوج.

ويجري نهر (گاران) أسفل الجبل المذكور من الجهة الغربية، وهو ينبع من الطرف الشمالي لجبال قرية (گله) من قرى مَريوان. ويبلغ طوله من منبعه وحتى جبل گاران فرسخين. ومن هناك وبعد أن يجري مسافة ستة فراسخ يلتقي بنهر مَريوان مقابل قرية (قلعه كاه) وبعد مسافة فرسخ واحد يلتقي بنهر (سوركول) مقابل قرية (سرو آباد) حيث يتجه مباشرة ليلتقي بنهر (سيروان) الذي يصب في شط العرب كما هو معروف وهذا النهر يتجه في جريانه جنوباً.

وقد أنشأ محمد علي خان ظفر الملك ابن الوالي المرحوم رضا قليخان جسراً منيعاً على هذا النهر وصرف عليه مبلغ ألفي تومان.

نهر سوركول

سوركول: قرية من قرى كُردستان تقع على بعد عشرة فراسخ غربي مدينة سنندج، ويمر النهر المسمى باسم القرية على بعد فرسخ واحد منها. وهو ينبع من جبال قرية (قتون) بفتح القاف وضم التاء وسكون النون، وهي من قرى مَريوان.

ويبلغ طول هذا النهر من منبعه حتى قرية (سوركول) ستة فراسخ. ثم يجري مسافة أربعة فراسخ حتى يحاذي قرية (سرو آباد) فيلتقي بنهر (مَريوان) الذي ينبع من بحيرة (زره بار). ومن هناك يجري مسافة ستة

فراسخ حتى يلتقي بنهر (كاورود) بمحاذاة قرية (عباس آباد) في أورامان. ثم يصب في نهر (سيروان) الذي يلتقي بدوره بمياه شط العرب.

طول هذا النهر من منبعه حتى نقطة التقائه بنهر (سيروان) أربعون فرسخاً على وجه التقريب. ويكون جريانه باتجاه الجنوب دائماً.

و (سُوركَوُل) بضم السين المهملة وسكون الراء وفتح الكاف العربية وضم الواو وسكون اللام تعني في اللغة الكُردية (التلة). وكلمة سور تعني الأحمر، وكَوُل لفظة تطلق على التلال الصغيرة المغطاة بالحصباء حيث لاتنمو فيها الأعشاب وغيرها من النباتات.

نهر مريـــوان

مَريوان من مناطق كُردستان تقع على بعد خمسة عشر فرسخاً غربي مدينة سنندج بنيت فيها قلعة (شاه آباد). كما تقع فيها بحيرة (زره بار) التي ينبع منها نهر (مَريوان) الذي يتجه شرقاً في جريانه حتى قرية (سرو آباد) حيث يجتمع بنهر (سوركَوُل) فيجريان جنوباً حتى الالتقاء بنهر سيروان. وذلك بعد أن يقطع مسافة خمسة وثلاثين فرسخاً ابتداء من منبعه في بحيرة (زره بار) التي كانت في الأصل وحسب قول المتقدمين مدينة معتبرة غرقت فيما بعد، وكانت قبلاً تسمى (سدوم) وهي مذكورة في التوراة وقد كتب عن غرق هذه المدينة روايات مختلفة والله أعلم.

ولقد ذهبت بنفسي عدة مرات إلى مَريوان للكشف على هذه البحيرة والتحقق من أحوالها وتوصلت إلى قناعة تامة بأن تلك البحيرة ستجف لاحقاً.

نهر زلان

يعرف هذا النهر باسم نهر (ليله) بكسر اللام الأولى والياء التحتانية وفتح اللام الثانية واخفاء الهاء. وتقع منابع هذا النهر في الجبال القريبة من قرية (ناراو) التي هي آخر قرية من قرى (جوانرود) وتقع على بعد ثلاثة فراسخ إلى الشمال منها. ويبلغ طول هذا النهر من منبعه إلى قرية (زلان) ستة

فراسخ وهو يتجه جنوباً حتى يلتحق بنهر سيروان. و(زَلان) بفتح اللام من قرى (جوانرود) وتبعد عنها مسافة ثلاثة فراسخ جنوباً.

وفي عام ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م انتشر وباء الطاعون في هذه القرية وقد أتى على خلق كثير منها حتى تم إيفاد طبيب خاص من ملاك (حماية الصحة في كُردستان) ليقوم بتشخيص ذلك المرض الساري. وحال وصول الطبيب والكشف عن المصابين أمر بإحراق الأمتعة والثياب التابعة لأولئك المصابين ومنع الناس من القدوم إلى تلك القرية، كما منع السكان من مغادرتها إلى القرى الأخرى. وهكذا حال دون انتشار ذلك الوباء.

نهر بانـــه

ينبع هذا النهر من جبل (خان) الواقع شمالي (بانه) ويفصلها عن مدينة سقز. وعندما يصل النهر إلى (بانه) يكون قد قطع أربعة فراسخ. ثم يتجه إلى الجنوب الغربي ليتوغل في الأراضي العثمانية مسافة ستة فراسخ ويصب في الأنهار العثمانية التي تلتقي بدورها مع شط العرب.

أما الأنهار التي تنبع من كُردستان وتصب في بحر طسوج أي أورمية فهي الأنهار التالية:

نهر جغاتو

بالجيم العربية والغين المعجمة والألف الممدودة والتاء المضمومة والواو المعروفة، وتلفظ أيضاً بدون ألف هكذا (جغتو). وهو نهر عظيم جداً يقع في الشمال الغربي من مدينة سنندج على بعد اثنين وعشرين فرسخاً. وهو ينبع من جبل (چهل چمه أي اربعين نبعاً) باتجاه الشمال. وكلمة (چمه) تعني النبع. بفتح الجيم الفارسية والميم وإخفاء الهاء. ويقع هذا الجبل مقابل قرية (بَست) بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة والتاء الفوقانية الساكنة. وهي قرية من قرى كُردستان تقع إلى الشمال الغربي من مدينة سنندج على بعد اثني عشر فرسخاً. ويمر نهر جغاتو بأراضي (سقز) و(سياه كو) ويلتقي

على مقربة من (ميان دوآب) بنهر (تتهو) ويصب أخيراً في بحيرة (أورمية). وطول هذا النهر ابتداءً من منبعه في جبل (چهل چمه) حتى مصبه في بحيرة أورمية أربعون فرسخاً. وقد قال صاحب (نزهة القلوب) أن طول النهر خمسة وعشرون فرسخاً. وهذا خطأ ناتج عن عدم اطلاعه [نزهة القلوب كتاب في الجغرافيا ألفه حمد الله مستوفي القزويني، ورد فيه اسم كُردستان. المترجم].

(تَتَهو) بفتح التاءين المتتاليتين وضم الهاء ثم الواو المعروفة. هو عبارة عن نهر في أراضي (مُكري) ينبع من جبالها وقد وقع صاحب (نزهة القلوب) في خلط أيضاً عندما تحدث عن هذا النهر فزعم انه ينبع من جبال كُردستان بالقرب من وادي سنندج ؟!

نهـــر سقـــز

ينبع هذا النهر من جبل (خان) وهو جبل عظيم يفصل بين سقز وبانه، وهو يتجه شمالاً ليحاذي مدينة سقز. ويبلغ طوله من منبعه حتى نقطة محاذاته مدينة سقز ستة فراسخ. ثم يجري مسافة أربعة فراسخ ليصل قرية (قلندر) وهي آخر قرية من قرى منطقة سقز. بعد ذلك يلتقي بنهر جغاتو ليصب أخيراً في بحيرة أورمية.

نهر خور خوره

ينبع من جبل (چهل چمه) مثل نهر (جغاتو). وهو يجري باتجاه الشمال. وبعد أن يقطع مسافة عشرة فراسخ يلتقي بنهر جغاتو ليصب أخيراً في بحيرة أورمية. وللبيان فإن نهر (جغاتو) ينبع من الطرف الغربي لجبل (چهل چمه) أما نهر خور خوره فينبع من الطرف الشرقي.

أما الأنهـار التي تنبع من أراضي كُردستـان وتجري شمالاً لتـصب في بحر رشت (بحر قزوين ويسمى أيضاً بحر مازندران... المترجم) فهي هذه:

نهر قزل اوزن

يجري إلى الشمال من مدينة سنندج على بعد عشرة فراسخ منها، وهو ينبع من جبال منطقة (سارال) التي سبق ذكرها. وهذا النهر عظيم ومهيب جداً. وهو يمر بمنطقة (كروس) ثم يحاذي حدود (زنجان) ويصب في بحر رشت. وهو يعتبر الحد الفاصل بين العراق العجمي وأذربيجان. ولهذا النهر روافد كثيرة تصب فيه سواء من كُردستان أو من غيرها. أما طوله فيبلغ من منبعه حتى مصبه سبعين فرسخاً. وقد أقيمت عليه جسور كثيرة منها الجسر القوي الذي أقامه ميرزا علي نقي ابن الميرزا محمد رضا الوزير (كاتب ديوان الجند حالياً) وذلك قرب قرية (غيبى سور) الواقعة على بعد ثمانية فراسخ من مدينة سنندج وذلك عام ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م وقد بلغت تكاليف بناء ذلك الجسر حوالي أربعة آلاف تومان.

كما أنشأ أحد أجداد حسن علي خان أمير النظام جسراً بالغ الروعة وفي غاية الاستحكام في قرية (صلاة آباد) في كروس.

نهر كَوْلـــه

كوله بفتح الكاف العربية وسكون الواو وفتح اللام المفخمة وإخفاء الهاء... هي قرية من قرى كُردستان تقع على بعد عشرة فراسخ شمالي مدينة سنندج وينبع النهر المسمى باسمها من جبال قرية (آقبلاق). ويبلغ طوله من المنبع حتى قرية (كَوْله) فرسخين اثنين. وبعد مروره من قرية كَوْله. يجري مسافة ثلاثة فراسخ حيث يواجه قرية (نساره) ويلتقي بنهر (قزل أوزن) ثم يصب في بحر رشت.

نهـــر تَروال

تروال بفتح التاء وسكون الراء ثم الواو تتبعها الألف الممدودة فاللام الساكنة. قرية في منطقة (ئيلاق) تقع على بعد ثمانية فراسخ من سنندج. والنهر المسمى باسمها ينبع من جبال قرى (كزكزاره وقره بلاق) التي تقع شرقي سنندج على بعد خمسة فراسخ. ويجري هذا النهر ابتداء من منبعه باتجاه الشمال إلى أن يلتقي بالقرب من قرية (صلاة آباد) بنهر (قزل أوزن) ثم يصب في بحر رشت. ويبلغ طوله من المنبع وحتى (قزل أوزن) خمسة عشر فرسخاً.

نهر حاجي جا

يجري هذا النهر ضمن أراضي إسفند آباد في كُردستان. وهو ينبع من جبال (جهار دولي) ويتجه في جريانه شمالاً. ويفصله عن سنندج من جهة الشرق مسافة اثنتي عشر فرسخاً. وهو يصب في نهر تَروال الذي يلتقي بدوره في نهر (قزل أوزن). ويبلغ طوله من المنبع وحتى نهر تَروال أحد عشر فرسخاً. ويقال أن اسم النهر كان في الأصل (آجي جا)، حيث تعني آجى في التركية، الطعم المر و(جا) تعني نهر وعلى هذا يكون ترجمة اسم النهر هو النهر المر لأن طعم مائه يميل إلى المرارة.

أمـا الآن فسنفـصِّل في أحـوال الأنهـر التي تصب في (نهـر قراسـو) في كرمانشاه:

نهر رَوانسَر

روانسـر: بفـتح الراء فـالواو ثم الألف الممـدودة والنون السـاكنة والسين المفتوحة فالراء الساكنة... عبارة عن قرية في كُردستان تقع إلى الجنوب من سنندج على بعد خمسة عشر فرسخاً. وهي تقع على سفح جبل ينبع منه النهر المسمى (نهر رَوانسَر) وحينما يصل هذا النهر إلى كرمانشاه يصبح اسمه

(قراسو). ويبلغ طوله من المنبع حتى كرمانشاه عشرة فراسخ. وهو يجري باتجاه الجنوب.

نهر زرين جوب وشروانه

زرين جوب وشروانه قريتان من قرى كُردستان تقعان إلى الجنوب من مدينة سنندج على بعد عشرة فراسخ. وينبع النهر المسمى باسمها من جبل (مروارید) الواقع على بعد ثمانية فراسخ جنوبي سنندج. وبعد أن يجري هذا النهر مسافة ستة فراسخ اعتباراً من منبعه يلتقي بنهر (راز آور) في كرمانشاه ثم يصب في (قراسو).

كان هذا شرحاً لأحوال الأنهار السبعة عشر الجارية في أراضي كُردستان سنندج. والآن وبعد شرح وبيان الأوضاع الجغرافية للمدن والمناطق والأنهار الكُردستانية حسب ماتوصلت إليه نتيجة دراساتي وتحقيقاتي سأبدأ بشرح حال الجبال الواقعة في كُردستان باختصار.

الفصل الخامس

جبال كُردستان

لم يعد خافياً على أحد أن كُردستان تضم جبالاً لا تُعد ولا تُحصى. ولأن بيان حال كل جبل في هذه العجالة التي أكتبها لايخلو من الإشكالات ولا يفيد كثيراً القراء في هذا الإقليم، كما أن أهالي كُردستان الذين لن يزدادوا معرفة ولن يحصلوا على حصة وافية من هذا العلم الشريف (بما أكتبه)، سيسهل عليهم أن يسفهوني ويوجهوا إليّ اللوم والتوبيخ.

ولهذا كله فقد قررت الكتابة عن أهم الجبال في كُردستان والتي زرتها بنفسي وتجولت فيها كلها. وبإذن الله إن بقيت على قيد الحياة، فإنني سأقوم بوضع دراسة شاملة لجميع جبال كُردستان بأسلوب جميل.

جبل شاهو

شاهو بالشين المعجمة تتبعها الألف الممدودة والهاء المضمومة والواو المجهولة. إن أول جبل جدير بالذكر في كُردستان هو جبل شاهو الواقع جنوبي مدينة سنندج على بعد ستة عشر فرسخاً، ويعتبر هذا الجبل الحد الفاصل بين منطقة جوانرود وسائر المناطق الجنوبية من كُردستان. وهو جبل عظيم شامخ ويمتد ابتداء من قرية (داريان) في منطقة أورامان شرقاً وعلى طول ثمانية فراسخ حتى يصل مضيق كرمانشاه... وفي هذه المناطق كلها يسمى جبل شاهو. ثم يسمى في كل منطقة باسم خاص. فهو يسمى في كرمانشاه مثلاً جبل (براو). وهو مكلل بالثلوج على مدار السنة.

وتتناثر على هذا الجبل حفر كثيرة يبلغ عمقها أكثر من أربعين ذراعاً وهي مليئة بالثلوج وفي الصيف ينمو على الجبل كثير من الأعشاب والأزهار. ويعتبر مرتعاً لاصطياد كافة أنواع الحيوانات. ويستفيد الناس في المناطق التي يمتد فيها الجبل من مياهه ونباتاته استفادة عظيمة.

وفي عام ١٢٨٠هـ = ١٨٦٣م أي قبل تسعة وعشرين سنة قمت شخصياً بجولة في هذا الجبل. وبعد تعرضي لكثير من العقبات والمصائب وصلت إلى القمة. وهناك دلّني مرافقي ومستخدمي وهو من أهالي المنطقة على حفر قال إن عمقها يتجاوز ألف ذراع وكانت تلك الحفر مليئة بالثلوج. ولكن في الحقيقة لايمكن البرهان على ذلك علمياً بل نقل الرجل معلوماته عن آبائه وأجداده. ويطلق أهل المنطقة لفظة (نور) على تلك الحفر التي يعيش في ثلوجها نوع من الديدان بحجم صغار الجراد (الدَّبا) وهم يجمعون تلك الديدان ويصبِّرونها ليستعملوها وقت الضرورة عوضاً عن الثلج والجليد حيث تقوم هذه الديدان المصبّرة بتبريد الماء إلى درجة عجيبة.

ولقد قمت بدراسات وتحقيقات بالغة الأهمية في هذا الجبل وشاهدت فيه حجارة متخلخلة تشبه حجر الخطاف. وقد استنتجت أن هذا الجبل كان جبلاً بركانياً منذ عهود قديمة، وقد ثارت البراكين قاذفة الحمم والمواد الحارقة. وبعد هدوء ثورة البركان اتخذت تلك الحجارة أشكالها المعروفة. ولقد توصلت حسب القرائن العلمية إلى نتيجة مفادها أن هذا البركان الخامد سيثور مستقبلاً والله أعلم.

وفي عام ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م سمع أهالي تلك المنطقة أصواتاً رهيبة أشد هولاً من دوي المدافع. وقد سالت الحمم والحجارة العظيمة على أطراف الجبل. تبع ذلك هطول مطر حوَّل تلك الحجارة إلى مايشبه الكلس المتفتت وبما أن أهالي تلك المنطقة كُرد ريفيون ولا علم لهم بمسائل البراكين والأمور العلمية فقد حاروا في الأمر ولم يعرفوا أسبابه.

وبعد تلك الواقعة جفَّ نبع قديم في أسفل الجبل وكان يمد نهر قراسو في كرمانشاه بالماء. وبعد فترة من الجفاف عاد النبع إلى جريانه كعهده الأول. وحسب قول الأهالي فقد ماتت الأسماك وانقذفت خارج النبع بعد جريانه وتغير الماء ليصبح كالمستنقعات لمدة ثلاثة أيام.

ولقد عزمت بعد وقوع هذه الحادثة عدة مرات على السفر إلى تلك المنطقة مرة ثانية لأقوم بعمل تحقيقات أخرى ولكن إلى الآن لم يتسنَّ لي ذلك. وإذا استطعت فإنني سأقوم بإذن الله بزيارة ذلك الجبل وسأكتب تفاصيل

استكشافاتي في صحف إيران.

ويقال إن اسم هذا الجبل كان في الأصل (شاه كوه) [أي جبل الشاه] لكن الكُرد حوَّلوه إلى (شاهو).

أما قبائل هذه المنطقة فيصطافون فيه. ومن أشجاره البلوط واللوز والأرجن.

جبل كُوسالان

كوسالان: بضم الكاف العربية والواو المجهولة والسين المهملة ثم الألف المدودة فاللام والألف فالنون الساكنة. جبل يقع في أورامان. ويبدأ من قرية (زريزه) لينتهي في قرية (بهرام آباد). وهو مصاد لجميع أنواع الحيوانات وتعيش كثير من السباع فيه.

جبل نَكَه روز

بفتح النون والكاف العربية وإخفاء الهاء وضم الراء والواو المجهولة فالزاي المعجمة الساكنة. جبل يقع في أراضي سقز في الجهة الجنوبية الغربية ويتصل بأراضي منطقة بانه. ويمتاز بكونه مرتعاً خصباً للأعشاب ومكاناً مليئاً بالمياه. وتنتشر فيه غابات كثيرة وهو مكان جيد للصيد لكنه لايفيد الأهالي كثيراً.

جبل خسرو خان

يقع هذا الجبل في (خورخوره) على بعد أربعة عشر فرسخاً إلى الشمال الغربي من سنندج وهو من الجبال الشاهقة. ويمنح عطاءاته لأهالي المنطقة من قبيل النباتات والمياه والأعشاب المستخدمة حطباً. ويتم فيه صيد جميع أنواع الحيوانات.

جبل أبدالان

يقع على بعد سبعة فراسخ جنوبي مدينة سنندج وهو أعلى جبل في تلك المنطقة. وقد دفن في قمته سبعة نفر من الزهاد سمُّوا (أبدالان). والأبدال صنف من رجال الغيب أي الدراويش الجوالين الزاهدين في الدنيا. ولذلك اشتهر هذا الجبل باسم (أبدالان).

وينمو على هذا الجبل نوع من البصل إذا بادر المرء إلى أكله هناك كان له طعم البصل العادي. ولكنه حينما ينقل إلى مكان آخر يتغير طعمه. وثمة مثل شائع في كُردستان يقول: (وكو بيوازى عودالانه: خواردنى هەيه. بردنى نيه) ومعناه: مثل بصل أبدالان يؤكل ولا ينقل.

[أورد المؤلف المثلَ باللغة الفارسية. وقد قام المحقق الفاضل الأستاذ محمد رؤوف توكلي بكتابة أصل المثل بالكُردية في الهامش. رأينا من الأنسب نقله إلى المتن بحرفيته ثم ترجمته إلى العربية. المترجم].

جبل پير رستم

يقع هذا الجبل في منطقة (أورامان تخت) ويشتهر بجبل (زَرْدَلَه) وهو يمتد من أورامان من الجهة الجنوبية الغربية وحتى (شهرزور) الواقعة حالياً ضمن أراضي الدولة العثمانية. وهو جبل مليء بالغابات وحيوانات الصيد.

جبل سلطان سراج الدين

يقع على بعد خمسة فراسخ إلى الجنوب الشرقي من مدينة سنندج. وهو جبل شديد الارتفاع. ويوجد في قمته ضريح السلطان سراج الدين [!!] كما يوجد في خاصرة الجبل نبع شديد الصفاء والنقاء يسمى (أندر).

جبل آويدر

بالألف المدودة ثم الواو فالياء فالدال المهملة المفتوحة فالراء الساكنة، عبارة

عن جبل يقع إلى الجنوب الغربي وعلى بعد ألف قدم من مدينة سنندج. وهو جبل عظيم الفائدة إذ توجد فيه عدة طواحين مائية. كما توجد على سفوحه حدائق كثيرة مستحدثة بالإضافة إلى أن جميع حجارة مدينة سنندج تجلب من هذا الجبل. وإحدى الأعاجيب التي توصلت إلى معرفتها عن هذا الجبل ولم تلفت نظر أحد من الأهالي هي أن سنندج قد بنيت منذ ٢٦٣ سنة. وجميع أساسات وجدران المنازل في هذه المدينة من حجارة ذلك الجبل. وعلى وجه التقريب تبلغ كمية تلك الحجارة ثلاثة أضعاف حجم هذا الجبل. ولو أمعن شخص مطلع النظر بدقة في هذا الجبل وشاهده قدماً قدماً لما وجد أثر حجر تحرك من مكانه في الجبل. وهذا دليل على آثار قدرة الله تعالى (فاعتبروا ياأولي الأبصار).

وفي هذا الجبل نباتات لاتعد ولا تحصى. وقد أنشئت فيه مرابع عديدة أصبحت منتزهات لأهل المدينة ومن جملتها (أمانية) و(ظفرية).

جبل آربا

آربا: بالألف الممدودة والراء الساكنة فالباء الموحدة المفتوحة تليها باء موحدة ثانية ثم الألف الممدودة، عبارة عن جبل يقع على بعد خمسمئة قدم جنوبي مدينة (بانه) التي ورد ذكرها في الفصل الخاص بمناطق كُردستان. وهو جبل شاهق جداً فيه غابات كثيرة، وينمو فيه نبات يسمى (بيوزا) وهو نبات عطري لذيذ الطعم. ويسعى الناس في طلبه بكثرة.

جبل كُرَه‌ى ميانه

بضم الكاف العربية وفتح الراء المهملة المشددة واخفاء الهاء. وميانه قرية تقع غربي سنندج على بعد ثمانية فراسخ ويتصل الجبل المذكور بهذه القرية.

جبل چهل چَمه

يقع هذا الجبل في منطقة (خورخوره) التي سبقت الإشارة إليها. ويوجد في

هذا الجبل أربعون نبعاً كبيراً ومعنى چمه في الكُردية (النبع). وينبع نهرا (جغاتو) و(خورخوره) من هذا الجبل وينابيعه. وهو يعتبر من أشد الجبال ارتفاعاً وهو مكلل بالثلوج على مدار السنة.

جبل شَيدا

يقع على بعد ثمانية فراسخ إلى الشمال الشرقي من مدينة سنندج وهو جبل شاهق جداً. يوجد على قمته ضريح رجل يسمى (شَيدا) بنيت فوقه قبة. وقد دفن تحت تلك القبة والي كُردستان سبحان ويردي خان جد أمان الله خان الكبير الذي كان معاصراً للشاه نادر. وقد دفن هناك حسب ماوصَّى به.

ويشتهر ذلك الرجل (شَيدا) باسم (شَيدايى نازار) ولا يعرف من هو ومن أي نسل يكون.

وتوجد في هذا الجبل حيوانات صيد بأنواعها المختلفة. كما تنمو فيه نباتات كثيرة. وثمة أشجار كثيرة كاللوز وغيره محيطة بتلك القبة لايجرؤ أحد على قطعها.

جبل چِيَه چَرمگ

بكسر الجيم الفارسية وفتح الياء التحتانية وإخفاء الهاء ثم فتح الجيم الفارسية وسكون الراء المهملة وضم الميم يليها كاف فارسية ساكنة. عبارة عن جبل يقع وسط منطقة (هوباتو) و(تيلَكو) في كُردستان.

ومن قاعدة الجبل وحتى قمته طريق يبلغ طوله حوالي فرسخين. وفي الشتاء وبسبب العلو وهبوب الرياح العاصفة فإن كمية الثلوج تكون غير قليلة. ولذلك فإن عبور الناس من مسالك ذلك الجبل يكون خطراً. وحينما يحل الصيف تنمو نباتات وأعشاب متنوعة هناك.

جبل سلطان شيشه رى

رِىّ في الكُردية تعني الطريق، ويقع هذا الجبل على بعد ثلاثة فراسخ شرقي

سنندج، وهو شديد الوعورة. ويسمو على أقرانه من الجبال المحيطة به. وتوجد في قمته بئر عميقة جداً يبلغ عمقها أكثر من أربعين ذراعاً.

جبل گاران

بالكاف الفارسية على وزن (باران). جبل يقع على بعد اثني عشر فرسخاً غربي سنندج. توجد فيه غابات كثيرة هي عبارة عن أشجار البلوط... وفي الربيع ينمو نبات (الريواس) بكثرة... كما ينمو الفطر بشكل عجيب وتسرح في هذا الجبل جميع أنواع حيوانات الصيد.

جبل خـــان

هو جبل يفصل بين منطقتي بانه وسقز من الغرب إلى الشرق. وفيه غابات كثيرة. كما ينبع منه نهرا سقز وبانه. وهو جبل كثير النفع لسكان تلك المنطقة.

جبل ميهمين

ميهمين عبارة عن قريتين كل واحدة منهما تسمى (ميهم) بكسر الميم والياء التحتانية وفتح الهاء وسكون الميم الثانية. ويقع الجبل المذكور بالقرب من هاتين القريتين. وهو جبل وعر المسالك. ولا يستطيع المرء الوصول إلى قمته بسهولة. وتوجد جبال عظيمة محيطة بهذا الجبل الذي يضم منتجعات جميلة ونبعاً رقراقاً في سفحه يسمى نبع (شاه بَسَنْدْ). وسبب تسمية هذا النبع هو أن الشاه عباس الصفوي قام في سنة ١٠١٣هـ = ١٦٠٤ ميلادي بهجوم كبير على كُردستان، وعسكر بالقرب من هذا النبع الذي يقع على بعد اثني عشر فرسخاً من سنندج، فاستحسن ماءه وسمّاه (شاه بسند) [أي النبع الذي اختاره واستحسنه الشاه... المترجم].

وفي سنة ١٢٧٥هـ = ١٨٥٨م نصب الشاه ناصرالدين خيمته الملكية عند رأس النبع، عندما شرَّف كُردستان وآذربيجان بزيارته. وفي الحقيقة أصبح

اسم هذا النبع (شاهنشاه بسند)، ويحد هذا الجبل من الشرق منطقة جهار دولي ومن الغرب منطقة ييلاق ومدينة سنندج ومن الجنوب (كليائي) ومن الشمال (اسفند آباد).

تم بتوفيق الله بيان حال الجبال العظيمة السبعة عشر في كُردستان. وقد سبق ذلك شرح أحوال المناطق السبعة عشر والأنهار السبعة عشر في كُردستان. وكما لاحظنا فإن الجبال والمناطق والأنهار متطابقة في العدد.

الفصل السادس

عشائر كُردستان

توجد في سنندج علاوة على العشائر المعتبرة التي تسكن المدينة وفي جملتهم رجال الولاية والذين سأذكرهم إن شاء الله في ملحق هذا الكتاب – سبع عشرة عشيرة كبيرة.

ولقد كانت هذه العشائر تملك مواشٍ كثيرة. وكانت في جملتها تحت إمرة رئيس من العائلات المعتبرة في كُردستان. وكانت تتجه مع رئيسها في بداية فصل الربيع إلى المناطق الحارة في (زَهاو) و(خانقين). وتبقى هناك مدة شهر واحد. وكان لكل عشيرة من تلك العشائر مرتع ومقام خاص بها وبعد انتهاء الشهر تعود إلى مناطق سكناها الأصلية. أما الآن فتوجد عشيرتان فقط بقيتا على عاداتهما السابقة وتتجه كل ربيع صوب تلك المناطق الحارة. بينما تبقى العشائر الأخرى داخل كُردستان على مدار السنة.

ولا أستطيع – أنا الحقير محرر هذه الأوراق – أن أغض الطرف عن ذكر أسماء تلك العشائر وأعفي نفسي من هذه المسألة. لذلك فإنني مضطر لذكرها باختصار وإعطاء لمحة موجزة عن أوضاعها بحيث إذا أمكنتني الفرصة ووفقني الله فإنني سأقوم بكتابة بحث وافٍ ومفصل عن جميع جبال كُردستان مع أسمائها وأحوالها وقربها وبعدها وسائر التفصيلات الضرورية مع بيان أوضاع هذه العشائر السبعة عشر وبيان مراعيها ومصايفها ومشاتيها.

شعر:

إن مت فالتمسوا لي الأعذار فما أكثر الآمال التي صارت تراباً

عشيرة عبدالرحمن بيك

كانت هذه العشيرة في الأصل كثيرة العدد، أما الآن فهي عبارة عن أربع وثلاثين عائلة. ويبلغ تعداد أفرادها مئة وستة أشخاص. ضرائبها القانونية

مئة واثنان وثلاثون تومانا. وهي تسكن القرى الواقعة ضمن أملاك أمان الله خان الوكيل.

بوركه يى

تعداد هذه العشيرة أربعمئة وخمسون شخصاً. ضرائبها القانونية ستون تومانا. ويسكن أفرادها قرى متفرقة في كُردستان.

بليلوَند

يبلغ عدد أفرادها ألفاً وخمسمئة شخص. ضرائبها القانونية ثلاثمئة وخمس وعشرون تومانا ومحل سكناها: كاورود – ييلاق.

بر بيشه

عدد أفرادها ألف شخص. ضرائبها القانونية ثلاثمئة تومان. محل سكناها إسفند آباد.

تمر توزه

التعداد ثلاثمئة شخص. الضرائب القانونية خمسون تومانا. محل السكن ييلاق.

دراجي

التعداد ألف ومئتا شخص، الضرائب القانونية سبعمئة وخمس وثلاثون تومانا. محل السكن حسن آباد – ييلاق.

سكـــور

عدد أفرادها ثلاثمئة شخص – الضرائب القانونية أربع وأربعون توماناً. وهي تسكن قرى متفرقة في كُردستان.

شيخ إسماعيلي

التعداد ألف وستمئة شخص – الضرائب القانونية ثلاثمئة وخمس وعشرون توماناً. محل السكن اسفند آباد.

كركه يى

التعداد ألف وخمسمئة شخص – الضرائب القانونية ثمانمئة وخمس وأربعون توماناً محل السكن ييلاق.

كيوه كش وخرات

عدد الأفراد: ألف شخص – الضرائب القانونية مئتان وأربعة عشر توماناً.

محل السكن مدينة سنندج والقرى المتفرقة في كُردستان.

گلباغي وزينل

عدد الأفراد: ألف شخص – الضرائب القانونية ألف ومئة وخمسة واربعون توماناً. محل السكن: قراتوره – سارال.

كويك

التعداد: ألف شخص. الضرائب القانونية ثلاثمئة وخمس تومانات. محل السكن زاورود – كلات أرزان.

كشكي

التعداد ألف وخمسمئة شخص – الضرائب القانونية مئة وثلاثون توماناً. محل السكن أطراف منطقة جوان رود.

لر وكلاه كر

التعداد سبعمئة شخص – الضرائب القانونية مئة وثلاثون توماناً. محل السكن قرى متفرقة من كُردستان.

لاله

التعداد ثلاثمئة شخص – الضرائب القانونية مئة وستة وسبعون توماناً. محل السكن ييلاق.

محمود جبرائيلي

التعداد أربعمئة شخص – الضرائب مئة وخمسة وثمانون توماناً. محل السكن: ييلاق.

مندمـــي

عدد أفرادها ألف شخص – الضرائب ثلاثمئة وخمسة وسبعون توماناً. محل السكن: حسين آباد.

كما توجد ست عشائر أخرى عدا هذه العشائر التي ذكرناها. وبما أنها فروع من العشائر السابقة فإنني لم أكتب عنها. وإن وجود سبعة عشر عشيرة وسبعة عشر بلدة وسبعة عشر جبلاً عظيماً وسبعة عشر نهراً في كُردستان لمن المصادفات الحسنة.

الحمد لله الذي وفقني إلى كتابة جغرافية هذه المملكة الواسعة كُردستان وطني أنا المؤلف الحقير.

والآن ولأجل زيادة إطلاع القراء. فإنني سأبدأ بالكتابة عن وضع حكام وولاة كُردستان سواء من نسل الأردلانيين أو غيرهم ممن تمكنوا من الوصول إلى سدَّة الحكم، مع تدوين الوقائع التي جرت أيام حكمهم. وذلك منذ سنة ٥٦٤هـ = ١١٦٨ م وإلى يومنا هذا في سنة ١٣٠٩هجري=١٨٩١م.

وقد اختصرت هذه المدة البالغة ٧٤٥ سنة. بعد التحقيق والتدقيق اللازمين ولم يعد خافياً. أن الحقير الذي هو أنا. قد كتب مفصلاً نسب الكُرد وتفصيل حال حكامهم وحوادثهم السالفة والحديثة في كتاب (تاريخ الكُرد). وبما أن غايتي من كتابي هذا (الحديقة الناصرية) هو اختصار ذلك الكتاب وبيان الوقائع الهامة فيه. فقد غضضت الطرف عن الإطالة والتفصيل واختصرت ما أمكنني الاختصار.

الفصل السابع

في تفصيل نسب أردلان

الذي هو بداية سلسلة ولاة كُردستان

هناك خلاف في نسب أردلان الذي حمل أولاده وطائفة من ولاة كُردستان اسمه. ففي حين يقول بعض [المؤرخين] أنه من أولاد أردشير بابكان، يعتبره آخرون من أحفاد خسرو الطحان الذي قتل يزدجرد ملك العجم. وقد اكتسب خسرو شهرة واسعة بسبب سفكه دماء الملك يزدجرد. وحصل أولاده وأحفاده على مراتب عالية. بينما يقول آخرون أن أردلان نفسه كان اسمه خسرو وكان طحاناً. وقد استولى على كُردستان بمساعدة أبي مسلم المروزي [الخراساني] في زمن السفاح أبو العباس أحمد العباسي. وقد اشتهر بسبب ذلك باسم (أردلان) وانتسب إليه أولاده وأحفاده فسموا (بني أردلان)[1]. وعلى كل حال فإن أحد أجداد أردلان قد أدرك شرف خدمة حضرة الإمام الحسن بن غالب

(١) في (شرفنامه) البدليسي أن نسب حكام أردلان يتصل بولاة ديار بكر وسلالتهم الذين هم حفدة أحمد بن مروان مؤسس الدولة المروانية الكُردية في ديار بكر والجزيرة، وهو الذي علا شأنه في عهد الخليفة العباسي القادر بالله، عاش ثمانين عاماً، وحكم اثنين وخمسين عاماً حكماً مستقلاً. توفي عام ٤٥٣هـ= ١٠٦١م.
ويقول ابن الأزرق الفارقي في كتابه (تاريخ الفارقي) أنه كان لمروان طاحونة يشغلها ومن هنا ندرك ان الاسم (أردلان) بمعنى الطحان قد لازم هذه الأسرة منذ جدها الأول الذي هو خسرو عند علي أكبر، ومروان عند شرفخان البدليسي الذي يؤكد ابن الأزرق الفارقي أنه كان صاحب طاحونة.
ومن التفسيرات الغريبة لاسم أردلان مانجده عند المؤرخ جمال رشيد أحمد الذي يقول (إن مناطق سنندج (ولاية كُردستان) تسمى لحد الآن محلياً بأردلان أي: أرض اللان...)*. لقد حاول جمال رشيد أحمد بشتى الوسائل أن يجد رابطاً بين الكُرد واللان وهجرتهم فلجأ إلى أساليب غير منهجية وحاول تفسير الأسماء قسراً ليدعم رأيه. ولو كان صحيحاً أن أردلان محرفة عن أرض اللان أي بلاد اللان، لكان رسم اللفظة كذا: أرزلان، لأن العجم يلفظون الضاد زاياً ولم نجد قلب الضاد إلى دال في أي اسم تاريخي أو لفظة عربية استعملها العجم. وفي الأعلام الأعجمية =

كل غالب علي بن أبي طالب سلام الله تعالى عليهما. وقد كان بسبب خدمته هذه موضع احترام حضرة الإمام حسن الذي خلع عليه خلعة سنية هي عبارة عن خاتم منقوش عليه اسم الإمام المبارك. وببركة ذلك الخاتم نال أولاده وأحفاده درجات عالية وتوارثوا ذلك الخاتم نسلاً بعد نسل وفي هذا التاريخ (سنة ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م) فإن ذلك الخاتم المبارك موجود لدى حسين مكي خان المشهور بـ(خان خانان) ابن المرحوم الوالي غلامشاه خان. وقد زرت المذكور وشاهدت ذلك الخاتم بنفسي. وقد تولى أردلان مع جماعته الحكم مرات عديدة في الموصل وديار بكر. وهاجر بسبب تقلبات الدهر مع جمع من قومه وأتباعه. وأرسى دعائم حكومة مستقلة في شهرزور سنة ٥٦٤هـ = ١١٦٨م ووضع أساس قلعة (ظلم) التي هي في غاية المنعة والتحصين وجعلها عاصمة مملكته. كما استولى على أطراف شهرزور ومعظم أراضي كُردستان. ودخلت تحت لوائه (بلنكَان) أيضاً التي كانت موطن الگوران والكلهور. وقد بنى فيها أردلان قلعة عظيمة شديدة التحصين. والآن فإن آثار تلك القلعة باقية وظاهرة للعيان.

وقد حكم شهرزور ومناطق كُردستان الأخرى مدة اثنين وأربعين عاماً وفي أواخر عهده ضمَّ إلى ملكه بأمر جنكيزخان مدن كوي وحرير وشهر بازار وروانذز والعمادية أيضاً واستقل بملكها تماماً. وما إن أقبل عام ٦٠٦هـ = ١٢٠٩م حتى طوى القدر بساط عمره.

حكومة كلول خان بن أردلان في كُردستان

عقب وفاة أردلان تولى الحكم ابنه گلول خان (بضم الكاف الفارسية على وزن حلول) ولأنه كان مفرط الشجاعة وحاد الذكاء فقد ضم إلى ممتلكات والده مدن (سقز) و(سياه كو) و(قلمرو) و(علي شكر). كما اشتبك بقواته مع

= مدن كثيرة تبدأ بالسابقة (أرد) مثل أردبيل، أردشير، أردوان ومن معاني أرد في الفارسية الغاضب ***. والدقيق المصنوع من القمح أيضاً.
إن التاريخ وتفسيره لايخضع لرغبة الباحث، إنما الباحث هو الذي يعتمد على الأحداث المتفرقة ويكتب بحياد تام دون أن يقع في أسر هواه.

قوات جنكيزخان وانتصر عليها. وبعد مضي ثلاثة وعشرين عاماً على حكمه الاستقلالي انتقل إلى رحمة الله تعالى.

حكومة خضر بن گلول في ممتلكات أبيه وجده

انتقل الحكم بالوراثة عام ٦٢٩هـ = ١٢٣١م إلى خضر بن گلول فحمل لواء الزعامة في ممتلكات أبيه وجده. وحكم كُردستان مدة أربعة وثلاثين عاماً ناشراً فيها العدل والإنصاف. وعين ابنه إلياس ولياً للعهد ثم انتهت حياته سنة ٦٦٣هـ = ١٢٦٤ م.

حكومة إلياس بن خضر في كُردستان

بعد وفاة خضر بن گلول تولى الحكم ابنه الياس الذي كان في غاية الجود والشجاعة وقد كان بسبب هاتين الصفتين مرهوب الجانب من قبل سكان الولاية بالإضافة إلى أن الآمال كانت تعقد عليه. وقد حكم كُردستان مدة سبعة وأربعين عاماً دون منازع. وعاش الناس في عهده سالمين آمنين وقضوا أيامهم في الرخاء والرفاهية إلى أن حل عام ٧١٠هـ = ١٣١٠ م فودع حياته وشدَّ الرحال إلى الدنيا الآخرة.

حكومة خضر المشهور بـ(خضر الثاني) في كُردستان

تولى الحكم عقب وفاة والده إلياس سنة ٧١٠ هجري. وقد كان رجلاً في غاية الزهد والتقوى. وأمضى سنوات عمره في عبادة الله تعالى. ولم يظلم رعاياه ومن في حكمه قيد شعرة. بل كان يرى أن تحصيل الضرائب من رعاياه أمر يخالف الشريعة وكان لذلك قانعاً بما في يده. وحينما بلغ مسامع الدولة العثمانية خبر زهده وتقواه استغفلوا مملكته بجيش رأى خضر الثاني أن من الأولى مصالحة قائد ذلك الجيش دون اشتباك وسفك الدماء. فسلَّم إليه الحدود الغربية من كُردستان بدءاً من مدينة شهر بازار إلى أربيل وكوي وحرير والعمادية وروانduz. واقتنع بما بقي تحت يده من المناطق الشرقية والجنوبية من كُردستان. وبعد ثلاث سنوات انتقل إلى دار الخلود.

حكومة حسن بن خضر الثاني في جميع أنحاء كُردستان

تولى حسن بن خضر الثاني زمام الحكم سنة ٧٤٠هـ = ١٣٣٩م، وقد كان حائزاً على الفضائل ومكارم الأخلاق، منصرفاً لأمور الحكم أكثر من أبيه فكتب دستوراً في الشؤون العسكرية والمدنية معتمداً على رأيه الثاقب وتدبيره الصائب حتى يعرف كل فرد من العساكر أو المدنيين حد حركاته وسكناته. كما اصطفى جماعة من شباب كُردستان بلغ عددهم أكثر من ثلاثة آلاف نفر وسعى في تنشئتهم تنشئة راقية وسماهم (حماة الملك) وكان يرعاهم رعاية خاصة. بحيث يحلون ضيوفاً على مائدة إحسانه ليلاً نهاراً. وقد تقابل هؤلاء النفر القليلون المدربون مع جيوش الدولة العثمانية في عدة وقائع فهزموها في جميع تلك الوقائع ونالوا بذلك شهرة طيبة.

وفي سنة ٧٧٤هـ = ١٣٧٢ م وعلى بعد فرسخ واحد من مدينة سنندج الحالية، بنى قلعة حصينة على قمة جبل، كما قام بإنشاء مبانٍ في سفح الجبل المذكور من الجهة الشمالية وسمى تلك القلعة والعمران الناشئ باسم (حسن آباد) وإلى يومنا هذا أي في سنة ١٣٠٩هـ =١٨٩١م ماتزال البلدة (حسن آباد) عامرة وما تزال آثار تلك القلعة ظاهرة للعيان.

وبعد أن أمضى حسن بن خضر الثاني أربعاً وأربعين سنة في الحكم بقوة واقتدار ودع هذه الدنيا الفانية في شهر ربيع الأول من سنة ٧٨٤ هجرية.

حكومة بابلول بن حسن في كُردستان

بمقتضى قول الشاعر: لايمكن أن تبقى الدنيا بدون حاكم فحالما يرحل أحد [الحكام] يحل آخر بدلاً منه.

استلم لواء الرئاسة في الملك الموروث بابلول بن حسن وكان رجلاً حكيماً شجاعاً إلى حد التهور. لأنه كان يميل إلى سفك الدماء وقتل الرعايا. ولم يكن من شيمته العفو أو إغماض العين عن الخطايا صغيرة كانت أو كبيرة. وكان يقمع السكان بواسطة الجنود والقواد في كل آن. حتى ثارت الرعية في وجهه

عدة مرات. وكان في معيته وزير عاقل راشد يسمى ابراهيم بيك أخمد نيران الثورة ورفع النزاع وجعله يعتزل الحكم.

وبعد انقضاء أربعة وأربعين عاماً على بداية حكمه حث الخطا إلى الدار الباقية.

حكومة منذر بن بابلول في معظم أنحاء كُردستان

وفي سنة ٨٢٨هـ = ١٤٢٤ م تولى زمام الأمور منذر بن بابلول فأزال صدأ الملالة والكدر بماء السخاء عن مرايا خواطر البعيدين والقريبين وأغرى أمراء الكُرد وأعيانهم بخدمته بواسطة التحف الثمينة والهدايا الفاخرة فعقدوا زنار طاعته على خصورهم.

وقد كان هذا المنذر شديد الاهتمام برأب الصدوع التي سببها والده وبعد أن حكم أربعة وثلاثين عاماً تنازل عن الملك لولده مأمون بيك بعد أن أرشده إلى آداب الحكم وسياسة الرعية ومنافع العدل والانصاف. ثم رحل عن هذه الدنيا الفانية.

حكومة مأمون بيك في كُردستان

وفي سنة ٨٦٢هـ = ١٤٥٧م نال مأمون بيك الرئاسة بالوراثة، وبعد أن استتب أمر الحكم له شرع في العمران وغزا الدولة العثمانية دون خوف. وبعد عامين من الحرب ضم شهر بازار وأربيل وكوي وحرير والعمادية وروانduz إلى ممتلكاته في الحدود الغربية لكُردستان. ونصب في كل بلدة منها حاكماً وعامل خراج، وترك جماعة من جنوده في قلعة روانduz برسم الحراسة، بحيث إذا ظهرت الفوضى كانت هذه الحامية مستعدة لضبط النظام. وقد أمضى هذا الحاكم ثمانية وثلاثين سنة في الحكم على هذا المنوال فلم يستطع أحد أن ينال من ملكه أبداً.

وبسبب حكمة وكياسة مأمون بيك هذا فقد اشتهر بنو أردلان باسم (المأمونيين) و(مامو) في الكُردية مخفف مأمون.

وعلى كل حال، وبعد ثمانية وثلاثين عاماً من الحكم. طلب مأمون بيك كل الأمراء والأمناء في الولايات التي في يده ودعاهم إلى بلاطه ووزع ممالكه بين ثلاثة من أولاده هم بيگه بيك وسرخاب بيك ومحمد بيك. فأسند مهمة حكم نواحي (ظلم) و(شهرزور) و(گلعنبر) و(شميران) و(هاوران) و(داوران) و(نفسود) إلى ابنه بيگه بيك. أما مناطق (هشلي) و(پلنگان) و(سنندج) و(علي شكر) و(مهربان) و(كلاشي) التي هي جوانرود الحالية فقد صارت من نصيب سرخاب بيك. أما (سروچك) و(قره داغ). و(شهر بازار) و(آلان) و(أربيل) و(كوي) و(حرير) و(العمادية) و(روانduz) فقد أسند حكمها إلى محمد بيك.

وقد أوصى مأمون بيك أولاده بالاتفاق فيما بينهم. واختار هو نفسه سبيل الزهد إلى أن رحل بعد سنة من ذلك إلى دار القرار.

وقد انصرف أولاده من بعده إلى حكم ماورثوه من مناطق وكانوا يكنون الاحترام لأخيهم الكبير بيگه بيك. ويمتثلون لأوامره ونواهيه إلى أن رحل إلى الدار الآخرة سنة ٩٤٢هجرية = ١٥٣٥م بعد أن قضى اثنين وأربعين عاماً في الحكم والإشراف على أخويه.

حكومة مأمون بيك الثاني في كُردستان

بعد مضي عامين من استلام مأمون بيك الثاني دفة الحكم – وكان قد خلف والده بيگه بيك – سار جيش عظيم بقيادة حسين باشا. وبأمر من السلطان العثماني سليمان خان لاحتلال كُردستان. فتقدم مأمون بيك مع أربعة آلاف فارس مقدام لملاقاة ذلك الجيش العرمرم. وتلاقى الفريقان للقتال وذلك يوم الإثنين في التاسع من شهر ذي القعدة سنة ٩٤٤هـ = ١٥٣٧م. واستمر القتال من الصباح إلى المساء. واشتبك الأربعة آلاف فارس مع الجيش العثماني البالغ عدده عشرين ألف. وقاوموا ببسالة حتى قتل من الفريقين مجموعة من الجنود.

وعندما حلَّ الظلام وهدأ القتل والقتال خرج مأمون بيك مع نفر من خاصة جنده من القلعة لإنقاذ الأهالي واتجهوا إلى السلطان سليمان خان. وحينما وصل إلى إسلامبول [اسطمبول] قيدوه وأرسلوه إلى السجن.

وحينما سمع الجنود العثمانيون خبر ذهاب مأمون بيك (إلى اسطمبول] هاجموا مناطق ملكه ثم عادوا إلى أوطانهم. ولما بلغت هذه الأخبار مسامع سرخاب بيك ابن مأمون بيك الأول وعم مأمون بيك الثاني. استلم زمام الأمور في مملكة ابن أخيه سنة ٩٤٥هـ = ١٥٣٨م. وعلاوة على ذلك فقد استولى عنوة على المناطق التي كان يحكمها أخوه الصغير محمد بيك. وبذلك انفرد بالحكم في جميع أنحاء كُردستان. وبدأ يكاتب الشاه الصفوي طهماسب ملك إيران ويقدم له فروض الطاعة.

كما بنى في منطقة مَريوان وعلى قمة جبل شاهق قلعة شديدة المنعة لتكون ملاذاً للأهالي. وما تزال آثارها بادية للعيان وبحالة جيدة. وقد زرت أنا الحقير جامع هذه الأوراق – تلك القلعة وشاهدت آثارها القديمة.

حكومة سرخاب بيك في كُردستان

حينما انتزع سرخاب بيك الملك من يدي أخيه الصغير محمد بيك لجأ الأخير إلى بلاط السلطان العثماني سليمان خان الذي غضب بسبب ذلك فأطلق سراح مأمون بيك وأقطعه سنجق (الحلة) سيورغالاً لعائلته وقرابته وأرسل معه القائد رستم باشا على رأس جيش مكون من ثلاثين ألف جندي لمهاجمة ممتلكات سرخاب بيك. وفي سنة ٩٤٧هـ = ١٥٤٠م ورد رستم باشا إلى منطقة شهرزور وقد ملأه الغرور. فقطع سرخاب بيك مع ثمانية آلاف من الجنود الكُرد الطريق عليهم. وفي يوم الخميس الواقع في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة تسعمئة وسبع وأربعين للهجرة = ١٥٤٠م تلاقى الفريقان في سهل شهرزور وتنادى الفرسان الكُرد إلى الاستبسال فأزاحوا من طريقهم ثلاث طلائع للجيش العثماني تجاوز عددها عشرة آلاف جندي. وحمي وطيس المعركة من الصباح إلى المساء، وعندما فصل سواد الليل بين الفريقين عاد كل واحد منهما إلى معسكره وهكذا على مدى ثمانية أيام كان يتلاقى سرخاب بيك مع الجيش العثماني حيث قتل مايقرب من سبعة آلاف من العثمانيين وثلاثة آلاف مقاتل من جيش الكُرد. ولأجل حماية أرواح بقية المقاتلين الكُرد تحصن سرخاب بيك في قلعة (ظلم). فحاصرها الجيش

العثماني كما أغار على نواحي شهرزور. ومع أن الحصار دام عامين كاملين فإن العثمانيين لم يستطيعوا إلحاق الضرر بالمتحصنين في القلعة.

وعندما اطلع الشاه طهماسب الصفوي على مجريات الأحداث أرسل مدداً هو عبارة عن خمسة عشر ألف جندي بقيادة السردار حسين بيك إلى سرخاب بيك. ولما وصل السردار حسين بيك إلى مسافة فرسخين عن قلعة (ظلم) حصل هرج ومرج في صفوف العثمانيين. وبمحض الصدفة مات رستم باشا قائد الجيش العثماني فجأة بعد أن سمع خبر قدوم جيش السردار حسين بيك. مما زاد من حالة الدهشة والفوضى في صفوف العثمانيين.

وحالما سمع سرخاب بيك خبر قدوم جيش ملك العجم وموت رستم باشا. خرج دون خوف مع جميع عساكره المحاصرين في القلعة. وقد اطلع قائد الجيش الايراني أيضاً على الأحداث فحث الخطا إلى ميدان القتال. ولقد أظهر الجيش العثماني جرأة في القتال مدة من الزمن لكنه انهزم آخر الأمر وعاد مجللاً بالعار.

بينما لجأ محمد باشا مع ستمئة نفر من الجيش العثماني إلى القلعة الخالية من المقاتلين وطلب من أطفال سرخاب بيك وأفراد عائلته أن يشفعوا لهم لدى سرخاب بيك. وقد قبل قائد الجيش الإيراني شفاعة النساء وسمح لمحمد باشا أن يغادر مع جماعته إلى الدولة العثمانية بأمان.

وفي النهاية عاد حسين بيك مع الجيش الايراني في غاية النشوة والافتخار إلى بلاط ملك العجم. أما سرخاب بيك فقد تمكن من استلام زمام الحكم كاملاً في إيالة كُردستان. ثم نقل عاصمة ملكه إلى مَريوان ورسمها عاصمة لكُردستان. وفي سنة ٩٥٦هـ = ١٥٤٩م حل "القاص ميرزا" في أطراف شهرزور. وهو شقيق الشاه طهماسب وكان قد عارض حكم أخيه مدة من الزمن. لكن كُرد تلك البلاد قاموا في وجهه. وهاجمه من طرف الشاه طهماسب كل من بهرام ميرزا وشاه قلى خليفة المهردار [حامل ختم الملك... المترجم] وابراهيم خان على رأس جيش من عشرين ألف مقاتل. فشتتوا شمل جماعته في شهرزور. ولما رأى القاص ميرزا نفسه في دوامة العناء بل غريقاً في بحر الفناء تتجاذبه الدولتان الإيرانية والعثمانية، يمم وجهه حيران تائهاً شطر قلعة مَريوان ولجأ مضطراً إلى سرخاب بيك والي كُردستان الذي أراد

أن يشفع لذنوبه لدى الشاه طهماسب فأرسله مع واحد وعشرين شخصاً من أعوانه بوساطة من شاه نعمة الله قهستاني [كوهستاني] الذي كان موضع ثقة واعتماد الشاه طهماسب. ولأجل هذه الخدمة التي أسداها سرخاب بيك إلى الشاه أنعم عليه من خزانة دولة ايران العامرة بمبلغ قدره ألف تومان نقداً على أن يكون ذلك العطاء مستمراً[٢].

وقد كان لسرخاب بيك أحد عشر ولداً هم بالترتيب: حسين بيك، اسكندر بيك، سلطان علي بيك، يعقوب بيك، بهرام بيك، ذو الفقار بيك، شمس بيك، شهوار بيك، ساروخان بيك، قاسم بيك، بساط بيك[٣].

وعلى كل حال فقد رحل سرخاب بيك إلى دار الخلود بعد أن حكم ثلاثين عاماً. وقد توفي ابنه سلطان علي الذي خلفه في الحكم مدة من الزمان وترك طفلين هما: تيمور خان وهلوخان. فخلفه في الحكم ابن سرخاب بيك الصغير بساط بيك فوطئ بساط الإيالة سنة ٩٧٥هـ = ١٥٦٧م.

حكم بساط بيك بن سرخاب بيك في كُردستان

كان بساط بك هذا رجلاً عالماً فاضلاً، وقد بذل جهوداً جبارة في سبيل نشر

(٢) وردت هذه الحادثة في الشرفنامه كما يلي: التجأ القاص ميرزا أخو الشاه طهماسب في سنة ٩٥٦هـ= ١٥٤٩م إلى البلاط العثماني مستنجداً بالسلطان سليمان للاستيلاء على عرش إيران وبعد ردح من الزمن صدرت منه بعض حركات أثارت الشبهة في نفس السلطان، مما أقض مضجع الأمير الإيراني اللاجئ، فاتصل بسرخاب بك، وجعله شفيعاً لدى أخيه الشاه طهماسب ليطلب إليه منحه العفو والسماح له بالعودة إلى ولاية شيروان التي كانت في عهدته من قبل، وما كاد سرخاب بك يعرض هذا الملتمس على البلاط الإيراني حتى انتهز الشاه طهماسب الفرصة فألف وفداً رسمياً تحت رئاسة شاه نعمة الله القهستاني وعضوية بعض من القواد والأعيان القزلباشية لتسلم القاص ميرزا. فذهب الوفد وتسلمه وحضر به إلى البلاط. وعند ذلك صدر الأمر الشاهاني باعتقاله حالاً وزجه في غياهب سجون قلعة القهقهة. وبعد عام أمر الشاه بالقضاء عليه فألقوا به من أعلى القلعة فقتل. وفي مقابل هذه الخدمة الكبيرة للشاه طهماسب تقرر لسرخاب بك من خزانة الشاه مبلغ سنوي قدره ألف تومان على سبيل الإنعام والمكافأة.

(٣) هناك اختلاف بين الحديقة الناصرية والشرفنامه في أسماء ولد سرخاب بك ففي الشرفنامه ترتيبهم هكذا: ١- حسن ٢- اسكندر ٣- سلطان علي ٤- يعقوب ٥- بهرام ٦- بساط ٧- ذوالفقار ٨- اسلمش ٩- شهوار ١٠- سارو ١١- قاسم.

العلوم الدينية والأدبية. وأمضى أيامه على هذا المنوال مدة عشر سنوات.

وفي سنة ٩٨٥هـ = ١٥٧٧م ثار كل من تيمورخان وهلوخان ابنا سلطان علي بك في وجه بساط بك وفي الأخير لجآ إلى بلاط الشاه إسماعيل الثاني، وأمضيا مايقرب من عام كامل في دار السلطنة في قزوين. إلى أن رحل الشاه المذكور عن هذه الدنيا الفانية سنة ٩٨٦هجرية، فعاد هلوخان وتيمورخان إلى ولاية كُردستان وأقدما على غزو المناطق التي يحكمها بساط بك بمساعدة جماعة التفت حولهما. وحدث أن طوي بساطُ بساط بيك بقضاء السماء في ذلك التاريخ، فاستلم تيمورخان بن سلطان علي بك دفة الحكم وخلف عمه دون منازع.

حكومة تيمورخان بن سلطان علي بك في كُردستان

ولما جلس في هذا التاريخ أي سنة ٩٨٦هـ، السلطان المقتدر في إيران على أريكة السلطنة، فإن تيمورخان وبسبب جور الزمان أظهر الطاعة والانقياد وراء لواء السلطان العثماني مراد خان الذي فرح بما حدث وحدد لتيمورخان راتباً سنوياً مستمراً بلغ مئة ألف أقجة ذهبية أي مايعادل ثلاثين ألف تومان بالعملة الحالية في إيران [زمن تأليف الكتاب].

وكان لتيمور خان هذا أربعة أولاد هم: سلطان علي بك، بوداق بك، مراد بك، مير علم الدين. وبناء على ذلك فقد قسَّم ملكه بين أولاده الأربعة هؤلاء فأسند حكم شهرزور وقزلجه وحسن آباد وظَلَم إلى سلطان علي بك، كما فوَّض أمر شهربازار وقره داغ وكوي وحرير إلى بوداق بك، أما مَريوان وسقز وسياهكو وتيلكو وخورخوره فقد منحها لمراد بك. بينما منح شهربازار لابنه مير علم الدين.

أما هو نفسه فقد انصرف مع جيشه الكبير إلى إخضاع أطراف كُردستان، فاستولى على كرمانشاه وسنقر ودينور [بلدة تقع إلى الشمال الشرقي من كرمانشاه] ورفع لواء الاستقلال. وفي سنة ٩٩٣هـ = ١٥٨٥م غزا ممتلكات عمر بك الكلهوري فاضطر الأخير إلى اللجوء إلى شاهويردي خان حاكم لورستان وطلب العون منه. فلم يتأخر شاهويردي خان بل هاجم تيمورخان

على رأس جيش من فرسان لورستان وكلهور. وقد تصدى له تيمورخان واستبسل في القتال بجيشه البالغ أقل من ألف فارس مع أنه لم يكن يتوقع مثل هذه الحملة من العدو أبداً.

وبما أن النصر من عند الله تعالى فقد كبا جواد تيمورخان في ميدان القتال، فهاجمه الجيش اللورستاني وتم أسره. لكن شاهويردي خان أكرمه وبالغ في إكرامه وأرسله إلى كُردستان معززاً محترماً.

وبعد أن انقضت ثلاثة أعوام على ماحدث، قام تيمورخان بالإغارة على ولاية زرين كمر فاستعد لملاقاته حاكم تلك الولاية دولتيار سلطان سياه منصوري. وبعد مناوشات قليلة انهزم دولتيار وتحصن في قلعة زرين كمر، فاقتحمها تيمور خان برجاله وتمكن من فتحها. وفي لحظة الاقتحام ودخول القلعة أصاب أحد السهام من تيمورخان مقتلاً. وما يزال قبره هناك إلى الآن.

وبعد مقتله تولى دفة الحكم شقيقه هلوخان الذي كان رجلاً عاقلاً حكيماً تهوى إليه أفئدة أهل تلك البلاد وذلك سنة ٩٩٦هـ = ١٥٨٧ ميلادية.

حكومة هلوخان في كُردستان واستقلاله

أعلن هلوخان بعد أن استقل بالحكم طاعته لكل من سلطان العثمانيين السلطان سليمان خان وملك إيران. وفي عهده انتقلت عاصمة كُردستان من قلعة مَريوان إلى قلعة پلنگان التي بنيت في مكان صعب المرتقى وعر المسالك، وكانت تعتبر حينذاك إحدى أشد القلاع تحصيناً واستحكاماً ولم يستطع أي من الملوك فتحها عنوة. وكانت تسكنها قبيلتا الگوران والكلهور وهما من القبائل العظيمة في كُردستان.

وقد ألحق هلوخان عمارات إضافية إلى القلعة فبنى سوقاً ومساجد ومنازل في غاية الجمال. وهذه القلعة تقع على بعد اثني عشر فرسخاً من مدينة سنندج الحالية. كما أن هلوخان أخذ بتعمير كلي لقلاع ظلم ومَريوان وحسن آباد وحصَّنها تحصيناً كاملاً.

كان هلوخان هذا رجلاً عادلاً منصفاً حكيماً مصادقاً من جاوره من الحكام

عطوفاً عليهم قائماً بالعدل في رعيته ومحكوميه. ولهذا السبب ازدهر العمران في ولايته وفاضت خزائنه ذهباً وفضة. وكان يحل كل مرة في قلعة من تلك القلاع الأربع حسب ماتقتضيه صروف الدهر.

وقد بلغ جيشه من الكثرة وحسن الاستعداد حداً جعله يعلن الدولة المستقلة وينصب نفسه حاكم حكام الكُرد يرفض طاعة الملوك جميعاً.

وفي سنة ١٠١٢هـ = ١٦٠٣م قام حسين خان حاكم لورستان بأمر الشاه عباس الصفوي بقيادة عشرة آلاف مقاتل وهاجم كُردستان حيث حاصر قلعة حسن آباد التي كان هلوخان يمضي فيها مع أقاربه فترة الرعي الشتائية... إلا أن الحصار لم يفعل شيئاً. وانكسر جيش حسين خان عدة مرات إلى أن هزم في آخر الأمر أمام جمع قليل من قوات هلوخان هزيمة منكرة ولاذ بالفرار، فلاحقته قوات هلوخان مسافة أربعة فراسخ وقتلت نحواً من ألفٍ من جنوده.

وقد تعكر مزاج الشاه عباس وتكدّر خاطره بسبب هذه الأحداث وتمرد هلوخان. فأرسل جيشاً آخر لقتاله، لكن ذلك الجيش أيضاً انكفأ دون تحقيق مراده. فأتبعه الشاه بجيش أكثر من سابقيه وكانت النتيجة نفسها. وأخيراً نهض الشاه عباس نفسه بجيش عرمرم لأجل إخضاع كُردستان وتأديب هلوخان، وفصل إسفند آباد في كُردستان، وكانت وقتها تابعة لـ (علي شكر).

وكان في معية الشاه عباس رجل اسمه (علي بالي زنگنه) يعمل سائساً خاصاً لخيول الشاه، استطاع إقناع الشاه بالعدول عن القتال والحرب والعودة إلى مقر السلطنة.

وبعد أن قفل الشاه عباس راجعاً، اتبع سياسة الرحمة والمودة مع هلوخان، وأرسل إليه خلعاً وهدايا مع سائسه (علي بالي) بغرض استمالته. فاظهر هلوخان الطاعة للشاه وبعث ابنه الرشيد خان أحمد خان مع هدايا لائقة إلى البلاط الشاهاني. وقد لبى الشاه جميع رغبات خان أحمد خان. ولكي يزداد قرباً من هلوخان ولأجل مصلحة الدولة عقد الشاه نكاح أخته (زرين كلاه) على خان أحمد خان. وأخذ منه عهداً وميثاقاً أنه إذا عاد إلى كُردستان أن يبعث والده إلى بلاط الشاه. وقد وفّى خان أحمد خان بالتزامه ومواثيقه مع الشاه فور وصوله إلى كُردستان. فأرسل والده هلوخان إلى أصفهان. حيث

لاقى تقديراً واحتراماً وعطفاً كبيراً من قبل الشاه عباس وبعد ستة أشهر من إقامته في أصفهان استأذن في العودة إلى دياره. فعاد معززاً مكرماً. وأوكل تصريف شؤون جميع كُردستان من همدان إلى العمادية وكوي وحرير إلى ابنه خان أحمد خان.

حكومة خان أحمد خان في كُردستان وذكر فتح بغداد

في سنة ١٠١٤هـ = ١٦٠٥م رفع خان أحمد خان لواء الإمارة والدين، وانشغل بتجهيز الجيوش والعساكر. فشكَّل جيشاً قوامه عشرون ألف من الخيالة والمشاة. وحسب أوامر الشاه عباس توجه إلى قمع وتأديب أهالي مُكري وقبيلة بلباس الذين جهزوا بدورهم جمعاً عظيماً من الجنود وتقدموا لأجل القتال. وحينما تلاقى الفريقان جرد شجعان كُردستان سيوف غضبهم وحملوا على ذلك الجمع بجرأة فائقة. وبعد برهة من المناوشات والضرب والطعان انهزم جيش مُكري وبلباس(٤). حيث قتل بعضهم وتم أسر الباقين أما الذين نجوا من سيوف أبطال كُردستان فقد لجأوا إلى قلعة رواندوز. فلاحقهم خان أحمد خان ووصل إلى تلك القلعة المذكورة وضرب عليها نطاق الحصار واشتغل بالسلب والنهب في أطرافها. وقد دام حصاره لتلك القلعة مدَّة بسبب تحصيناتها ولم يحقق النصر على المتحصنين فيها. فترك قتالهم

(٤) بلباس هو عبارة عن اتحاد للقبائل بين مَنگور ومامش وپيران وبرادوست وآكو، وفي الوقت الحاضر فإن قبيلتي مَنگور وبرادوست خارج هذا الاتحاد وفي بعض المصادر فإن اتحاد بلباس هو بين مَنگور ومامش وپيران فقط.
وفي جغرافيا إيران للدكتور رحيم هويدا ص ٥٦: يقطن البلباسيون شمال غرب مهاباد، وحدودهم من نهر كلوى حتى باديناوي. والبلباس فرعان مامش وپيران، والمامش أكثر جمعاً من الپيران. أما مركز عشيرة مامش فهي (بسوه) ومركز عشيرة پيران هي مدينة (شين آباد).
أما مُكري فنسبة إلى قبيلة (المُكرية) القاطنة في ناحية شهرزول [شهرزور] كما يقول شرفخان البدليسي، ويضيف البدليسي: وفي رواية بعض الثقاة أنهم منحدرون من نسل حكام البابان والشائع على الألسنة أن مكارياً [الذي يؤجر الدواب كالحمير والبغال] يدعى سيف الدين هو أصل هذه الأسرة التي اشتهرت بأسرة مُكرى لكثرة الاستعمال والله أعلم. ثم عرفت الأراضي التي ضمت مهاباد وخوي وغيرها ببلاد مُكري ومُكريان. وينسب إليها جماعة من شعراء وعلماء كُردستان الأفاضل.

ممنياً نفسه أنهم سيطلبون الأمان بسبب الجوع وخوفاً من السيوف والرماح.

ودام الحصار ستة أشهر، فتسرب الضجر إلى قلب خان أحمد خان، وذات يوم وبينما كان يقوم برحلة صيد مع أصحابه على ضفة نهر بجانب القلعة. شاهد امرأة جميلة من تلك الطائفة [أي من الناس المتحصنين في القلعة] تتجول هناك. وقد بادرته تلك المرأة بالسؤال عن الذي يمنعه من الاستيلاء على القلعة !! فأجابها قائلاً: المعبر إلى القلعة غير معلوم وطريق الدخول إليها معدوم! فأشارت المرأة إلى فرجها قائلة: وهذا أيضاً لم يكن فيه طريق للدخول. لكن رجلاً ذا همة فتح فيه معبراً بسيفه المجرد!!

اضطرب خان أحمد خان لهذه الطعنة واندفع يزمجر في جنوده، فهاجموا تلك القلعة ببسالة. ودافع المحاصرون عن أنفسهم ولكن الحظ حالف خان أحمد خان فلم يبد المقاومون جهوداً كبيرة في الدفاع. ونصب خان أحمد خان ابن عمه (قره حسن بك) حاكماً على القلعة. كما نصب خالد بك حاكماً على (خوشناو) أما العمادية فقد سلمها إلى عثمان بك. وعين حاكماً لكل من كوي وحرير. ومن هناك عزم على الاستيلاء على الموصل. ولم يكد يبلغ مسافة ستة فراسخ منها حتى دخل الرعب قلب حاكمها فولى هارباً صوب دياربكر وحلب. وبذلك استولى على ولاية الموصل دون مقاومة.

وحضر تجار وأفندية الموصل لاستقبال خان أحمد خان الذي أكرم كل واحد منهم حسب منزلته. ثم زار ضريح النبي يونس على نبينا وعليه السلام. ثم أقام أربعين يوماً في أطراف الموصل للترويح عن جنده. وأرسل من هناك يبشر الشاه عباس بفتوحاته فرد عليه الشاه بخلع وخنجر مرصع مع فرس خاص بسرج مزركش واثني عشر ألف تومان نقداً. ودعاه إلى مواصلة حربه ليفتح كركوك وبغداد أيضاً. فلم يتوان خان أحمد خان عن ذلك. واتجه صوب كركوك فاستولى عليها، ومن هناك تحرك بجيوشه إلى دار السلام بغداد.

ولما سمع الشاه عباس بتحرك قوات خان أحمد خان صوب بغداد، أسرع بجيش عرمرم إلى تلك الناحية. وفي الجانب الذي حَلَّ فيه خان أحمد خان تقدم إليه أعيان بغداد وباشواتها ومعهم الهدايا الفاخرة. وكان الشاه عباس أيضاً قد نزل بأطراف بغداد أيضاً فذهب إليه خان أحمد خان مع جمع من

أهالي بغداد حيث نالوا مراحم الشاه وإشفاقاته.

وبعد تنظيم أمور تلك النواحي وتعيين الولاة، عاد خان أحمد خان إلى كُردستان وذلك سنة ١٠٣٥هـ = ١٦٢٥م وهكذا فقد دام سفره منذ اليوم الأول لتحركه [لقمع المُكريين والبلباس] إلى حين عودته سبعة أعوام وثلاثة أشهر. وبعد ثلاث سنوات انتقل ملك إيران [الشاه عباس] إلى رحمة الله، فخلفه في عرش إيراه الشاه صفي في جمادى الآخرة من سنة ١٠٣٨هـ = ١٦٢٨م وقد أنعم الشاه الجديد على خان أحمد خان وشرفه بصنوف التشريفات.

وكان قد ولد لخان أحمد خان من أخت الشاه عباس (زرين كلاه) ولد اسمه (سرخاب بك). كان الشاه عباس قد استقدمه إلى بلاطه منذ يفاعته، وأشرف بنفسه على تربيته. وكان سرخاب بك في غاية الفضل والكرم والشجاعة، ولكن شائنيه ومبغضيه أوغروا صدر الشاه صفي عليه، فما كان منه إلا أن سمل عينيه. ولما سمع خان أحمد خان بالخبر، أصابه الجنون. فقام الأمراء الكُرد بالحجر على ليث الغابات ذاك وتقييده. ونظموا أمور الولاية وحكموها باسمه وبعد ستة أشهر تعافى من مرضه ومنحه الله الصحة بعد العلة. فجمع جيشاً عظيماً من الأطراف وهاجم الولايات المجاورة له، فضم كلاً من كرمانشاه وهمدان ومُكري وخوي وأورميه إلى ممتلكاته. وذكر اسمه على رؤوس المنابر. وسُكَّت الدنانير باسمه. فأعلن استقلاله ونال كثيراً من الإنعامات والخلع الفاخرة من السلطان العثماني. كما أسندت إليه أمر حكومة كركوك والموصل أيضاً. فاتخذ الموصل عاصمة لملكه. وبقيت الموصل وكركوك وشهرزور ومعظم أراضي كُردستان تحت سيطرته مدة سبع سنوات. وسنفصل في مآل أمره فيما بعد.

حكومة سليمان خان في كُردستان وبناء مدينة سنندج

حينما بلغ مسامع الشاه صفي خبر لجوء خان أحمد خان إلى الدولة العثمانية، أسند مهمة حكم إيالة كُردستان إلى سليمان خان بن مير علم الدين بن تيمور خان الأردلاني وأتباعه وكان سليمان خان حينذاك من الذين يعملون في خدمة الشاه صفي وكان موضع ثقة واعتماد لديه.

وفي سنة ١٠٤٠هـ = ١٦٣٠م أسرع سليمان خان إلى كُردستان فاستقل بحكمها وما كان من السلطان مراد الرابع[٥] الذي خلف السلطان عثمان الثاني[٦] في الحكم إلا أن أرسل السَرعسكر خسرو باشا مع جيش عرمرم للاستيلاء على عراق العرب وكُردستان وكان خسرو باشا يرى أن من الأولى الاستيلاء على كُردستان فتوجه إلى شهرزور وأمر ستة أفواج من المشاة يدعمهم أربعة آلاف فارس بالسيطرة على مَريوان. ومن جانبه قام الشاه صفي بإرسال زينل خان زعيم قبيلة شاملو على رأس جيش كبير إلى كُردستان. ونهض هو بنفسه على رأس جيش جرار إلى همدان. وسار زينل خان بجيشه على جناح السرعة إلى مَريوان فوصلها. ولما بلغ مسامع خسرو باشا خبر وصول الجيش الإيراني لنجدة أهالي مَريوان توجه هو أيضاً مع جيشه إلى تلك الناحية. وعلى أرض مَريوان تلاقى الجيشان وجرت بينهما معركة هائلة. ولما حمي الوطيس انفرط عقد جيش زينل خان. فانهزم مع رجاله إلى أن وصل همدان. وعندما علم الشاه صفي بتهاون زينل خان وهزيمته أشار بقتله فقتل وقُطع إرباً إرباً. ثم تم ترحيل أهالي منطقة علي شكر (إسفند آباد) التي كانت على طريق العساكر الرومية [العثمانية] بأمر من الشاه صفي.

وصل خسرو باشا إلى (دركزين) وتوقف لمدة يومين. ثم اتجه إلى بغداد لما سمع بتحرك الشاه صفي وجيشه من المواقع التي كانوا فيها.

والحاصل بعد انتهاء خسرو باشا من مهامه وانهزام الجيش العثماني، أمر الشاه صفي جيشه بالتوجه إلى شهرزور وكُردستان. وأخضع تلك المناطق مرة أخرى. وبعد هذه الحوادث سعى الشاه صفي إلى تقوية نفوذ سليمان خان الأردلاني فنصبه حاكماً مطلقاً على كُردستان.

ولأن سليمان خان كان قد تعهد لدى حضرة الشاه وفي بلاطه بتغيير عاصمة كُردستان فقد ورد إلى سنندج الحالية، وقام بموجب تعهده ببناء هذه المدينة وذلك سنة ١٠٤٦هـ = ١٦٣٦م. كما بنى قلعة على قمة تلة وسط المدينة

(٥) مراد الرابع (١٦٠٩- ١٦٤٠) حكم السلطنة العثمانية من ١٦٢٣م حتى وفاته سنة ١٦٤٠م، تمكن من استرجاع بغداد من أيدي الفرس سنة ١٦٣٨م. المنجد.
(٦) عثمان الثاني (١٦١٨- ١٦٢٢) قتل على يد الانكشارية. المنجد.

وحصنها غاية التحصين. وهي إلى الآن دار الحكومة الكُردستانية. كما قام ببناء قصر ومسجد وحمام في أطراف القلعة. وشق قناة في سهل (سرنووى) الواقع غربي سنندج. ليمد القلعة بالماء عن طريق ثلاثة مجار منحنية.

أما سنندج فقد كانت في الأصل قرية من قرى كُردستان تشتهر باسم (سينه) وبتعاقب الدهور تحولت (سينه) إلى (سنه) وسميت القلعة التي بنيت فيها (سنه دز) لأن دز تعني القلعة في اللغة الفارسية [وكذلك في بعض اللهجات الكُردية... ج. د] ثم عُرِّب الاسم إلى سنندج[٧].

وعلى كل حال فقد دمر سليمان خان قلاع ظلم وپلنگان وحسن آباد كي لاتصبح مرة أخرى ملجأ وملاذاً يحتمي به حكام كُردستان.

وفي سنة ١٠٤٧ هـ = ١٦٣٧م قام خان أحمد خان مرة أخرى على رأس اثني عشر ألف فارس من مضيق (جغان) عازماً على الاستيلاء على كُردستان فدخل أراضي كُردستان. وما كان من الشاه صفي إلا أن أصدر أوامره إلى علي بالي زنگنه أمير سائسي الخيل وثلاثمئة فارس بحراسة قلعة كُردستان [سنندج] كما أمر كلاً من سياوش بك قوللر آغاسي [قوللر آغاسي لقب عثماني كان يطلق على المسؤول عن شؤون الغلمان والعبيد... ج.د] وشاهويردي خان حاكم لورستان وآقا خان مقدم جوانشيري بالاستعداد لقتال خان أحمد خان.

وتلاقى الجمعان في سهل مَريوان وبعد تسوية الصفوف وعناق السيوف قتلت جماعة من الباشوات العثمانيين الذين كانوا في صفوف جيش خان أحمد خان الذي عندما رأى ضعف قواته وخَوَرَ جيشه هرب تحت جنح الظلام باتجاه الموصل ثانية. وبعد انقضاء ستة أشهر أسلم الروح هناك فقام أمراء كُردستان الذين كانوا في معيته بدفن جثمانه إلى جوار ضريح حضرة النبي يونس على نبينا وعليه السلام.

وهكذا انفرد سليمان خان بحكم كُردستان. وقد سار الشاه عباس الثاني الذي خَلَفَ الشاه صفي نفس سيرة سلفه تجاه سليمان خان الذي رحل عام

(٧) في مادة أردلان من دائرة المعارف: قصبة أردلان هي (سحنا) وتسمى كذلك (سنا) وفيها مقر أمير هو زعيم كُردي مستقل يحكم أردلان ويلقب بالوالي راجع الهامش (١) للفصل الثاني.

١٠٦٦هـ = ١٦٥٥م عن هذه الدنيا الفانية بعد أن حكم ستة وعشرين عاماً.

وبعد رحيله رأى الشاه عباس الثاني بناء على مشورة مريد سلطان الكلهوري الذي كان واحداً من أقرباء سليمان خان وكان ذا رأي سديد وفكر متين، أن يوزع كُردستان ويسلم أمور كل منطقة إلى واحد من أهالي كُردستان من أقرباء سليمان خان. ففوض أمر إيالة سنندج مع ملحقاتها الشرقية إلى كلبعلي خان ابن سليمان خان. وسلم حكومة مَريوان إلى خسروخان الابن الثاني لسليمان خان. كما أسند حكم سقز وسياهكو إلى سهراب سلطان ونصّب مريد سلطان حاكماً على پلنگان. وأهدى حكم شهروز وشهربازار وأورامان إلى محمد خان الكرجي الذي كان أحد الخدم في قصر الحريم.

حكومة كلبعلي خان في كُردستان

استلم كلبعلي خان زمام الحكم في إيالة سنندج سنة ١٠٦٧هـ = ١٦٥٦م وقد نهج في حكمه منهج العدل والإنصاف فحاز لنفسه سمعة طيبة واسماً حسناً، وأضحى محل وثوق واعتماد في بلاط الشاه عباس الثاني فأسند إليه حكم جميع أنحاء كُردستان الملحقة بسنندج وعينه قائداً للجيش المتوجه إلى خوزستان حيث أبدى شجاعة عظيمة لدى فتحها والاستيلاء عليها، فحصل على ترقيات فائقة من حضرة ملك إيران، واستقل بالحكم في كُردستان ستة عشر عاماً وجمع من الذهب والأموال مايفيض عن حاجة حكومة كُردستان، إلى أن وافاه الأجل المحتوم كما جرت العادة في بني البشر وذلك سنة ١٠٨٢هـ = ١٦٧١م واستلم الحكم بعده ولده الأرشد خان أحمد خان في نفس السنة.

حكومة خان أحمد خان بن كلبعلي خان في كُردستان

عندما وصل خان أحمد خان إلى سدة الحكم، فتح أبواب الرحمة والمحبة للقريب والبعيد والترك والطاجيك على مصاريعها. فكان في البذل حاتماً آخر

وقاناً ثانياً بل إن حاتم والقان من أدنى حجابه شأناً في هذا الباب. وقد تصرف في دفائن أبيه وخزائنه من الذهب والجواهر فبدّدها في فترة وجيزة ومن كثرة ماأهدى الناس من الذهب سمي في كُردستان (خان زرينه) [أي الخان الذهبي].

وبعد أن مضت بضعة أعوام من تسلمه مقاليد الحكم هيأ مجالس الطرب. وأمضى أوقاته في الليل والنهار يصاحب المُردان وينكبّ على معاقرة الخمور. وقد أدى إفراطه في اللهو إلى انتشار الفوضى في أرجاء مملكته.

وقد نقل عمه خسروخان حاكم مَريوان أمر تلك الفوضى في ولايته وأخبار أفعاله الشنيعة إلى الشاه سليمان الصفوي الذي فوَّض أمر حكومة كُردستان إلى خسرو خان، بعد أن عزل خان أحمد خان. بعد تسعة أعوام قضاها في الحكم. وحينما سمع خسروخان أمر إسناد الحكم إليه حسبما رغب واشتهى – وكان وقتها في مَريوان – شدّ الرِحال واستعجل القدوم إلى سنندج.

حكومة خسروخان بن سليمان خان في كُردستان

وصل خسرو خان إلى سنندج على حين غفلة، فاعتقل خان أحمد خان وأرسله في الأصفاد إلى أصفهان. وكان ذلك سنة ١٠٩١هـ = ١٦٨٠م.

وقد كان خسرو خان هذا رجلاً ظالماً مستبداً فتح أبواب الجور على مصاريعها. وعدِم الأهالي الحيلَةَ وضجروا من أعماله، فأسرعوا مستغيثين إلى بلاط الشاه سليمان الذي أكرم وفادتهم وأشفق عليهم وتلطف بهم وأرسلهم إلى خسروخان الذي لم يأبه بما فعله الشاه بل ازداد جوراً وظلماً وشتت شمل الوفد الذي ذهب إلى بلاط الشاه. فقتل بعضاً ونفى آخرين ونكل بالباقين.

وحينما اطلع الشاه سليمان على حقيقة ماجرى. أحضر خسرو خان إلى أصفهان وأمر بقتله، فقام الجلادون بقصف غصن عمر خسروخان وطي كتاب حياته في الميدان الملكي في أصفهان. قبل أن يتم له عامان في الحكم. وتم تعيين تيمورخان آجرلوئي بفرمان شاهاني حاكماً لكُردستان سنة ١٠٩٣هـ = ١٦٨٢ م.

حكومة تيمورخان آجر لوئي وهو ليس من بني أردلان

حينما استلم تيمورخان دفة الحكم في كُردستان، سلك سبيل الرفق واللين، واعتبر الخواصَّ والعوامَّ من أهل الولاية إخوة له وأصدقاء. مما جعل الناس يقومون بخدمته مخلصين. ومضت ستة أعوام على هذا المنوال. وعندما حل عام ١٠٩٩هـ = ١٦٨٧م تم عزله وتنصيب خان أحمد خان بن كلبعلي خان الأردلاني ثانية حاكماً على كُردستان. فسعى أكثر من ذي قبل في سلوك سبيل اللهو والخلاعة وعندما اطلع سليمان باشا الباباني على أحواله وعدم صلاحيته للحكم اتفق مع جمع من القبائل الكُردية والعربية عام ١١٠٣ هـ – ١٦٩١م وهاجم بجرأة حدود كُردستان فاستولى على مَريوان وسقز وأورامان. وقتل كلاً من سهراب سلطان حاكم سقز وابراهيم بك اسكندري حاكم مَريوان. ولما سمع خان أحمد خان هذه الأخبار استعد لملاقاة سليمان باشا فوراً. وأرسل تفاصيل الأوضاع إلى الشاه سليمان الذي أمدّه بجيش يقوده رستم خان وعباس خان زياد أوغلي. حيث التقى الجمعان في أرض مَريوان والتحموا في معركة انهزم إثرها جيش سليمان باشا بعد أن خسر أكثر من أربعة آلاف محارب بين قتيل وأسير.

وبعد هذا النصر اتهم عباس خان زياد أوغلي والي وأهالي كُردستان بفتنة سليمان باشا بوشاية من قاسم سلطان الأورامي. فألقى القبض على نفر من أعيان كُردستان مع ألف ومئتي رجل من رعاياها وقام بتعذيبهم والتنكيل بهم بعد أن أخذ جميع أموالهم وممتلكاتهم. ثم أمر بقتل جميع أولئك الأبرياء الذين لاحول لهم ولا قوة. وبنى تلة في سهل مَريوان من جماجم اولئك القتلى. وما تزال تلك التلة موجودة إلى يومنا هذا في سنة ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م وتسمى (كلين كوه) أي جبل الجماجم.

ولما علم الشاه سليمان بهذه الأعمال الوحشية التي قام بها السردار عباس خان شنقه في ساحة أصفهان ولقنه بذلك درساً في الحكم والقيادة.

وفي سنة ١١٠٧هـ = ١٦٩٥م قام الشاه سلطان حسين[٨] بعزل خان أحمد

(٨) هو الشاه حسين بن سليمان الصفوي ويعرف بسلطان حسين حكم إيران من ١٦٩٤م حتى ١٧٢٢م، ترك أمور الدولة بين يدي أشراف المملكة وصار تحت تأثير رجال الدين. عصاه =

خان وأسند حكم كُردستان إلى محمد خان بن خسرو خان المقتول. ولم يكمل خان أحمد خان تسع سنوات في الحكم.

قصة حكم محمد خان بن خسروخان في كُردستان

حينما استمر محمد خان حاكماً في إيالة سنندج. قام بإعمار الولاية. ولأن الأهالي كانوا مكدري الخواطر من أعمال عباس خان الوحشية التي مر ذكرها. فقد لجأت جماعة من أمراء كُردستان إلى الدولة العثمانية واختاروا الجلاء عن أوطانهم.

وقد قام الشاه سلطان حسين بغية استمالة أولئك الأمراء وبثِّ النظام في كُردستان أذربيجان بإرسال حسين خان اللوري صوب كُردستان. وقد اهتم هذا القائد غاية الاهتمام بأمر كُردستان سنندج المعمورة وكُردستان أذربيجان المهدمة – والحاصل أنه في سنة ١١١٣هـ = ١٧٠١م ثار سكان كُردستان في وجه محمد خان وسعوا إلى بلاط الشاه سلطان حسين للشكاية من جور محمد خان. فلم يتوان الشاه لحظة بل عزل على الفور محمد خان الأردلاني ونصب مكانه محمد خان الكرجي حاكماً لكُردستان. ودام حكم محمد خان الأردلاني في كُردستان ستة أعوام كاملة.

ذكر حكومة محمد خان الكرجي الذي لاينتمي إلى سلسلة بني أردلان

حينما وصل محمد خان الكرجي إلى كُردستان أعلن أنه من أهل السنة والجماعة وعلى مذهب الإمام الشافعي. وانبرى يقوم بأداء الفرائض الخمس [الصلوات الخمس] جماعة مع الأهالي. وكان ذلك سبباً في عزله عن الإمارة من قبل الشاه الصفوي [الشيعي]. ولا يعرف ماالذي جرى لذلك الحاكم بعد ذلك. وقد حكم مدة ثلاث سنوات. وتم تنصيب حَسَنْعَلي خان بن محمد مؤمن

= الأفغان والكُرد فغلب على امره وقتل فخلفه ابنه طهماسب في قزوين لأن العاصمة أصفهان وقعت بيد الأفغان. المنجد. وبمقتله زالت الدولة الصفوية لأن نادر شاه استولى على العرش من وريثه الطفل طهماسب الذي قتله ابن نادر شاه في سبزوار سنة ١٧٣٩ وكان منفياً حينما أجلس نادر شاه مكانه عباس الثالث.

خان اعتماد الدولة حاكماً لكُردستان سنة ١١١٦هـ = ١٧٠٤ م.

ذكر حكومة حَسَنْعَلي خان في كُردستان

لقد أبدى هذا الحاكم غلواً شديداً في المذهب الشيعي. وأظهر تعصباً مذهبياً شديداً تجاه أهل كُردستان الذين هم من السنة الشافعيين.

فاعتبر أموال وأرواح أهالي كُردستان ملكاً حلالاً له مثل حليب الأم. وذات يوم امتطى صهوة جواده وخرج من دار الإيالة بغرض الصيد. فمر بجانب ضريح حضرة الإمام (پير عمر) بن علي عليهما السلام. فسأل بعض الناس عن حال ذلك المدفون في تلك البقعة الشريفة فأجابوه إنه (پير عمر). ولما سمع ذلك الحاكم الجبار عديم التربية اسم (عمر) أمر بهدم تلك البقعة المباركة وتخريبها ثم مضى في حال سبيله.

ولما عاد [من رحلة الصيد] إلى دار الإيالة دَهَمَهُ عارض من المرض في قلبه فسقط في مكانه من شدة الألم. فأدركته أمه وأهل بيته لحظة سقوطه فتوجه إلى أمه بالكلام قائلاً: أماه... لقد أصابني پير عمر بالمرض. وحالما أنهى جملته هذه لفظ أنفاسه الأخيرة. وقد حكم أقل من عامين. فتم تنصيب أخيه حسينعلي خان حاكماً لكُردستان.

ذكر حكومة حسينعلي خان الابن الثاني لمحمد مؤمن خان اعتماد الدولة

سلك هذا الحاكم أيضاً سلوك أخيه في التعصب المذهبي الذي أساسه الجبروت والتوحش. ففتح على الكُردستانيين أبواب الجور، مما دفع بالأهالي بعد سنة من حكمه إلى إعلان الثورة والعصيان. فما كان منه إلا أن لجأ إلى بلاط الشاه حيث تم عزله بعد حكم دام سنة وأربعة أشهر. وتم تعيين كيخسرو بك حاكماً في كُردستان.

ذكر حكومة كيخسرو الخارج من دائرة الأردلانيين

حينما وصل كيخسرو بك إلى كُردستان، استكشف الأهالي أخباره فتبين لديهم أنه شخص سافل حقير غير نجيب وبريء من أهلية تسنم مهام الحكم وسياسة الرعية. فسعوا فيه حتى خلعوه وأرسلوه إلى أصفهان.

وبعد خلعه اتفق الناس سنة ١١٢١هـ = ١٧٠٩م على تنصيب عباسقُلي خان من أحفاد أحمد خان بن هلوخان حاكماً لكُردستان.

ذكر حكومة عباسقُلي خان حفيد خان أحمد خان الأردلاني

قدم عموم أهالي الولاية فروض الطاعة لهذا الحاكم. وأرسل له الشاه سلطان حسين الخلعة وفرمان الحكم. وفي سنة ١١٢٨هـ = ١٧١٥م نَدَبَه الشاه مع جمع من الكُرد لإخماد فتنة الأفغان. وأمره بالذهاب إلى قندهار، فقصدهم عباسقُلي خان على رأس جيش من ثمانية آلاف فارس وحينما وصل عسكر كُردستان إلى طهران وسمعوا باختلال حكم الشاه سلطان حسين، تمردوا على قائدهم عباسقُلي خان وعادوا إلى أوطانهم. فذهب عباسقُلي خان إلى بلاط الشاه واتهم عليقلي بك حفيد كلبعلي خان الأردلاني بتدبير تمرد العسكر ودعوتهم. لكن الشاه حسين عزل عباسقُلي خان ووسد الأمر إلى عليقلي بك المجهول وخلع عليه وأعطاه فرمان الحكم ولقب الخانية، وأرسل بصحبة الحاجب علي خان عُدَّة الحكم التي هي الخلعة والفرمان.

حكاية عليقلي بك وكيف وصل إليه أمر حكومة كُردستان

كان عليقلي بك هذا في سالف أيامه رجلاً فقيراً مسكيناً، يسكن في قرية من قرى خورخوره اسمها (شخله) وكان يعمل ليل نهار لكسب معاشه. وكان له جمع من الأصحاب يساعدونه في عسرته وضيقه. ويقولون له دائماً مشفقين: استعجل الرحيل من هنا إلى مكان آخر فربما شببت عن طوق الفقر!! وكان يجيبهم: (أگر خدا بدهد در قريه ى شخله هم مي دهد). فذهب قوله هذا مثلاً سائراً في كُردستان.

والحاصل أنه بعد وصول عليخان حامل الخلعة والفرمان إلى سنندج، سمع بوجود عليقلي بك في قرية شخله فأسرع إليها. وحينما اقترب من القرية وجد جدول ماء يستحيل عبوره إلى القرية دون دليل. وقد شاهد عليقلي بك وجماعة من أهالي شخله ذلك الأمير وأصحابه فأخفوا عنهم مكان العبور ودلوهم على مكان يبعد أكثر من فرسخ. لئلا يحلوا ضيوفاً في تلك القرية. لكن عليخان لم يكترث بما قالوه فخاض في الماء. [ووصل إلى الضفة الأخرى] وسأل عن أحوال عليقلي بك الذي اضطر أن يحضر إليه. فأكرمه عليخان غاية الإكرام وخلع عليه الخلعة الشاهانية وأسند إليه أمر حكومة كُردستان. فقال عليقلي بك الذي أصبح عليقُلي خان لأهالي القرية: ألم أقل لكم لو شاء الله أن يهب فإنه يهب في شخله أيضاً؟!

وبعد بضعة أيام أسرع أمناء كُردستان الذين اطلعوا على مجريات الأمر إلى عليقُلي خان. وبعد أن هيأوا له سبل الحكم أرسلوه صوب دار الملك في سنندج. فوصلها في سنة ١١٢٨هـ = ١٧١٥م. وفي تلك الآونة عينها كان أهالي لورستان قد شقوا عصا الطاعة للشاه حسين الذي ندب عليقليخان لتأديب الأهالي. فأظهر براعة بالغة في أداء مهمته. وقام مع شجعان كُردستان بأسر جماعة وقتل جماعة كبيرة أخرى.

وجاء حاكم لورستان بالتقدمات والهدايا اللائقة إلى عليقُلي خان، فما كان منه إلا أن أرسل الحاكم المذكور مع بضعة نفر من رؤساء البختيارية[٩] إلى بلاط الشاه سلطان حسين وتشفع لهم وطلب العفو عما اقترفوه من جرائم. فأنعم الشاه على حاكم لورستان ورؤسائها بألطافه السنية وأعادهم إلى وطنهم. أما عليقُلي خان فقد قفل راجعاً إلى سنندج في منتهى العز والتكريم.

(٩) البختيارية:
أهم قبائل لورستان، بعضها رحَّل وبعضها مقيم، وهي تسكن الجبال جنوبي فارس بين بروجرد= =وجهار محل ناحية الشرق، وقنن الجبال المشرفة على دزفل [ديز فول] كما تسكن ششتر ورام هرمز ناحية الغرب، ونهر دزفل [ديزفول] ناحية الشمال. وينقسم البختياري إلى قسمين كبيرين هما: هفت لنك وجهار لنك ويظهر أن قبيلة بندوني ليست منهما، ورجال البختياري متوسطو الطول أقوياء البدن سمر الوجوه، محدبو الأنوف وشعرهم طويل. نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية مادة بختياري. ويمكن لمزيد من الإطلاع مراجعة تاريخ الكُرد وكُردستان تأليف محمد أمين زكي ترجمة محمد علي عوني.

وفي سنة ١١٣٢هـ = ١٧١٩م وهي السنة التي نال فيها الضعفُ والفتورُ حكمَ الشاه سلطان حسين، عاث الأفغان فساداً في أطراف إيران، فاغتنم الفرصَةَ خانه باشا البابانى ابن محمد باشا من بني أعمام سليمان خان[١٠]، وكان وقتها حاكم السليمانية. وعزم على الاستيلاء على ولاية كُردستان فتحرك بجيش عظيم وهاجم حدود مَريوان. ولما لم يجد مايمنعه من الاندفاع وصل إلى مسافة خمسة فراسخ من سنندج. ولم يجد عليقُلي خان طاقة في المقاومة. فبادر بالهرب إلى أصفهان يجر أذيال الهزيمة واضطر أعيان كُردستان في ذلك الحين إلى الدخول في طاعة خانه باشا لحماية أرواحهم وممتلكاتهم. وهكذا خرج أمراء القوم لاستقباله وأتوا به إلى سنندج.

ذكر حكومة خانه باشا البابانى في كُردستان وفرار عليقُلي خان

في عام ١١٣٢هـ = ١٧١٩م أصبح خانه باشا حاكماً لكُردستان وبسط سيطرته على [المنطقة الواقعة] من كركوك إلى همدان. وقد بذل جهوداً كبيرة لإرساء أسس العدل. وسعى لاسترضاء أهالي كُردستان مما جعلهم يعيشون في سرور ورغد من العيش. وبسبب الاختلال الحاصل في الحكم الصفوي وحال الفرقة بين أمراء إيران فقد استطاع أن يقوم بأعباء الحكم بعزيمة ثابتة ونية راسخة فبنى مسجداً ومدرسة كبيرة في مدينة سنندج. وأنشأ منارتين في المسجد، وقد صمدت المنارتان قرناً كاملاً إلى أن جاء أمان الله خان والي كُردستان. فهدم المسجد والمنارتين من باب الغيرة والتعصب. وأنشأ مكان ذلك حديقة ماتزال موجودة إلى الآن وتسمى (حديقة الفردوس).

وعلى أي حال فقد بقي خانه باشا أربعة أعوام كاملة في سنندج. وفي سنة ١١٣٦هـ = ١٧٢٣م أسند أمر الحكومة هناك إلى ابنه عليخان. وتوجه إلى

(١٠) خانه باشا البابانى: من أمراء بابان، أعاد الحياة إلى الإمارة البابانية سنة ١٧٢١م بعد فترة من الضعف. شارك والي بغداد حسن باشا في حملته على إيران، وقلد ولاية أردلان. وناب عنه في حكم الإمارة البابانية أخوه خالد باشا. وبعد أربع سنوات من الحكم في أردلان توفي فخلفه ولداه محمد بك وعلي بك. ولما جاءت سنة ١٧٣٠م واستولى نادر شاه على العرش الايراني، تلاشت الإدارة البابانية في أردلان. (من تاريخ السليمانية، تأليف محمد أمين زكي. ترجمة ملا جميل الروژبياني- بغداد ١٩٥١م).

مملكة بابان. ومع أن عليخان كان في ريعان الشباب فإنه لم يغشَ مطلقاً مجالس اللهو والمنكرات، بل أمضى بقية عمره في صحبة العلماء والشعراء. وفي سنة ١١٤٢هـ = ١٧٢٩م انتشر في العالم صدى فتوحات نادرشاه[١١] الذي كان حينذاك قائداً لجيوش الشاه طهماسب الثاني الصفوي. وكان يسمى لذلك طهماسبقُلي خان. فارتعب عليخان دون أن يدخل في حرب أو قتال وعزم على العودة إلى مُلك بابان. وقد دام حكمه ستة أعوام.

بعد ذلك قام الشاه طهماسب الثاني الصفوي حسب مشورة نادر شاه بإرسال عباسقُلي خان الأردلاني حاكماً على كُردستان. لكنه لم يلبث أن توفي وانتقل إلى الدار الآخرة.

ذكر حكومة سبحان ويردي خان في كُردستان

وحسب قانون الوراثة فقد قام مقامه ابنه سبحان ويردي خان وأصبح حاكم كُردستان سنة ١١٤٣هـ = ١٧٣٠م. وكان رجلاً عابداً زاهداً. طبق القوانين القبلية الكُردية وبذل جهوداً كبيرة في توسعة مدينة سنندج وتعميرها وفي سنة ١١٤٧هـ = ١٧٣٤م عقد نادر شاه العزم على الإستيلاء على شيروان[١٢] فخرج من أصفهان قاصداً إياها. وفي الثامن عشر من شهر صفر من نفس السنة ورد مدينة سنندج. ونزل في القاعة الواقعة شمال القلعة الحكومية وكانت تشتهر بقاعة (تبوله) وكان يبلغ طولها عشرين ذراعاً وعرضها اثني عشر ذراعاً. وعقد مجلساً عاماً. حيث كان سبحان ويردي خان يجلس في صدر القاعة. فبادره نادر شاه بالكلام قائلاً: أيها الوالي... إننا لم نأت لنغتصب مكانك وإن قاعتك لكبيرة، ففي طرف منها يكون مجلسي حيث أنصرف إلى الانشغال بشؤون السلطنة. وفي طرف تجلس أنت حيث تدير

(١١) نادر شاه: (١٦٨٨- ١٧٤٧) ولد في مشهد وتوفي في فتح آباد، كان في بداية أمره جمّالاً، ودخل في خدمة الشاه حسين الصفوي (سلطان حسين) وبعد سقوط أصفهان بيد الأفغان ثار عليهم وقاد جيش طهماسب الثاني، بويع له بالملك .فتح آسيا الوسطى وقسماً من هندستان حتى دهلي. قتل على يد قواده. المنجد.

(١٢) شيروان ولاية حكمها أمراء كُرد ينتهي نسبهم إلى وزراء ملوك بني أيوب وفي رواية أخرى يرتقي نسبهم إلى ملوك شيروان وهي إحدى ولايات جنوبي جبال القفقاس. انظر الشرفنامه - ترجمة محمد علي عوني - ص ٢٢٣.

أمور حكومتك!! وبسبب هذه المكرمة من نادر شاه، قام سبحان ويردي خان بتقديم عشرة آلاف تومان ذهب نقداً وأربعة عشر الف مَنٍّ من السمن إليه.

ولكن بعد تتويج نادر شاه في صحراء مغان [صحراء المجوس] في شوال سنة ١١٤٨هـ = ١٧٣٥م تم عزل سبحان ويردي خان وتنصيب أخيه بدلاً منه والياً لكُردستان. وقد أمضى سبحان ويردي خان خمسة أعوام وثمانية أشهر في الحكم.

وفي شهر محرم من سنة ١١٤٩هـ = ١٧٣٦ م ورد مصطفى خان [شقيق سبحان ويردي خان] مدينة سنندج. وبعد مضي أربعة أشهر ثار عليه الأهالي، فأصبح سبحان ويردي خان حاكماً للمرة الثانية.

وفي سنة ١١٥٣هـ = ١٧٤٠م وبعد عودة نادر شاه من الهند وذهابه إلى خوارزم للاستيلاء عليها وقمع واليها (ايلبارس). طلب حضور والي كُردستان إلى بلاطه. وعين بدلاً منه أحمد سلطان بن سبحان ويردي خان، وكان قد صحبه من الهند ورافقه في جميع غزواته التي كان فيها الفتح والنصر يسيران في ركاب نادر شاه وأنعم عليه بلقب الخان، فحكم المنطقة الممتدة من انتهاء أراضي همدان وحتى ابتداء أراضي الموصل. وكانت مدة حكم سبحان ويردي خان في النوبة الثانية أربع سنوات.

حكومة أحمد خان بن سبحان ويردي خان في كُردستان

وصل أحمد خان إلى عاصمة كُردستان واستلم دفة الحكم بفخر واعتزاز كبيرين وفي سنة ١١٥٤هـ = ١٧٤١م وحينما كان نادر شاه متوجهاً إلى داغستان، رأى من الضروري أن يصطحب معه أحمد خان هذا. بعد أن رأى فيه الرشد والصلابة إبان سفره إلى الهند. فأحضره وعين بدلاً منه وللمرة الثالثة سبحان ويردي خان حاكماً على كُردستان. حيث أمضى الأخير سنة وثلاثة أشهر في الحكم إلى أن عزله نادر شاه ونصب ابنه أحمد خان مرة أخرى. فعاد إلى كُردستان سنة ١١٥٥هـ = ١٧٤٢م. وفي تلك السنة عم القحط والغلاء ولاية كُردستان. وصار الرغيف الواحد بسعر الروح. ولأجل

المحافظة على أرواح عموم أهل كُردستان قام أحمد خان بتوزيع القمح والشعير المخزون في العنابر على فقراء كُردستان حتى أنقذهم من الموت المحتم. وكانت تلك الحبوب ملكاً لنادر شاه.

وشاءت الأقدار أن يبعث نادر شاه في تلك الآونة رسولاً إلى كُردستان لإحضار مافي العنابر من غلال حتى يتم تموين الجيش في أذربيجان، وحينما وصل الرسول إلى كُردستان، وجد العنابر خالية فاتهم أحمد خان بذلك وأرسل للشاه كتاباً تضمن اتهاماته له. مما أذكى نار غضب نادر شاه. ودفعه إلى إصدار أمر بقتل أحمد خان، لكن الخبر تسرب إليه قبل تنفيذ الأمر. فعزم على الهرب إلى الدولة العثمانية مضطراً مع ألفي فارس من خاصته وأقربائه. وحينما نزل شهرزور اعترضه ظاهر بك زعيم عشيرة الجاف، فحاربه أحمد خان وتغلب عليه ومن هناك تحرك صوب السليمانية. حيث تقدم الحاكم خالد باشا إليه بقدم الطاعة. فأسرع أحمد خان إلى الموصل حيث وقف حاكمها في وجهه. لكن أحمد خان انتصر عليه وأسره واستولى على الموصل عنوة، وانصرف لاتمام أعماله، فنصب محمد جلبي حاكماً للموصل. واتجه صوب ديار بكر فحلب. إلى أن وصل بعد شهر وأربعة أيام إلى إسلامبول [اسطمبول]. ويوم وصوله أسرع جمع من الباشوات وأفندية الديوان وشيخ الإسلام إلى استقباله. ونزل هو في دار عينوها له في غاية العز والإكرام.

وأصبح أحمد خان وجميع رفاقه ضيوفاً على مائدة السلطان. وبعد مدة من الزمن أمر السلطان العثماني[١٣] بإرساله حاكماً على (أدرنه) فأسرع مع أصحابه إليها. أما نادر شاه فإنه حالما سمع خبر فرار أحمد خان، نصب حاجي مولا ويردي خان القاجاري حاكماً لكُردستان. كما ناط بگلربگية طهران بسبحان ويردي خان وذلك في سنة ١١٥٦هـ=١٧٤٣م.

وعندما وصل حاجي مولا ويردي خان إلى كُردستان. لم يستطع العيش معهم بوئام بسبب الاختلاف المذهبي وبعد المشرب بينه وبينهم، فتم عزله بعد سنة ونيط أمر كُردستان بسبحان ويردي خان، بگلربك طهران. فجاءها مع

(١٣) هو السلطان محمود الأول (١٦٩٦م- ١٧٥٤م) جلس على عرش السلطنة من عام ١٧٣٠م حتى ١٧٥٤.

مايقرب من ألف فارس أفغاني وخراساني بقيادة محمد رضا بك الكرجي لأجل حراسة كُردستان. ولقد كان رضا بك هذا رجلاً حاد الطبع محباً لإثارة الفتن، فأرهب أهالي الولاية عموماً بسيف لسانه، وسعى في إيذائهم والإضرار بهم، كما أن سبحان ويردي خان لم يقو على مقاومة سطوة نادر شاه، ومرت الأيام على هذا المنوال ثلاثة أعوام، إلى أن انتشر خبر مقتل نادر شاه في أواخر شهر جمادى الأخرى سنة ١١٦٠هـ = ١٧٤٧ م، ولأن هذا الخبر المخيف وصل إلى مسامع سبحان ويردي خان أولاً، فإنه طلب – دون علم أهالي كُردستان – مقابلة القائد محمد رضا بك مع جمع من الأمراء الأفغان والخراسانيين، وأخبرهم بمقتل نادر شاه وخاطبهم من باب المصلحة والنصح قائلاً: بما أنكم ضيوف، فإنني لاأريد أن تتعرض أرواحكم للأذى. والآن وما دام الخبر لم يصل بعد مسامع أهل هذه المنطقة أنقذوا رؤوسكم والتمسوا طريق خراسان. ثم منحهم بعد ذلك ألف تومان ذهب وأنعم على محمد رضا بك والأمراء الأفغان والخراسانيين بالخلع. فخرجت تلك الجماعة الكبيرة ليلتهم تلك من الولاية.

وفي اليوم التالي سمع أهالي كُردستان خبر مقتل نادر شاه وفرار محمد رضا بك والفرسان الآخرين فاستعدوا لملاحقتهم، لكن سبحان ويردي خان أظهر الجد وبذل الجهد في منعهم.

وبعد مرور سبعة أشهر على هذه الأحداث وفي سنة ١١٦١هـ = ١٧٤٨م نهض إبراهيم خان ابن أخ نادر شاه بالدعوة إلى نفسه سلطاناً. ولقب نفسه عادل شاه وكان لحسن علي خان الأردلاني قدم السبق في خدمته فأرسله إلى كُردستان حاكماً في نفس العام. وكان سبحان ويردي خان قد لبّى داعي الحق في همدان وانتقل إلى دار الخلود. حيث أتوا بنعشه إلى جبل (كوه شَيدا) في كُردستان ودفنوا جثمانه تحت قبة (شَيدا) في أعالي ذلك الجبل.

حكومة حسن علي خان الأردلاني في كُردستان

حالما وصل حسن علي خان إلى كُردستان انصرف إلى تعمير الولاية وتعزيز الثغور والحدود وفي سنة ١١٦٤هـ = ١٧٥٠م غزا كريم خان زند[١٤] كُردستان وأغار على مدينة سنندج وأعمل فيها السلب والنهب. ولما لم يجد حاكم سنندج حسن علي خان وسيلة للدفاع لجأ إلى قلعة (قراتوره) وتحصن فيها فألقى الشيخ علي خان زند نطاق الحصار عليها بأمر من كريم خان زند. ونظراً لمناعة القلعة لم يستطع الاستيلاء عليها فعاد إلى كريم خان زند وأخبره بما جرى، حيث قام أشرار كريم خان بإحراق مدينة سنندج.

وفي سنة ١١٦٦هـ = ١٧٥٢م جمع علي مردان خان البختياري جيشاً واتجه إلى كرمانشاه حيث كان رجل مجهول النسب يدعي أنه ابن الشاه سلطان حسين، وقد لقب نفسه سلطان حسين الثاني. وكان قد ادعى أحقيته بملك إيران وهو في بغداد، حيث صدقه في ادعائه الميرزا مهدي خان[١٥] مؤرخ نادرشاه وأحضره معه إلى كرمانشاه وقد اتخذ علي مردان خان[١٦] من الشاه سلطان حسين الثاني المجهول ألعوبة في يده، وعزم على الاستيلاء على كُردستان، وقد تحرك حسن علي خان الذي كان على علم بتحركاته مع جمع كُردستاني لملاقاته.

أمَّا كريم خان زند الذي كان له سابق خصومة مع علي مردان خان. ويتحين الفرصة لحربه فقد انضم بجيشه إلى حسن علي خان الذي تفاءل بوجوده معه وبالغ في إكرامه واحترامه. وتحرك الفريقان [المتحالفان] لمحاربة علي مردان خان. وتلاقت الجيوش في منطقة (بيلاور) في كُردستان حيث انتصر التحالف الكُردستاني والزندي وانهزم علي مردان خان. وغنم الأبطال

(١٤) هو كريم خان زند (١٧٠٥م- ١٧٧٩م) مؤسس السلالة الزندية التي حكمت إيران مابين عامي (١٧٥٠- ١٧٩٤) وهو أول من لقب بوكيل الرعايا كما يقول الدكتور الشهيد عبدالرحمن قاسملو. استتب الأمن في عهده. وبعد موته عادت الفوضى إلى إيران.

(١٥) هو المؤرخ ميرزا محمد مهدي خان الأستراباذي له كتاب (دره نادري) في سيرة نادر شاه، وقاموس (سنغلاج) وهو قاموس تركي شرقي إيراني.

(١٦) هو الزعيم البختياري علي مردان، احتل أصفهان سنة ١٧٥٠ ونصب فيها اسماعيل حفيد الشاه سلطان حسين الصفوي. ثم سقط بيد كريم خان زند...

الكُردستانيون والزنديون جميع متاع وخيام علي مردان خان، وقتل الشاه الدعيّ [سلطان حسين الثاني] في تلك الواقعة. وعاد حسن علي خان بعد ذلك النصر المبين إلى سنندج بينما أسرع كريم خان زند إلى كرمانشاه.

وفي سنة ١١٦٧هـ = ١٧٥٣م رفع آزاد خان الأفغاني[١٧] لواء السلطنة في أصفهان وعين سليم باشا – وهو أحد العثمانيين الذين كانوا في معسكره لسنوات عديدة – حاكماً على سنندج وأحضر حسن علي خان إلى أصفهان، وبعد شهرين استلم آزاد خان أربعة آلاف تومان برسم الهدية من سليم باشا، فبعث إليه حسن علي خان يرسف في القيود حيث أعدمه اللئيم [سليم باشا] يوم وصوله.

وبعد أن تم القضاء على حسن علي خان – قبل انتهاء سنة – ثار أهالي الولاية على سليم باشا وطردوه من كُردستان فالتجأ إلى النائب محمد حسن خان القاجاري الذي كان حاكماً في مازندران. وسعى الأخير لتعيينه مرة أخرى حاكماً على كُردستان. ولكن خسروخان بن أحمد خان الأردلاني الذي صرف عمره العزيز في خدمة محمد حسن خان القاجاري وكان في معيته سفراً وحضراً طوال سنوات عديدة، شرح حال ذلك اللئيم سليم باشا وعرض أحقيته بالملك على محمد حسن خان القاجاري. وحسب ماأورده محمد آقا جد المؤلف [يقصد علي أكبر كُردستاني نفسه] وكان أحد أقرباء خسروخان، فإن محمد حسن خان القاجاري قال لخسرو خان: إنك لاتعرف جيداً مَن هو محمد حسن! إنني لست ذلك الرجل الذي يغض الطرف عن خدماتك ويبيع حكم الولاية لشخص غريب. ثم كرر كلامه قائلاً: خسرو خان! إنك لاتعرف الأصلع محمد حسن خان حق المعرفة... كلامي واحد وأنت صاحب كُردستان. والحاصل أن النائب محمد حسن خان زرع اليأس في قلب سليم باشا ومنح خسرو خان خلعة حكومة كُردستان وأنفذه معززاً مكرماً إلى ملكه الموروث حيث وصل إلى الولاية في شهر محرم سنة ١١٦٨هـ = ١٧٥٤م وتسلم مقاليد الحكم.

(١٧) آزاد خان الأفغاني: يذكر في كتب التاريخ الايراني بأسم أسد خان.

قصة حكم خسرو خان وبيان فتوحاته

كان خسروخان رجلاً عاقلاً مدبراً رشيداً في غاية الشجاعة. وقد قام بأعمال عظيمة. وبفضل كفاءته فقد قويت شوكة أهالي كُردستان وعاشوا في الرفاهية وتقلبوا ثلاثين سنة كاملة في فراش الأمن والطمأنينة. وقد اختصر الحقير كاتب هذه السطور حكم خسرو خان كما يلي:

في أول سنة من حكم خسروخان، كان آزاد خان الأفغاني قد أخلى مدينة أصفهان وأسرع باتجاه أذربيجان وذلك خوفاً من الوكيل كريم خان وهرباً من تهديدات النائب محمد حسن خان القاجاري. وسعى إلى الاستيلاء على كُردستان من جهة همدان، حيث وصل على حين غرة إلى بعد فرسخين من مدينة سنندج، فاضطر خسرو خان إلى الاحتماء بالقلعة وبعث إلى الأطراف في طلب الجنود وبعد اثني عشر يوماً من تعسكر آزاد خان في أطراف قلعة سنندج، تقاطر جنود خسرو خان من جميع الأطراف واتجهوا صوب المدينة، مما دفع آزاد خان إلى الهرب باتجاه أذربيجان، وخرج خسرو خان من القلعة وتعقب أثره إلى مشارف (كروس) فاضطر آزاد خان إلى ترك الأثقال والأحمال وراءه ليواصل هروبه إلى أذربيجان. حيث أصبح ماخلف وراءه غنيمة لأبطال كُردستان. وقد بعث خسرو خان إلى النائب محمد حسن القاجاري بحقيقة ماجرى. فأرسل الأخير ثلاثة آلاف تومان وحصاناً بسرجه وخلعاً له ولأبطال كُردستان. وقد سببت هذه الوقائع ألماً للوكيل كريم خان إلى أن جاءت سنة ١١٧٢هـ = ١٧٥٨م حيث قُتل النائب محمد حسن خان في منتصف شهر جمادى الثانية، من قبل سبز علي أستراباذي ومحمد علي آغا دلو. وقد تأثر خسرو خان تأثراً بالغاً بهذا الخبر واستوحش من كريم خان الوكيل. فقام بجمع العسكر وانصرف إلى إقامة التحصينات.

وحالما وصل خبر استياء خسرو خان إلى كريم خان بعث إليه الخلعة والفرمان بحكم إيالة كُردستان واستماله بشتى صنوف الألطاف حتى هدأ. وفي سنة ١١٧٣هـ = ١٧٥٩م توجه موكب كريم خان من طهران إلى مرج السلطانية. فأرسل خسروخان ولده خان أحمد خان لاستقباله مع التقدمات والهدايا والتحف الكثيرة اللائقة.

وفي سنة ١١٧٦هـ = ١٧٦٢ م عزم سليمان باشا البابانى[١٨] الاستيلاء على كُردستان فهاجم مَريوان. وحالما اطلع خسرو خان على نوايا سليمان باشا أسرع لملاقاته مع جمع قليل. والتقى الجمعان في أرض مَريوان وانهزم سليمان باشا أمام قوة خسرو خان وأبطال كُردستان.

ولكي يثأر لنفسه هرب إلى بلاط كريم خان الوكيل ولفق الأكاذيب بحق خسروخان ودفع قرابة ثلاثة آلاف تومان ذهب إلى كريم خان الذي كان يكنُّ لخسرو خان حقداً دفيناً. فأرسل في طلبه ثم بعثه إلى شيراز وتم عزله وتعيين سليمان باشا البابانى حاكماً لكُردستان التي وصلها حاملاً الخلعة والفرمان. وبعد سنة من الحكم قام فقيه ابراهيم باغتيال سليمان باشا في أثناء النوم، فشرع كريم خان بتعيين شقيقه محمد باشا خلفاً له في السليمانية وعين ولده علي خان حاكماً على سنندج.

وبعد عامين على هذه الحوادث، أي في سنة ١١٧٩هـ = ١٧٦٥م عاد خسرو خان والياً على كُردستان بأمر من كريم خان. واستقل بامر الحكومة استقلالاً تاماً، وشرع في بناء وإعمار مدينة سنندج وبذل جهوداً وافية في إنشاء قلعة حكومية، ووضع أساس عمارة وإيوان باتجاه الشرق وبعد أن أكمل ذلك سماه (الخسروية) وما يزال مابناه خسرو خان باقياً إلى الآن أي سنة ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م. وقبل ثلاثة أعوام أي في سنة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م قام محمد ابراهيم خان نظام الدولة بإضافة عمارة جديدة إلى الخسروية والحاصل أن خسرو خان أصبح حاكماً قوياً، واشتهر بين امراء إيران بالشوكة والاقتدار. وبعد أن رحل كريم خان سنة ١١٩٣هـ = ١٧٧٩م ترك فراغاً كبيراً في مملكة إيران،

(١٨) سليمان باشا البابانى: يقول محمد أمين زكي في كتابه تاريخ السلمانية:أن سليمان باشا كان من اعظم الرجال في الأسرة البابانية وكان تقياً ورعاً جباراً شديد البطش!!
ويروى أن كريم خان زند أيده بجيش قوامه اثنا عشر ألف فأغار به على المناطق البابانية لكنه أخفق، إلا أنه تمكن من الانفراد بحكم الامارة البابانية لكن الأقدار لم تدعه وشأنه، فقُتل في إحدى الليالي على يد (فقي ابراهيم) وهو نائم في داره فدُفن في قلعة چوالان وكتب على لوح ضريحه هذا البيت:

مفسدى نيمه شب باخنجر جوهرى جسمى كرامش بسميد

ومعناه: قام أحد الجناة في منتصف الليل فأنفذ خنجره في جوهرة جسمه الكريم...

ولم يتسن لإيران سلطان مقتدر يحكمها. بل حاول كل واحد من طرفه أن يتربع على العرش ويستقل بالحكم.

وفي سنة ١١٩٣هـ = ١٧٧٩م أخرج اللهقلي [الله قلي] خان زنگنه رأسه من فتحة قميص الكمون، واستعد بعزيمة راسخة ورأي ثابت مع عشرين ألف فارس وراجل من عشائر زنگنه والكلهور وعشائر منطقة زهاو والأراضي العثمانية للإستيلاء على كُردستان كمبادرة أولى في سلسلة فتوحاته حيث رافقه في جميع تحركاته محمد رشيد وكيل كُردستان، وكان قد ذهب إلى كرمانشاه قبل مدة مع أتباعه وأصبح مستشاراً له.

وحالما وصل خبر نهوض اللهقُلي خان إلى خسرو خان، قام مع جمع قليل من العساكر الذين كانوا في مدينة سنندج وخرج دون تأخير من المدينة بقصد القتال وملاقاة اللهقُلي خان. وقد كان محمد آغا جد الحقير مؤلف هذا الكتاب حاضراً في تلك الأحداث مع خسرو خان. فرواها كما يلي:

عندما خرج خسرو خان من مدينة سنندج مع عساكره وصل إلى شِعب (باغان) على بعد ثلاثة فراسخ. ولم يكن في هذا الشعب سوى درب ضيق لعبور الجنود. وقد طلب مني خسرو خان أن أجلس في ركن وأبدأ بعد الجنود فامتثلت لما أمر به وتبين لي أن عددهم يبلغ سبعمئة وأربعين نفراً. وعندما ذهبت إلى خسرو خان وأخبرته بالنتيجة قرأ هذه الآية بثبات قلب ورباطة جأش [وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله]. ثم عمد إلى تقسيم جيشه الصغير ووضع على رأس كل مئة فارس ابناً من أبنائه السبعة، أما هو فقد قاد الأربعين فارساً الباقين، كما أصبح هو قائداً عاماً للجميع وتحرك على جناح السرعة بعد أن عين ابنه الكبير خان أحمد خان مع ميرزا يوسف الوزير قائداً لطليعة الجيش وفي الطرف الثاني انتخب اللهقليخان [اللهقُلي خان] حوالي ألف فارس من عشيرة الزنگنه والكُردستانيين الذين كانوا في معسكره ودفع بهم إلى الأمام. وحسب المقدور وبعد أن وصل الليل إلى منتصفه تقدمت طليعتا الجيشين وتلاقتا، فاندفع خان أحمد خان مزمجراً كالأسد وأخذ يقتل تحت جنح الظلام ويأسر ويجرح. كما أن ميرزا يوسف الذي كان صاحب سيف وقلم [محارباً وكاتباً] حمل على العدو بالسيف

والسنان كأنه رستم. وبعد حين من القتال تم أسر جماعة وقتل أخرى فاضطرت بقية السيف من فرسان الزنگنه إلى الهرب باتجاه معسكر اللهقُلي خان خوفاً ورعباً. أما خان أحمد خان فقد عاد بالأسرى والغنائم والرؤوس [المقطوعة] لدى طلوع الفجر إلى والده المبجل فكان ذلك موضع استحسانه.

والحاصل أنه بعد ذلك اتخذ الوالي خسرو خان مكانه في القلب واصطف الفرسان الكُردستانيون بأمره كالأسود الجائعة على الميسرة والميمنة بكامل ثيابهم ودروعهم وأسلحتهم.

وفي الطرف المقابل قام اللهقُلي خان بتسوية الصفوف وترتيب الميمنة والميسرة والقلب والجناح حسب القواعد العسكرية. ونصب المدافع والزنبوركات في الجناحين والقلب المحكم ناظراً بعين الحقارة إلى تلك الفئة القليلة من جيش كُردستان وقد رأى خان أحمد خان الولد الأرشد لخسروخان أن يظهروا عدم الاستعجال في الدخول إلى الحرب حتى يظن جيش اللهقُلي خان أنهم المنتصرون فيتركوا مدافعهم ويندفعوا إلى ميدان القتال.

وبأمر القضاء فقد التقى التقدير بالتدبير [أي أن الخطة التي رسمها خان أحمد خان وافقت القدر المرسوم من لدن الله بانتصار جيش خسروخان... المترجم] إذ حالما رأى اللهقُلي خان حالة الضعف والخَوَر في عساكر كُردستان أمر بمشورة من الوكيل رشيد بك الكُردستاني ألفي فارس من الزنگنه والكلهور بالحمل على جيش كُردستان وإبعادهم عن مواقعهم. ولم يتوان أولئك الفرسان فبدأوا الهجوم. وتحقق بذلك هدف معسكر جيش كُردستان. فأمر خسرو خان كلاً من خان أحمد خان وأمير أصلان وخان محمد خان الثلاثة الذين كانوا فلذات كبد ذلك البطل، بدخول الميدان مع الفرسان الذين تحت إمرتهم والإغارة على الأعداء. فكانوا في القتال كالفهود الغاضبة والآساد في عرائنها. ولما شاهد اللهقُلي خان تلك الجرأة والشجاعة، خرج بجنده من ساحة الوغى واستعجل في الهرب. عندها باشرت بقية أفواج خسرو خان بالهجوم. فحزموا أحمالاً من القتلى.

وقد تقابل في تلك المعركة رضا بك الكلهوري – وكان سائساً خاصاً لخيل خسرو خان مع اللهقُلي خان ففصل رأسه عن جسده وذبحه كما تذبح النعاج.

ويستمر محمد آغا جد المؤلف قائلاً:

حينما انصرف جيش كُردستان إلى تعقب فلول المهاجمين وقتلهم وانشغلوا بجمع الأسلاب، وذهب خسرو خان إلى خيمة اللهقُلي خان ولم يكن خلفه أحد سواي وحالما دخلت السراپردة توجهت إلى خزانتها فشاهدت صناديق كبيرة عديدة فحملت واحداً منها كان مليئاً بسجلات السلطنة وبداخله صندوق صغير. حملته ودسسته في جيبي. ثم أسرعت إلى خسرو خان الذي كان في غاية التعب والإرهاق متمدداً على أريكة داخل الخيمة. وعندما لمحني بادرني بالسؤال قائلاً:

هل أنعم الله عليك بشيء؟ فأجبته على الفور ببيت الشعر هذا:

لقد اقتفيت أثر السلطان وظفرت من خدمتي له بالنعمة

ثم قصصت عليه حكاية الصندوق. فقفز خسرو خان من مكانه وطلب الصندوق فأخرجته. وكان عليه قفل صغير أردت تحطيمه إلا أنه منعني وأخرج من جيبه مفتاحه وقال: سبحان الله! إلى أي درجة كان الفتح رفيقنا اليوم ؟! فمفتاحنا يوافق هذا القفل ويفتحه أيضاً!!

والحاصل أنه لما فتح الصندوق ورفع الغطاء وجده مليئاً بأنواع الجواهر. فنثرها على فرش الخيمة. وأخذتني الدهشة وتملكتني الحيرة من رؤيتها وكم ندمت على إخباره بخبر الصندوق. وأخذ خسرو خان يضرب تلك الجواهر المنثورة بسيف كان في يده. وكان بينها خاتم فيروز لبسه ثم نزعه وأعطاني إياه قائلاً: خذ هذه لك وامنحها لأهلك وعيالك ونسائك. وبلغت قيمة تلك الجواهر أكثر من خمسين ألف تومان.

وعلى كل حال فإن المدافع والزنبوركات والأموال والخيام التي تفوق التصور صارت من نصيب أهالي كُردستان. كما أن محمد رشيد بك ونصير خان الكليائي وجماعة من أعوان اللهقُلي خان المعتبرين وقعوا أسرى. وعندما أدخل محمد رشيد بك مقيد اليدين على خسرو خان. عامله بغاية الإنصاف وعلو الهمة وفك القيود من يديه قائلاً له: أيها الوكيل! إن اللفت والبرغل في وطننا كُردستان أطيب من ألوان الأطعمة في كرمانشاه. ثم أمر بإعادة كل ماسلب من أموال ومتاع ومخلفات خلال الغارة إلى محمد رشيد بك. انتهى

[كلام جد المؤلف محمد آغا]. وبعد هذا الفتح المبين، تم تنصيب حاجي علي خان عم اللهقُلي خان المقتول حاكماً على كرمانشاه، ومن جهته قام حاجي علي خان بتوكيل خسرو خان في جميع خزائن ودفائن ومواشي اللهقُلي خان.

ولقد قام خسروخان بتوزيع جميع ماغنمه في تلك المعركة من مال ودواب وغيرهما على جنوده، وكانت تلك الغنائم تبلغ ما قيمته مليونان [؟] بالنقد الحالي [زمن المؤلف] ولم يمد يده إلا إلى فرس للركوب وخيمة اللهقُلي خان، وعاد في غاية العز والفخار إلى سنندج، وعاش الأهالي في كُردستان ردحاً طويلاً في الرغد والهناء. ولا يخفى أن أحداً من المؤرخين في هذه الدولة السامية لم يتطرق بأي وجه من الوجوه إلى ذكر حرب اللهقُلي خان مع خسرو خان ثم مقتله. في حين أن أحداً لايمكنه الشك في أمر هذه الحرب، ولقد شاهدت أنا الحقير مؤلف هذا الكتاب، بضعة نفر حضروا تلك المعركة التي جرت في ربيع الأول سنة ١١٩٣هـ = ١٧٧٩م أي بعد شهر من وفاة كريم خان، ولأنها كانت أولى الانقلابات فلم يأت على ذكرها أحد.

وفي سنة ١٢٠٠هـ = ١٧٨٥ م نهض جعفر خان زند من أصفهان وجاء إلى همدان بقصد استمالة خسرو خان، وكان جعفر خان هذا قد ادعى أنه الأحق بعرش إيران. أما خسرو خان فقد أصبح يفوق جميع أمراء إيران بعدد رجاله وكثرة أبطاله. ولما وصلت رسالة جعفر خان إليه يطلب فيها حضوره، تشاور مع أعيان مملكته، وبعد تداول القضية قر رأيهم آخر الأمر على الاستعداد لقتاله. فقام ذلك الملك السعيد [خسرو خان] مع الجنود الكُرد وتوجه ختالاً إلى همدان، ودعا كلاً من محمد حسين خان قره كوزلو، وخانات كروس وعلي خان إلى المشاركة في الحرب فانضم زعماء الكُرد أولئك إلى معسكره قرب قرية (بهار همدان) مع خمسة آلاف من فرسانهم.

وفي يوم الخميس ٢٤ شعبان سنة ١٢٠٠هـ = ١٧٨٥م التقى الفريقان في معركة حامية بالقرب من تلك القرية، وفي اليوم الأول لم يستطع أي طرف إلحاق الهزيمة بالطرف الآخر حتى غربت الشمس وانسحب كل فريق إلى معسكره.

وفي اليوم الثاني من القتال بدأ الانكسار في جيش علي خان ومحمد

حسين خان قره كوزلو، أما والي كُردستان خسرو خان فقد ثبت مع جيشه كالجبل الراسخ واقتحم الميدان مع ثلاثة من أبنائه وألف من الفرسان الكُرد كالآساد الغضاب، ودخلوا في قتال شرس، ثم حملوا بجرأة خارقة فهزموا جيش جعفر خان وقتلوا جمعاً كثيراً من الجنود الزنديين.

ولم يستطع جعفر خان الذي كان رجلاً قوي البنية ضخم الجثة الفرار، فلجأ إلى الخنادق ومرابض مدفعيته حيث حوصر فيها. وبعث الوالي خسرو خان جماعة من أرباب الشجاعة إلى الخنادق وأمرهم بالمحافظة على حياة جعفر خان. وقد غنم أبطال كُردستان جميع كان بحوزة جعفر خان وجنوده من مال ومتاع بعد أن قتلوا ألفاً وثلاثمئة نفر من الفرسان والقبائل الزندية، وأسروا ثمانمئة نفر آخرين. أما ضحايا كُردستان فقد بلغ عددهم أربعة وأربعين وثلاثمئة نفر بين قتيل وجريح.

والحاصل أنه مع حلول الظلام بعث جعفر خان جواهره السلطانية مع نسخة من كلام الله المجيد [القرآن الكريم] بواسطة أحد علماء همدان إلى خسرو خان طالباً منه أن يطلق سراحه. وبما أن خسرو خان كان ذا قلب رحيم وخصال كريمة فقد كتب إلى قائد مدفعيته بإطلاق سراحه مع ثلاثة من أقربائه وترك الحرية لهم في الذهاب إلى الجهة التي يشاؤون. فتوجهوا في تلك الليلة المظلمة إلى مدينة أصفهان، ويقال أنهم وصلوا إليها في مرحلة واحدة من العَدْو.

وبعد الاستيلاء على همدان والقضاء على جعفر خان، توجه خسرو خان للاستيلاء على (ملاير، وتويسركان وكزاز وفراهان وكلبايكان) وأقام هنالك ثلاثة أيام لراحة عساكره.

وذات ليلة قال خسرو خان في مجلس أنس للطرخان جعفر بك: كيف ترى سلطتنا؟ فأجابه جعفر بك قائلاً: أيها الخان! إن لفتنا وبرغلنا أفضل من هذه السلطنة. فتأثر خسرو خان بهذه العبارة وقام في اليوم التالي بإرسال جميع أسرى الزنديين مع الجواهر السلطانية التي غنمها إلى الملك القاجاري محمد خان[١٩] مع عرض بالطاعة. وعاد إلى كُردستان.

(١٩) هو آغا محمد خان (١٧٤٢- ١٧٩٧) مؤسس الأسرة القاجارية التي حكمت ايران حتى =

ولقد سُرَّ الملك القاجاري أيما سرور بسماع خبر انكسار عدو مثل جعفر خان ودخول الوالي خسرو خان في طاعته.

وفي الواقع كان ذلك بداية سطوع نجم حظ ذلك الملك الذي لانظير له، ولهذا فقد بعث إلى خسرو خان جواداً عربياً وثوباً مرصعاً وسرجاً مذهباً وخنجراً من الماس ودزينة من الثواب الكسروانية وتهنئة بالظفر وتفويضاً بتولي أمر سنقر وكليائي، كما خلع على مبعوث الوالي وأنعم عليه بإنعامات كثيرة.

والحاصل أنه بعد جلوس آغا محمد خان على عرش إيران، طلب عدة مرات من خسروخان الحضور إلى بلاطه، إلا أنه كان يعتذر في كل مرة، حتى جاءت سنة ١٢٠٣هـ = ١٧٨٨م ذهب خسروخان إلى بلاط الملك القاجاري وناب عنه في حكم كُردستان ولده خان أحمد خان. وحالما وصل إلى طهران أصابه الصرع وداخله وسواس الخوف والرعب. وقد بذل الأطباء جهوداً كبيرة في معالجته دون جدوى. وفي تلك الأثناء كان ولده ونائبه خان أحمد خان مشغولاً بالإغارة على أهالي مُكري وبلباس وقتالهم، وخلال عودته بعد القضاء عليهم وقمعهم اغتيل على يد أحد الجنود في معسكره. وقد وصل هذا الخبر إلى خسرو خان فزاد في مرضه وأطار صوابه.

وحسب الأمر الملكي تم تعيين لطف علي خان عم خسروخان، وقد كان رجلاً عاقلاً عالماً شجاعاً حكيماً مقتدراً، حاكماً لكُردستان سنة ١٢٠٤هـ = ١٧٨٩م أما خسرو خان فقد عاش بقية حياته في أصفهان في حال الجنون، إلى أن وافته المنية ورحل عن هذه الدنيا الفانية ليصل عتبات العرش سنة ١٢٠٦هـ = ١٧٩١م بعد أن حكم ثلاثة وثلاثين عاماً.

ذكر حكومة لطف علي خان وتوليه قيادة جيش خوزستان

وفي سنة ١٢٠٤هـ تم تعيين لطف علي خان بأمر من الملك القاجاري قائداً على رأس جيش فتوجه إلى خوزستان واستولى عليها وقضى على المتمردين،

= سنة ١٩٢٥ حيث قضى عليها رضا بهلوي. وقد أعلن نفسه ملكاً عام ١٧٨٦م واتخذ طهران عاصمة له، اغتيل سنة ١٧٩٧ فخلفه ابن أخيه فتح علي. لأنه كان خصياً لم يعقب.

وأرسل إلى الملك القاجاري طائفة من زعماء خوزستان مع الهدايا اللائقة وعاد هو إلى كُردستان، وفي سنة ١٢٠٨هـ=١٧٩٣م عاد أهالي خوزستان إلى دائرة العصيان، وفي هذه المرة، وحسب الأمر الملكي تم تعيين حسن علي خان ابن لطف علي خان قائداً لخوزستان، فتوجه مع جيش إلى تلك الناحية، واستطاع في مدة قصيرة أن يعيد الأمور إلى نصابها ويعود عزيزاً إلى بلاط الشاه القاجاري.

وفي شوال من سنة ١٢٠٩هـ = ١٧٩٤ م مات لطف علي فجأة بعد أن حكم ست سنوات. ولما بلغ خبر موته مسامع الملك القاجاري، بعث حسن علي خان حاكماً على كُردستان خلفاً لوالده.

بيان حكومة حسن علي خان بن لطف علي خان في كُردستان

كان حسن علي خان خلال حكمه يتصرف كالزهاد والعبّاد، فتتالت الخيانات في عهده، بينما كان يقضي أوقاته في الليل والنهار إما في رحلات الصيد والطراد أو ينزوي في خلوات الطاعة والعبادة، وكان قد أسند مهمة ولاية الأمور إلى أحد خدمه. ومضت سنتان على هذا المنوال.

ولما دخلت سنة ١٢١١هـ = ١٧٩٦م وحسب الأمر الملكي. أسرع على رأس خمسمئة فارس من العشائر الكُردستانية للالتحاق بالموكب الشاهاني الذي تحرك من أطراف (أذربيجان وقره باغ وشوش) متوجهاً إلى تفليس. وقد اصطحب سبحان ويردى خان الذي كان أحد أبناء عمومة حسن علي خان جمعاً من أشراف كُردستان، وعقد العزم على شكاية حسن علي خان لدى الشاه القاجاري فالتحق بموكبه. ولكن الملك قُتل في قلعة بناه آباد المشهورة بـ(شيشة نقره) [كأس الفضة]. فتفرق عسكر الدولة، أما الكُردستانيون فقد ذهب كل واحد بجماعته إلى طرف من أطراف كُردستان.

ووصل سبحان ويردي خان إلى سنندج قبل حسن علي خان بعدة أيام. وأعلن نفسه حاكماً. وبعد حوالي ثمانية أيام، اقترب حسن علي خان من سنندج مع فرسان كُردستان فلم يكن من سبحان ويردي خان سوى الهروب بدون تأجيل صوب مملكة بابان. وفي شهر ذي الحجة سنة ١٢١٢هـ =

١٧٩٧م وبعد ثلاثة أشهر من جلوس ملك إيران فتح علي القاجاري[٢٠] على عرش السلطنة، بعث سبحان ويردي خان عشرين ألف تومان ذهب مع أمان الله خان ابن الوالي خسرو خان إلى دار الخلافة طهران حتى ينعم عليه الشاه بفرمان الحكومة الكُردستانية وخلعتها. فوصلها في محرم من سنة ١٢١٣هـ = ١٧٩٨ م ونزل في بيت الميرزا أحمد وزير كُردستان وكان في ذلك الوقت مستوفي الديوان [حافظ المالية] وعرض عليه الأمر فقال له الميرزا أحمد إنك الأحق من بين الجميع بوراثة رئاسة كُردستان، لذلك قدم هذا الذهب كله إلى حضرة الشاهنشاه القاجاري واطلب الحكومة لنفسك. فأعجب أمان الله خان بهذا الاقتراح وذهب بمعية الميرزا أحمد إلى حاجي إبراهيم الصدر الأعظم وحكيا له تفاصيل الموضوع، فقبل الصدر الأعظم هذا المطلب.

وبما أن الموكب الشاهاني كان مشغولاً بالإستيلاء على خراسان فقد انتظروا النتيجة إلى حين عودة الموكب من خراسان. والحاصل أنه بعد تهدئة الوضع في خراسان والعودة منها في صفر المظفر سنة ١٢١٤هـ = ١٧٩٩م تم حبس حسن علي خان في مخزن تابع للدولة. وتعيين أمان الله خان حاكماً على كُردستان أربع سنوات.

قصة حكم أمان الله خان المشهور بأمان الله خان الكبير

حينما ورد أمان الله خان إلى كُردستان. تولى أمرها بالحزم الثابت والعزم الراسخ وكان هذا الوالي المشهور حالياً باسم أمان الله خان الكبير ثابت الرأي ثاقب الفكر دمث الطباع عالي الهمة، وقد قطع أغصان المتمردين العصاة واستأصل الأعداء من الجذور.

كما انه باشر بتعمير قلعة الحكومة في سنندج وأتمها، ووضع أساس

(٢٠) هو فتح علي شاه القاجاري ابن حسين قلي شاه ابن محمد بن حسن خان القاجار من ملوك العجم توفي سنة ١٢٥٠هـ= ١٨٣٤م. له ديوان شعره فارسي. نقلاً عن هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) تأليف اسماعيل باشا البغدادي وهو من أعلام الأسرة البابانية الشهيرة في السليمانية... طبع كتابه في اسطمبول سنة ١٩٥١م. وأعادت دار إحياء التراث العربي – بيروت طبعه بالأوفست. توفي اسماعيل باشا سنة ١٩٢٠م.

مسجد دار الإحسان في سنندج الذي مازال صامداً إلى الآن، وهو دليل واضح وبرهان أكيد على علو همته وكفاءته ودرايته، وقد كتبنا في مقدمة هذا الكتاب مختصراً عن بناء مدينة سنندج من قبل هذا الأمير المقتدر، وتكرار كتابة ذلك المختصر خارج عن أساليب التأريخ.

وبعد مضي عامين من حكم أمان الله خان الكبير، خرج حسن علي خان طليقاً من حبسه والتجأ إلى عشيرة البلباس، ولأجل محاربة أمان الله خان والاستيلاء على كُردستان جمع طائفة من البلباس وغزا كُردستان. وجرت على شاطئ بحيرة مَريوان معركة جرح فيها حسن علي خان وتم أسره، أما قواته فقد نال القتل من البعض بينما وقع الباقون في الأسر. وللمرة الثانية أرسل حسن علي خان مغلولاً إلى دار الخلافة طهران وزج به في السجن حتى توفي هناك.

وفي سنة ١٢١٨هـ = ١٨٠٢م قتل أربعة من أولاد محمد رشيد بك كان الحل والربط في الولاية بأيديهم. وهكذا خلا الجو لأمان الله خان وهابته الرعية هيبة عظيمة. ولم يعد أحد قادراً على رفض أوامره لشدة سطوته وقد بذل أمان الله خان جهوداً جبارة لإنعاش التجارة والزراعة، وبنى في كل منطقة من مناطق كُردستان قصراً وقلعة وحماماً ومسجداً وحديقة. كما أنه دخل الحرب مرتين مع عبدالرحمن باشا البابانى[٢١] والعساكر العثمانية وانتصر في كلتا المرتين، وغزا نواحي شهرزور إلى بغداد. وأعمل هناك السلب والنهب.

وفي سنة ١٢٣٠هـ = ١٨١٤م أرسل الشاهنشاه القاجاري فتاة من جملة الخدم في حريمه اسمها (سروناز خانم) مع عشرة آلاف تومان وأمتعة وذهب إلى أمان الله خان الذي سمّى الفتاة باسم (قبازر خانم) وضمها إلى سلك المُخدِرات [أي الفتيات اللواتي يحتجبن لأهميتهن. فهن لسن كالجواري يبتذلن

(٢١) عبدالرحمن باشا البابانى: أحد أمراء البابان حكم عدة مرات، اضطر للجوء إلى إيران بعد معارك خاسرة مع والي بغداد. وتنازعته الامبراطوريتان الايرانية والعثمانية وكاد يستولي في أحد المرات على بغداد، إذ كان يطمع في ولايتها. وكان جريئاً فطناً اجتمعت فيه مزايا الحكم، بيد ان خيانات ذوي قرابته ومراوغات ولاة بغداد. وإفساد الأمراء الإيرانيين حال دون تحقيق مراميه. توفي عبدالرحمن باشا سنة ١٢٢٩هـ بعد أن حكم الإمارة البابانية للمرة السادسة.

في الخروج والدخول... المترجم].

وبناءً على دعوة أمان الله خان، وافق الشاهنشاه على تزويج جوهرة من درج سلطنته أعني ابنته المحترمة (حُسْن جهان خانم) من خسروخان ابن أمان الله خان فسميت (الوالية).

ولأجل إحضارها ذهب أمان الله خان مع جماعة من علماء وأشراف وأعيان كُردستان وطائفة من النساء المعتبرات إلى دار الخلافة طهران. وبمقتضى الإرادة الشاهانية أقيم احتفال عرس نادر وفرح مديد، وازينت الميادين والقصور الملكية وقضى الناس من الخاصة والعامة والعلماء والأمناء والأمراء العظام عشرة أيام بلياليها في السرور والهناء، وقد بلغ مجموع ماصرف على تلك الحفلات عشرة آلاف تومان من الذهب الأحمر. وفي لحظة السعد توجهت العروس إلى كُردستان وقد غرقت في زينة لامثيل لها.

وكان لأمان الله خان ولد اسمه محمد حسن خان وهو أذكى أولاده، فلما رأى ذلك العرس والعيش الهني داخله اليأس وشعر كأنه في مأتم لأن والده فضل ابنه الأصغر على ابنه الأكبر. فاستقبح هذا العمل وأسرع مع جمع من عظماء كُردستان إلى زهاو وما حولها، وتعاهد مع العشائر الكُردية هناك حيث شكل جيشاً كبيراً وبدأ بالإغارة على حدود كُردستان. وكم أرسل والده مبعوثين من طرفه لاسترضائه والصلح معه ولكن دون جدوى.

وعندما بلغ خبر طغيان ذلك الأمير مسامع أولياء الدولة، تمت كتابة منشور من طرف عباس ميرزا نائب السلطنة بخط وإنشاء القائم مقام لإنذار وتأديب محمد حسن خان وما زالت نسخة من ذلك المنشور محفوظة في ديوان القائم مقام، ولكن إعلان ذلك المنشور أيضاً لم يجد فتيلاً بل اعتبره محمد حسن خان من أساطير الأولين وبعد ذلك قام بابا علي خان بالتوسط بينه وبين والده بغرض استرضائه وذلك بأمر من الشاهنشاه القاجاري فتح علي شاه. فباءت وساطته بالفشل أيضاً. وزاد محمد حسن خان من طغيانه وأوغل في جهله، فاضطر أمان الله خان إلى إصدار أمر بجمع الجيوش فاجتمع لديه في سنندج خلال مدة قصيرة جيش جرار فأسرع لملاقاة ولده مصطحباً معه في تلك الحملة بابا علي خان لكي يحاول ثانية إصلاح ذات البين.

وفي قرية (ناراوي) من قرى رَوانَسر الكُردستانية التقى جيشا الأب والابن وتصافا للحرب والقتال.

وقد غادر بابا علي خان إلى معسكر محمد حسن خان عدة مرات وتكلم معه متشفعاً دون أن تثمر محاولاته، فكان لابد من القتال أخيراً.

ولم يعد خافياً أن هذه الحرب من جملة الحروب الشهيرة في العالم. ومن الجدير بالذكر أن يسجل المؤرخون وقائع هذا القتال بالتفصيل في صفحات كتبهم لتكون عبرة للناظرين لأن قائدي الجيشين المتحاربين هما أب وولده. والمحاربون في صفوف الجيشين إما أبناء وآباء، أو إخوة، أو أبناء عمومة وخؤولة أو أعمام وأخوال، ولم يكن ثمة غرباء في تلك الواقعة بين الجيشين. ومن المعلوم أن معركة مثل تلك ليست بالسهلة، بل تتطلب جرأة كبيرة لأن المقاتلين أقرباء حميمون.

والحاصل أن فرسان الطرفين تنادوا للقتال وانطلقت السهام من الكنانات، وبدأ الطعان بأسنة الرماح، وتلاقت خيول الأبطال، وحمل المشاة بالسيوف بعضهم على بعض حتى تداخلوا كأنهم السدى واللحمة، وقطفت السيوف الرؤوس وحصدت الأرواح. وكان محمد حسن خان يصول ويجول في كل اتجاه كالأسد الغضوب والفهد المزمجر فقتل خلقاً كثيراً.

شعر:

في تلك المعركة، كان ذلك الثعبان العظيم
بسيفه وخنجره ودبوسه ووهقه
يمزق ويقطع ويحطم ويصطاد
رؤوس وصدور وأرجل وأيدي الثعابين.

وقد دعا المعتمد ميرزا عبدالكريم والوزير ميرزا فرج – وهما أبناء عمومة ومن جملة قوات أمان الله خان – الفرسان من الجهة المقابلة إلى المبارزة. فتحلقت حول هذين المبارزين مجموعة من قوات ابن الوالي [محمد حسن خان]. وضرب محمد بك حاجي حسين قلي بك السقزي عنق الميرزا عبدالكريم بسيفه فجرحه، وفي الواقع تركه قالباً بلا روح، وقام أقرباؤه بسحبه إلى خارج ميدان القتال ليسعفوه، وأسرع جمع من أقرباء الوزير ميرزا فرج إلى

ساحة الحرب لإنقاذه، بينما كمن الميرزا لطف الله وهو من بني أعمام الميرزا فرج الله لابن الوالي وأصابه بطلقة من بندقيته ثم قام بأسره.

وقد أصيب في تلك الوقعة محمد صادق خان والد شرف الملك، وأحد أبناء أمان الله خان، إصابة بليغة.

وفي نهاية المطاف ولما رأى جيش محمد حسن خان قائدهم أسيراً، انهزموا، بينما تم أسر أكثر من مئة شخص قتلوا جميعاً بأوامر من أمان الله خان وكأنه بذلك سلم الأخ لأخيه ليقتله.

وقد بلغ عدد قتلى الطرفين في المعركة أربعمئة وأربعين رجلاً من أمراء وأكابر كُردستان بالإضافة إلى الأسرى المقتولين.

وتم نقل ولدي أمان الله خان الشابين الجريحين ووضعهما في التختروان [الهودج] والذهاب بهما إلى سنندج، حيث أغمض محمد حسن خان عينيه عن هذه الدنيا الفانية بعد شهر من وقوع المعركة، بينما عاش اخوه محمد صادق خان سالماً معافى.

وبعد تلك الأحداث، اختلت طباع أمان الله خان من مصاب ولده الشاب إلى أن وافاه الأجل المحتوم ورحل عن هذه الدنيا الفانية سنة ١٢٤٠هـ = ١٨٢٤ م بعد أن حكم سبعة وعشرين سنة، فحل محله ابنه خسرو خان صهر شاهنشاه إيران.

ذكر حكومة خسرو خان المشهور بـ(ناكام)

كان هذا الأمير حلو المحيا، عذب الكلام جداً، له أشعار جميلة، وخطوط رائعة بخط (نستعليق)، أما ثروته فكانت مشهورة بين العالمين، ومضرب المثل لدى الترك والديلم، وكان هو المقدم على الأسخياء طراً، بل كان ماحياً لاسم معن [بن زائدة] وحاتم [الطائي].

وفي سنة ١٢٤٣هـ = ١٨٢٧م شبّ في كُردستان حريق القحط والغلاء وتعالت شعلة البلاء وأصبح الرغيف مقابل الروح، ومات خلق كثير من الرجال والنساء جراء ذلك على قارعة الأزقة والحواري.

وكان خسروخان يحتفظ آنذاك بحوالي خمسين ألف تغار [وحدة وزن قديمة تُساوي ١٠ كغ] من القمح وسائر الحبوب في المخازن. فوزعها جميعاً ودون تمييز على الأهالي، وكتب بذلك سندات لكل شخص بحيث يسدد ماعليه بعد جلاء القحط.

وجراء رأفة هذا الوالي وشفقته، نجا الناس في الولاية من براثن الجوع، وحالما ارتفع البلاء واطمأن الأهالي، جاء الوزير ميرزا فرج الله خان بتلك السندات لتحصيل قيمتها من أهالي كُردستان، إلا أن الوالي ولفرط جوده وسخائه ألقى جميع تلك السندات في النار وأحرقها وكانت قميتها أكثر من مئة وخمسين ألف تومان. وقد فرح الناس كثيراً لهذا الكرم اللامتناهي ومن الانصاف القول أن إحساناً وجوداً مثل هذا لم نألفه لدى الملوك والسلاطين العظام ولم نسمع به.

ولما دخلت سنة ١٢٤٦هـ = ١٨٣٠م قام شاهمراد بك الكُردي الشهير بلقب أمير رواندوز وشكل قوة من مناطق رواندوز وكوي وحرير وعاث فساداً وفتنة وهاجم على حين غرة منطقة لاهيجان وساوجبلاغ المُكرية [مهاباد] وسردشت واستولى عليها. ولما وصل خبر اجترائه إلى مسامع الشاهنشاه القاجاري السلطان فتح علي شاه ندب الوالي خسروخان لمهمة قمعه وتدبير أمره. فلم يتوان الوالي بل أسرع إلى مقابلته وقتاله بجيش عظيم، وخلال مدة وجيزة انهزم جيش أمير رواندوز فتعقبه الوالي حتى كوي وحرير واستحصل ثلاثين ألف تومان ذهب من ذلك الأمير عقاباً على جريمته ثم أعطاه الأمان وعاد معززاً مكرماً إلى حضرة الشاهنشاه.

وفي سنة ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م فرّ محمود باشا البابانى[٢٢] من أخيه سليمان باشا ولجأ إلى الدولة الإيرانية، وحسب فرمان ملك إيران فقد شكل الوالي خسروخان جيشاً وهاجم الأراضي العثمانية، فاستقل محمود باشا بحكم السليمانية ثانية بينما فر سليمان باشا باتجاه دار السلام بغداد، وعاد

(٢٢) محمود باشا البابانى: هو ابن عبدالرحمن باشا ووريثه في الحكم. استعان بعباس ميرزا ولي العهد الإيراني لتقوية نفوذه. وقد ثار عليه أخوه عثمان بك. ودب الضعف في عهده باوصال الإمارة البابانية. وانهارت تماماً سنة ١٢٦٧هـ ١٨١٥م بعد أن دامت مئتي عام. وذلك عندما تسلم قائم مقامية السليمانية عبدالله باشا (انظر الهامش ٢٤).

الوالي كعادته إلى كُردستان في غاية الاقتدار.

وفي سنة ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م انتشر الطاعون في مدينة سنندج، وتفرق الكُردستانيون خوفاً ورعباً، أما الوالي خسروخان فقد نصب خيامه على بعد ألف قدم من المدينة، وفي ربيع الأول من نفس السنة وبعد سبعة أيام من المرض وافاه الأجل وهو في ريعان الشباب حيث كان عمره عندما توفي تسعة وعشرين عاماً. وقد حكم عشر سنوات كاملة، وقد خلّف وراءه من ابنة ملك إيران ثلاثة ذكور وثلاث إناث، وسنأتي على ذكر كل واحد منهم في حينه.

وبعد وفاته استلم الحكم ابنه الأرشد رضا قليخان ابن (حسن جهان خانم) المشهورة بالوالية ابنة السلطان فتح علي شاه القاجاري، وكان عمره حينذاك عشرة أعوام فتكفلت والدته الوالية بجميع مهام الحكم.

وفي نفس السنة كان أردشير ميرزا ركن الدولة قد شكل حكومته في كروس وأراد الاستيلاء على كُردستان فهاجم بجيش عظيم. لكن العار لحقه في النهاية وانهزم من الحرب التي قادتها الوالية وهي تتقنع وراء خمار.

وفي سنة ١٢٥١هـ = ١٨٣٥م استلم دفة الحكم في إيران بموجب القضاء سلطان السلاطين السلطان محمد شاه غازي[٢٣].

ذكر حكومة رضا قليخان ابن خسروخان ناكام

وفي سنة ١٢٥٢هـ = ١٨٣٦م أرادت الأميرة حسن جهان خانم الملقبة بالوالية أن تخطب (طوبى خانم) أخت ذلك الملك الرفيع القدر لابنها رضا قُلي خان، فذهبت مع جمع من أكابر وأشراف كُردستان إلى طهران، وحسب الرسم اللائق بالملوك أتوا بالعروس إلى كُردستان.

وقد حكم رضا قُلي خان كُردستان بضعة أعوام حسب مشورة وأوامر الوالية وفي أوائل سنة ١٢٥٧هـ = ١٨٤١م جاء محمود باشا الباباني مع ألف من عوائل أكابر وعظماء البابان إلى كُردستان، ولجأوا إلى كنف رضا قُلي

(٢٣) محمد شاه غازي: هو محمد الثاني القاجاري جلس على عرش إيران سنة ١٨٣٤- ١٨٣٥، خلفه في الحكم الشاه ناصرالدين سنة ١٨٤٧. بعد أن توفي في شهر شوال من السنة ذاتها (١٢٦٤هـ) = ١٨٤٧م.

خان، وقد استضافهم الوالي وبالغ في إكرامهم. وبعد شهرين اصطحب معه محمود باشا والأعيان البابانيين إلى طهران حيث أنعم عليهم الشاه ثم أذن لهم بالعودة إلى كُردستان وأصدر أوامره بأن يستقل الوالي محمود باشا بحكم الإمارة البابانية. وما إن وصل الوالي [رضا قُلي خان] إلى كُردستان حتى أعد العدة وجمع جيشاً وتحرك به إلى منطقة البابان.

وفي تلك الأيام كانت قد نشبت خصومات بين الوالي وجمع من الوزراء وأهالي كُردستان بقيادة الوزير ميرزا هداية الله الذي كان يتمنى انكسار جيش الوالي.

وعندما وصل الجميع إلى شاطئ بحيرة مَريوان، أرسل هداية الله – الذي كان يريد الايقاع بالوالي ويخاف سطوته في نفس الوقت – جميع العشائر المعتبرة وأبطال كُردستان مع محمود باشا إلى السليمانية ليستقل بحكمها، أما في الخفاء فقد راسل حاكم السليمانية عبدالله باشا[٢٤] وأخبره أنه أفرغ جيش الوالي [رضا قُلي خان] من الأبطال المشاهير وأن الفرصة مواتية لكي يستعجل بالهجوم على عساكر رضا قُلي خان. ولم يتوان عبدالله باشا بل جاء على رأس فوج من الخيالة وألفي فارس وأربعة مدافع إلى شاطئ بحيرة مَريوان. وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٧هـ = ١٨٤١م وصل إلى مسافة تبعد عن معسكر الوالي نصف فرسخ. وكان ميرزا هداية الله قد عيّن جماعة من أقربائه قادة على طليعة الجيش وأمرهم بأن ينهزموا لمجرد سماعهم صدى نفير جيش عبدالله باشا.

وبمحض القضاء فإن كلاً من فضل الله ومحمد رضا بك رشتي وشيخ علي بك وميرزا أبو الفتح الذين كانوا من عشائر كُردستانية متعددة ذهبوا إلى طلائع الجيش للمراقبة والاستطلاع دون إذن الوزير. وفي الجهة المقابلة كان عبدالله باشا يظهر نفسه لطلائع الجيش وهو في غاية الخوف. وما إن اقتربت

(٢٤) عبدالله باشا: هو آخر حاكم في الإمارة البابانية. حدثت بينه وبين محمود باشا معارك عديدة. عين قائم مقاماً للسليمانية، فأدار شؤونها أربع سنوات، ولما حلت سنة ١٢٦٧هـ دعاه الوالي نامق باشا إلى بغداد وأرسله مكبلاً إلى الآستانة وبعث بأمير الأمراء التركي اسماعيل باشا إلى السليمانية، فانقرضت بذلك الإمارة البابانية.

ظهيرة ذلك اليوم وبدأت أبواق الحرب حتى فر جنود المقدمة الذين كانوا تحت إمرة الوزير ميرزا هداية الله دون مقاومة إلا نفراً معدودين بالامكان تسميتهم لم يقبلوا الفرار واقتحموا ساحة القتال بانتظار وصول إمدادات الوالي.

وعندما اطلع الوالي على خطة الوزير وتدابيره، أدرك صعوبة موقفه وموقف رجاله، فأرسل عبدالحميد سلطان بانه يي مع ألف من رماة البنادق من أهل بانه وسقز لإمداد جنود المقدمة، بينما بقي هو على رأس فئة قليلة من جيشه وأسرع إلى دخول ميدان المعركة. وعندها خاطب الوزير ميرزا هداية الله عبدالحميد سلطان قائلاً: إن دخول الحرب والمقامرة بالأرواح في سبيل الوالي هو عين الجنون. اذهب ولكن تنح جانباً وإياك خوض المعركة ! كما أن الوزير أجبر الوالي جراء إلحاحه وإصراره على الفرار.

والحاصل أن جميع الجنود الذين كانوا في طليعة الجيش قد قتلوا، وأن عبدالحميد سلطان وحسب خطة الوزير تنحى جانباً، فهاجم البابانيون جيش الوالي وقتلوا جماعة أخرى منه. ثم أطلقوا فيهم يد السلب والنهب.

وحالما وصل رضا قُلي خان إلى المدينة [سنندج] أرسل ميرزا عبدالمجيد وهو أحد نجباء الولاية إلى طهران لإصلاح مافسده الوزير، طالباً العون والمدد من جانب أولياء الدولة، ولكنه قتل حالما وصل إلى العاصمة الشاهانية، وصدر الحكم بإحضار الوالي حيث تم عزله وتنصيب ميرزا هداية الله صاحباً لكُردستان ومسؤولاً عن جباية الضرائب الحكومية.

وعندما وصل ميرزا هداية الله إلى كُردستان، أمر بتسليم عباس قُلي خان عم رضا قُلي خان أمر نيابة الحكومة، ثم عزله بعد ثلاثة أشهر وعين مكانه محمد صادق خان الأخ الأكبر لعباس قُلي خان. وأمضى الوزير ثمانية عشر شهراً في حكم كُردستان على هذا المنوال.

وفي سنة ١٢٦٠هـ = ١٨٤٤م تولى رضا قُلي خان أمر حكومة كُردستان مرة أخرى، فأرسل زوجته (طوبى خانم) شقيقة الملك القاجاري محمد شاه غازي مع أمان الله بك الوكيل وجمع من رجال كُردستان إلى كُردستان، أما هو فقد عاد من طهران بعد أربعة أشهر.

وقد قام أولياء الدولة بفصل إسفند آباد عن حكومة كُردستان ونصبوا أمان

الله خان الأخ الأصغر للوالي رضا قُلي خان حاكماً عليها وأمروه بالانتقال إليها مع ميرزا هداية الله وسائر الكُردستانيين التابعين له، وفوّضوا أمر ترحيل أتباع أمان الله وميرزا هداية الله من سنندج، إلى قنبر علي خان سعد الدولة المافي.

ذكر حكومة أمان الله خان بن خسروخان ناكام المشهور بغلام شاه خان

وحاصل الأمر أن رضا قلي أمضى عامين كاملين يحكم بعز واقتدار، إلى أن تم عزله وتنصيب أخيه الأصغر أمان الله خان المشهور بغلام شاه خان الذي بذل جهده في إيذاء أصحاب رضا قُلي خان إيذاءً شديداً بعد وصوله إلى كُردستان كما أنه قام بقتل أمان الله بك الوكيل كبير الخدم لدى رضا قُلي خان. أما الآخرون فقد هاجروا إلى السليمانية وتم تفويض أمر ترحيل طوبى خانم من سنندج إلى اسفند آباد إلى ميرزا رحيم خان من قبل الدولة.

وقد كتبت طوبى خانم خطاباً إلى الصدر الأعظم حاجي ميرزا آقاسي قالت فيه: ألم تكن أنت القائل مراتٍ كثيرة: إنني خادم مخلص لأولاد المرحوم نائب السلطنة، فما الذي بدا حتى ظهر منك هذا التغير دون سبب وجيه؟

شعر:

" إن الحياة تمضي كما الرياح في الصحراء
الخير والشر يذهبان، الجميل والقبيح أيضاً... "(٢٥).

وحالما وقع هذا الخطاب في يد حاجي ميرزا آقاسي ندم على فعلته وكتب في جوابه: كل ماتفضلت به حق محض، وإذا كان بموجب قول: الإنسان محل النسيان قد بدر من هذا النكرة المجهول قصور في الخدمة، فإنه يأمل ويرجو من الكريم التفضل بالعفو.

شعر:

" العبد هو ذاك الذي يعتذر

(٢٥) البيت بالفارسية:
دوران بقا جو باد صحرا بكذشت نيكى وبدى وزشت وزيبا بكذشت

عما بدر منه من تقصير... إلى ربه... "[٢٦].

وإن شاء الله سأتلافى ما حصل، وأعمل سراً على تدارك الأمر، وآمل أن يعود الوالي رضا قُلي خان قريباً، معززاً مكرماً.

ولم ينقض زمن طويل حتى وفى حاجي ميرزا بوعده وأرسل رضا قُلي خان حاكماً على كُردستان بعد أن عُزل خمسة أشهر. كان الحكم فيها لأمان الله خان. وعندما حكم رضا قُلي خان للمرة الثالثة وجاء إلى سنندج، بدأ أمره بإلقاء القبض على اولئك الذين كان لهم ضلع في مقتل أمان الله بك الوكيل، وكان من جملتهم جعفر قُلي خان الأردلاني وميرزا إسماعيل داروغه وميرزا ابراهيم منشي، واتبع مع كل واحد منهم سياسة معينة.

ومضت سنتان على هذا المنوال وهو يقوم بأعباء الحكم على أكمل صورة وينظم امور الولاية وبعد انصرام السنتين قام معارضو رضا قُلي خان باتهامه في بلاط الشاه بالتحالف مع بهمن ميرزا شقيق الشاهنشاه غازي الذي كان حينئذ حاكماً على أذربيجان، فتم تكليف خسروخان خواجه – وكان من أبناء الولاة الكرجيين وذا مكانة رفيعة – من قبل الدولة باعتقال بهمن ميرزا وإحضار الوالي رضا قُلي خان. وتحرك خسرو خان من طريق (اشتهارد) بمرافقة فرسان زين العابدين شاهسون وسليمان خان أفشار، ولما اطلع بهمن ميرزا على مجريات الأحداث، أسرع إلى بلاط ملك العجم، فأحجم خسرو خان عن الذهاب إلى أذربيجان، ولما وصل إلى حدود كُردستان بعث وراء رضا قُلي خان قائلاً إنه جاء بمهمة إلى المنطقة ومن الضروري أن يقابله.

ولما كان رضا قُلي خان واثقاً من نفسه ومن قيامه بأعماله وعدم وجود خلل في نظامه لم يتردد كثيراً، بل أسرع إلى معسكر خسروخان وحل في خيمته ليجده يتناول الغداء. ولما تم التعارف بينهما انصرفا إلى الطعام سوية، وكان الوالي غافلاً عن مضمون هذا الشعر:

إن هذه الكأس السوداء ستقتل الضيف في نهاية الأمر ![٢٧]

(٢٦) البيت بالفارسية:

بنده همان به كه أز تقصير خويش عذر بدركاه خدا آورد

(٢٧) البيت بالفارسية:

اين سيه كاسه در آخر بكشد مهمان را

وبينما كان يتناول الطعام، دخلت جماعة بإشارة من خسرو خان إلى الخيمة وهجموا على الوالي. كما نزعوا ثياب خدمه ورفاقه. وهكذا تم اعتقال الوالي وأرسل مقيداً إلى طهران حيث زجوا به سجيناً في دار المدفعية. أما خسرو خان فقد عقد العزم على التوجه إلى سنندج والانشغال بأمر الحكم فيها.

ذكر حكومة خسروخان خواجه في سنندج

عندما علم الأهالي في كُردستان بما جرى، بادروا إلى تشكيل وفد من العشائر المعتبرة في كُردستان وأرسلوه إلى طهران، حيث نزل الوفد في مسجد الشاه.

وعندما شاهد حاجي ميرزا آقاسي ثورة أهل كُردستان، ندم على فعلته ولكنه اضطر إلى إرسال أربعة مدافع وفوج من الجنود بقيادة علي خان قره كوزلو إلى كُردستان لحماية خسروخان وتقوية حكمه، كما تدخل عدة مرات لدى ذلك الوفد وأمره بكف أيديهم عن خدمة رضا قُلي خان والعودة إلى كُردستان. ولكن الكُرد لم يمتثلوا لمشيئته بل ازدادوا إصراراً وتمسكاً بمطلبهم، إلى أن حلّ شهر شوال من سنة ١٢٦٤هـ = ١٨٤٧ م وتوفي ملك العجم ليلحق بجوار ربه.

وقتها كان الوالي رضا قُلي خان مسجوناً في دار المدفعية في قرية (تجريش) التي هاجمها الكُردستانيون الذين ضاقوا ذرعاً بأقوال حاجي ميرزا آقاسي وأفعال خسرو خان، دون أن يطلع على ذلك رضا قُلي خان. حيث فكوا إساره مكرهاً ليسرعوا به إلى كُردستان مع فوج "كروس".

وحالما سمع خسروخان خواجه خبر مجيء رضا قُلي خان اضطر إلى الفرار مسرعاً عبر طريق كروس باتجاه زنجان مع مدفعيتين وفوج من المشاة.

أما في الجهة الأخرى فإن رضا قُلي خان وصل إلى سنندج وأنعم على اصحاب المناصب في فوج كروس الذين كانوا في ركابه بالإنعامات العظيمة، وأنزلهم المنازل التي يستحقونها. وسُرَّ الأهالي لرؤيته غاية السرور.

نهاية حكم الوالي رضا قُلي خان في كُردستان

اجتمع الوالي والأهالي على تنظيم أمور الدولة، وتعزيز الحدود والعمل على رفاهية الرعية. وعندما تم تتويج حضرة الشاهنشاه الشاب صاحب الحظ السعيد ناصرالدين شاه واعتلى العرش وتحرك موكبه من تبريز إلى طهران قام أمان الله خان الملقب بغلام شاه خان الأخ الأصغر للوالي بالذهاب إلى استقبال موكبه المظفر في السلطانية، وكان حضوره محل رضا أولياء الدولة.

أما من طرف الوالي رضا قُلي خان فقد ذهب كل من محمد علي خان السقزي والمختار ميرزا الله قلي مع تقدمات كثيرة إلى معسكر ذلك العظيم.

وقد أقام أمان الله خان في ديوان الميرزا تقي خان الأمير الكبير، وبعد ستة أشهر تم عزل رضا قُلي خان ليحل أمان الله خان محله، وكان ذلك آخر عهد رضا قُلي خان بحكومة كُردستان حيث لم تعهد إليه الحكومة مرة أخرى فسكن طهران ورافق السپَهسالار الأعظم ميرزا محمد خان في سفره إلى كركان وأصبح مساعداً له. لقد كان رضا قُلي خان رجلاً شجاعاً، قوي الشكيمة، حكيماً، كريماً، حكم بيد قوية ولم ينصرف إلى جمع المال، بل كان يفرق مايحصل عليه بين خدمه وأقربائه. وترك وراءه من الأولاد من زوجته طوبى خانم اخت الشاه السابق محمد شاه غازي ثلاثة أولاد عرفوا بنقاء السيرة وحسن النية وصفاء الفطرة، هم خسروخان الملقب بالوالي ومحمد علي خان الملقب بظفر الملك وكان جيش كُردستان وثلاث مدن عظيمة تحت إمرته. والثالث هو أبو الحسن خان الملقب بفخر الملك الذي يعتبر من خاصة المقربين من الشاهنشاه. وإن شاء الله سآتي على ذكر كل واحد منهم في موضعه.

ذكر حكومة أمان الله خان المشهور بغلام شاه خان في كُردستان للمرة الثانية

والحاصل انه لما وصل امان الله خان إلى سنندج يوم السبت في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٥هـ = ١٨٤٨م عامل الناس بمنتهى الرأفة واللين، وعين ميرزا الله قُلي خان ناظراً للخدم، ومحمد علي خان

السقزي نائب الإيالة، وبعد ثلاثة أشهر هيأ لنفسه أسباب السعادة وتزوج من آفتاب سلطان خانم ابنة عمه حسين قُلي خان ولقد كانت تلك المرأة أعلى نساء عصرها رتبة في العفة والعصمة والأدب والجمال وقد حكمت كُردستان مدة من الزمن بيد الاقتدار.

وعلى كل حال، وبموجب دستور العمل الذي قدّمه ميرزا تقي خان، فقد قام غلام شاه بتشكيل فوج يضم ألف عسكري من مختلف قرى ومدن كُردستان وعين الضباط وسائر أصحاب الرتب في ذلك الفوج، ومن جملة الذين أسند إليهم قيادة الفوج أخوه الأصغر خان أحمد خان.

وفي شهر رجب من سنة ١٢٦٧هـ = ١٨٥٠م وحينما ذهب ملك إيران إلى أصفهان، نهض إلى لقائه ميرزا تقي خان بصحبة الوالي وجمع من أهالي كُردستان بمرافقة الفوج الجديد. وهكذا حثّ الوالي خطاه مع الفوج المذكور وأسرع إلى أصفهان ليتشرف بلقاء موكب الشاه في مرج علي آباد، وأصبح ذلك الفوج وفرسان كُردستان موضع اهتمام وقبول الشاه. وعاد غلام شاه إلى ولايته في غاية التكريم والافتخار.

وقد اتصل غلام شاه خان في تلك الرحلة سراً بالصدر الأعظم ميرزا آغا خان الذي كان وقتذاك في منصب اعتماد الدولة، وقد سعى الأخير إلى تقوية الوالي وبذل الجهود في سبيل ذلك ومنحه الاستقلال الكامل في كُردستان.

وفي أواخر سنة ١٢٦٨هـ = ١٨٥١م رفع حسن سلطان الأورامي راية الطغيان، وتمردت الطائفة الأورامية الشقية وطغت وبغت، فهيّأ الوالي بعد طلب الإذن من الدولة جيشاً لقمع العصاة، حيث ضم ذلك الجيش فوجاً من المشاة وأربعة مدافع وألفين من حَمَلَة البنادق والهجّانة وتوجه إلى أورامان تخت، أما نجف قُلي خان فقد أرسل عمه إلى أورامان لهون بصحبة الياور أبو القاسم بك مع مجموعة من حملة البنادق الهجانة وفرسان من العشائر الكُردستانية وخمس سرايا من الجنود للاستيلاء عليها عن طريق جوانرود وباوه وقتال محمد سعيد سلطان. أما على جبهة أورامان تخت فقد عين الوالي أخاه خان أحمد خان قائداً لطليعة الجيش وأمر بالهجوم عن طريق مضيق دزلي، وكان حسن سلطان قد عين جماعة لحماية المضيق المذكور ودخل في

حرب مع جيش الوالي. وبعد ساعتين من الكرّ والفرّ انهزم الأوراميون وسيطر جنود الوالي على خنادقهم، حتى وصل الوالي مع بقية جنده إلى تلك المنطقة، وتحرك القائد خان أحمد خان دون إبطاء باتجاه حوش بدراني، الذي كان نقطة تجمع الطائفة الأورامية الباغية بقيادة حسن سلطان. وحالما اجتاز المضيق وسمع الأوراميون خبر وصول ذلك الجيش، نهضوا جميعاً للقتال والحرب. فقاتلوا ببسالة وشجاعة، وما إن بلغ مسامع الوالي خبر استبسالهم حتى أسرع بالمجيء إلى ساحة المعركة.

وقد بلغ عدد قتلى تلك المعركة من الأوراميين أربعة وعشرين رجلاً بينما تم جرح وأسر سبعة وأربعين آخرين، أما خسائر جيش الوالي فقد بلغت ستة قتلى وأربعة عشر جريحاً. وفي نفس الليلة هرب حسن سلطان الأورامي مع البقية الباقية من جنده إلى شهرزور في الأراضي العثمانية. وعقب هربه قام الوالي بتخريب جميع مساكن تلك الطائفة الباغية. أما على جبهة أورامان لهون فقد عبر نجف قُلي خان مع جيشه نهر سيروان، وهاجم قرية نفسود التي كانت قاعدة محمد سعيد سلطان الأورامي وطائفته، وبعد الهجمات المتلاحقة والمناوشات الكثيرة انتصر على تلك المجموعة العظيمة واستولى على العاصمة نفسود.

وبعد مرور يومين على تلك الأحداث، شاع خبر طغيان الطائفة البابية الضالة كما انتشرت بين الناس إشاعة تقول أن الملك الإيراني قد مات، فتحالفت جماعة من أشرار المناطق المتاخمة للحدود بعد سماعهم تلك الإشاعات السيئة مع الأوراميين وقامت بشن غارة ليلية على جيش نجف قُلي خان، وقد قاوم الجنود مقاومة باسلة في تلك الليلة حتى الصباح، وابتداء من الصباح وحتى العصر دارت رحى معركة قتل فيها سبعون نفراً من الجنود النظاميين وستة وعشرون نفراً من الهجانة. وعندما حل الظلام بين الفريقين رأى نجف قُلي خان أنه من الأنسب الانسحاب بجيشه إلى حين وصول الإمدادات من الوالي غلام شاه خان. ولهذا فقد أخلى قرية نفسود وتراجع إلى اراضي جوانرود.

وخوفاً من سطوة الوالي فقد أقدم محمد سعيد سلطان على اللجوء إلى

أراضي الدولة العثمانية ولم يستطع الثبات والبقاء في تلك النواحي. وعندما اطلع الوالي على مجمل ماجرى، ذهب إلى منطقة مَريوان بعد أن استتب له الأمر في اورامان تخت، وهناك جرت بينه وبين باشا السليمانية وحماة الحدود العثمانيين مباحثات لإسترداد الجماعة الأورامية الباغية.

وقد فوّض باشا السليمانية[٢٨] من جانبه المتصرف عزيز آغا ونقيب الأشراف لأجل طلب الشفاعة من الوالي لمحمد سعيد سلطان وحسن سلطان، وقدم للوالي ثلاثة آلاف تومان ذهب نقداً. فغضَّ الوالي الطرف عن جرائم تلك الطائفة الباغية وأذن لها بالعودة إلى محل سكناها.

وفي تلك الأثناء وصل رسول خاص من دار الخلافة طهران يزف بشرى صحة وجود شاهنشاه إيران إلى الوالي، وعندما حلَّ المساء عقد الوالي مجلس بهجة وطرب بغاية تقديم آيات الشكر وأطلقت المدفعية مئة وعشر طلقات لأجل سلامة الوجود المبارك لملك العجم. وفي الصباح التالي تحرك بالجيش إلى سنندج وبعد أن وصلها أمر بتزيين المدينة وأسواقها أربعة أيام بلياليها حيث عاش عموم أهل المنطقة في فرح وسرور بسلامة البادشاه.

وفي ربيع ١٢٦٨هـ = ١٨٥١م خرج قبح أفعال طائفة الجاف التي تتنازع عليها دولتا إيران والعثمانيين عن الحدود. وعاثوا فساداً في كُردستان سنندج، وآذوا الخاص والعام من أهلها. فقام الوالي بعد استئذان الدولة بتشكيل جيش ضمّ أكثر من ستة آلاف فارس وراجل من الجنود النظاميين وغير النظاميين لتأديب الجاف، كما أمرت الدولة بضم فوج كروس إلى قوات الوالي الذي تحرك مع فوج كُردستان وفرسان العشائر الكُردستانية والهجّانة والمدفعجية ووصل الوالي إلى توريز خاتون القريبة من مراتع طائفة الجاف وأرسل القائد خان أحمد خان واسماعيل خان ونجف قُلي خان مع عدة سرايا من المشاة والفرسان من قبائل مندمي وسورسور وكشكي وحملة البنادق من الهجّانة وغيرهم إلى مَريوان حتى يباشروا بقتال تلك الطائفة الشريرة. وقد أظهر خان أحمد خان وصاحباه السرعة القصوى في الهجوم على تلك الطائفة. كما التحق فوج كروس أيضاً بمعسكر الوالي في توريز

(٢٨) باشا السليمانية: ؟!

خاتون. وتمت ملاحقة الجاف من جهة سارال.

ومع أن طائفة الجاف كانت تضم أكثر من عشرة آلاف أسرة فإنها لم تبد أدنى مقاومة بل فضلت طريق الهرب وأسر خان أحمد خان وإسماعيل خان في تلك الحملة مايقرب من ثلاثين رجلاً من أعيان الجاف وأعملا السيف في رقابهم. كما غنما أكثر من ثلاثين ألف رأس من الأغنام والمواشي، وعاد الوالي مع الأهالي إلى كُردستان مبتهجين بنصرهم بعد أن دامت الحملة شهرين وعشرين يوماً.

ولقد كان فوج كروس في تلك الحملة في غاية الالتزام بالنظام، فجاء بنظام وعاد بنظام، وبعد ذلك استقل الوالي استقلالاً تاماً وانصرف إلى شؤون الحكم حسب ما يحلو له.

وفي سنة ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م ورد إلى كُردستان ميرزا عبدالصمد الهمداني وكان أحد خلفاء حاجي محمد كريم خان الكرماني[٢٩] وعلى مذهب (الشيخية). واتفق مع الوالي لترويج مذهبه. لكن علماء المنطقة وجميعهم من السنّة الشافعيين حاولوا صرف نظر الوالي عن مؤازرة ميرزا عبدالصمد[٣٠]، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل، ولم تأت بنتائج مفيدة، وكان لابد من ظهور مقدمات الثورة في صفوف السكان.

وفي يوم الأربعاء في السادس عشر من شهر ربيع الأول من السنة ذاتها، ذهب علماء وأشراف كُردستان إلى مقبرة (الشيخان) الواقعة غربي سنندج وعقدوا مجلساً للتشاور في فسحة واسعة هناك. وبعد انفضاض المجلس

(٢٩) الشيخية مذهب أنشأه الشيخ أحمد الأحسائي (١٧٥٢- ١٨٢٥) وهو فقيه شيعي ولد في الأحساء وسكن العراق وإيران. توفي في طريقه إلى الحج على مقربة من المدينة المنورة فدُفن فيها. ويسمى مذهبه أيضاً الكشفية. وله مؤلفات عديدة ردَّ في بعضها على الفلاسفة. المنجد. وفي هدية العارفين: أنه أحمد بن زين الدين الأحسائي من مشاهير الشيعة الإمامية ولد سنة ١١٦٦هـ وتوفي في ذي القعدة سنة ١٢٤١هـ قريباً من المدينة المنورة ونقلت جنازته ودفن بها. وله مؤلفات كثيرة عد منها صاحب هدية العارفين أكثر من ثلاثين مصنفاً.

ومن علماء هذه الفرقة محمد كريم خان بن ابراهيم الكرماني الشيعي توفي سنة ١٢٨٨هـ= ١٨٧١م. له من الكتب إرشاد العوام في العقائد، علم اليقين في الردّ على فرقة البابية الملحدين، فصل الخطاب في الحديث، هذا من هدية العارفين... وقد ورد ذكره في الحديقة الناصرية - على أنه من شيوخ ميرزا عبدالصمد الهمداني الذي حاول نشر مذهب الشيخية في كُردستان.

(٣٠) انظر هوامش الملحقات.

بعثوا رسالة إلى الوالي تضمنت الاقتراح التالي: إما إخراج المدعو ميرزا عبدالصمد الشيخي من البلد وتركه أرض الولاية أو جلاء أولئك الرجال عن أرض الوطن باختيارهم.

ولكن الوالي لم يأبه بهذا الاقتراح ولم يستجب لمطالب أولئك الناس. وخلال تلك الفترة خرجت جماعة من أشرار المدينة وصعاليكها ودراويشها دون إجازة وإذن العلماء، واقتحمت السوق ومحط القوافل الذي كان موئل التجار والشيخيين وغيرهم وباشرت بسلب أموال التجار وقتل الأنفس، وحالما اطلع الوالي على الوضع نصب قطعتي مدفعية على أعلى القلعة من مكان يشرف على السوق ومحط القوافل حتى ينهي ذلك العصيان، ولما رأى أولئك الصعاليك والأشرار أنفسهم في ورطة الهلاك توقفوا عن عمليات النهب وهرب كل واحد منهم بما غنمه من الأموال إلى جهة. وقد ألقي القبض على حوالي أربعين شخصاً منهم ومعهم الكثير من الألبسة والأقمشة حيث تم جدع أنوفهم وقطع آذانهم ثم القي بهم على رؤوسهم من أعلى القلعة بأمر من الوالي. وفي ذلك اليوم خرج الشيخ عبدالقادر وهو من العلماء الأجلاء في المدينة مع جمع من أقربائه وأتباعه مهاجراً إلى الدولة العثمانية.

وعندما رأى الوالي أن الأمور آلت إلى مايريده ويبتغيه، ألقى القبض على البعض ونكَّل بالآخرين وأهانهم. ومن جملتهم آغا مصطفى ابن حاجي شعبان من رؤساء الكسبة، فقد وضعوه في فوهة مدفع، أما الشيخ وسيم[٣١] المشهور بالشيخ وسيم بازار فقد سملوا عينيه ليكون ذلك عبرة للناظرين.

وعقاباً على الجرائم التي ارتكبها أولئك الصعاليك والأشرار، فقد تمت جباية ثمانين ألف تومان من عموم أهل المدينة. وفي غضون أسبوع واحد ساد الأمن والهدوء في الولاية، وعاد إليها النظام.

وقد اشتهرت هذه الثورة في كُردستان باسم (جنگ كاروان سرا = حرب محط القوافل) وقد أفلست جماعة بسبب تلك الحوادث وأضحت لاتملك شيئاً. كما اغتنت جماعة أخرى جراء عمليات سلب التجار ونهبهم وملكوا ثروة كبيرة. ومن جملة المستفيدين الأخوان (بابا خان) و(حبيب الله) اللذان يبلغ

(٣١) انظر هوامش الملحقات.

مجموع أملاكهما مئتي ألف تومان كلها من أموال التجار التي سلبت منهم خلال حرب محط القوافل.

وفي سنة ١٢٧٥هـ= ١٨٥٨م توجه ملك إيران عن طريق همدان إلى كُردستان ولم يطلع أحداً على هذا المطلب الملكي، ولكن الوالي علم بذلك فحث الخطا مع جمع من الأهالي لاستقباله فتشرفوا بلقاء الحضرة الهمايونية في منطقة إسفند آباد ثم عادوا في ركاب ملك إيران إلى سنندج.

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٢٧٥هـ نصبت الخيام الملكية في حديقة خسرو آباد، ونزل مرافقوا الشاه في أطراف تلك الحديقة، أما الشاه ناصرالدين شاه ملك إيران فقد شرّف في اليوم التالي ساحة القلعة الحكومية ومسجد دار الإحسان وتجول فيهما، ولكن مع الأسف فإن حكام كُردستان عديمي الإنصاف لم يصرفوا ديناراً واحداً خلال الأربع والثلاثين سنة الماضية على تعميرها فآلت جميعها إلى الخراب. والحاصل أنه بعد ثلاثة أيام من نزول الشاه في سنندج تحرك معسكر ملك العجم السامي إلى أذربيجان من طريق كروس.

إن تلك الرحلة إلى سنندج لم تقع موقعاً حسناً لدى المعسكرين فالمؤونة لم تكن كافية. وكان يصعب تأمين التبن والشعير، وقد عرض الوالي بدل العلف ذهباً أحمر لكنهم رفضوا ذلك. وكان هذا الأمر سبباً في عزل الوالي بعد شهرين. وفي تلك الأيام حضر عمر باشا السردار الأكرم في الدولة العثمانية إلى منطقة الحدود الفاصلة بين كُردستان والدولة العثمانية لأجل لقاء الوالي الذي استأذن دولة إيران وأسرع إلى لقاء عمر باشا من جهة مَريوان مع مايليق بهذا اللقاء من أمور وبعد أن تباحثا وأنجزا مهماتهما ذهب كل واحد منهما إلى مملكته.

وفي أواسط شهر شعبان من عام ١٢٧٦هـ = ١٨٥٩م في أوائل مرحلة الحمل [أي: برج الحمل... في الثلث الأخير من شهر آذار... المترجم] تم تعيين ميرزا أبو القاسم تغريشي [تجريشي] مستوفي الديوان وزيراً لكُردستان وحضر إلى سنندج فعزل ميرزا محمد رضا عن وزارة كُردستان وأرسله إلى طهران، وبعد شهر واحد تم عزل الوالي أيضاً. وأصبح عمه نجف قُلي خان

نائباً للحكومة في كُردستان وكان حينذاك حاكماً على جوانرود.

وبعد عزل الوالي غلام شاه خان، ذهب مع جميع أهله وعياله وأتباعه إلى طهران في اللحظة التي تحرك فيها نجف قُلي خان متوجهاً إلى سنندج، وبعد مرور شهرين صدر الفرمان الشريف فمنح خلعة الحكومة ليتعاون هو وميرزا أبو القاسم في أمر الحكم وجمع الضرائب.

ولقد كان نجف قُلي خان يعاني من ثقل سمعه، ولكنه مع ذلك كان في غاية الذكاء وحدة الفهم، وكان قد أمضى سنوات وهو يمني نفسه بان يصبح حاكم كُردستان إلى أن تحققت أمنيته بتقدير الرب القدير. فأمضى سنة كاملة في الحكم حيث عامل الناس من الأسر العريقة وأبناء العائلات النجيبة الذين خذلهم الدهر بعطف ومحبة.

وكان قد جمع ثروة كبيرة خلال سنوات حكمه في جوانرود، فصرفها كلها على شؤون الحكومة في كُردستان، إلى أن جاء الخامس عشر من رمضان سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م حيث أصبح صفر اليدين وتم عزله عن الإمارة فذهب إلى طهران وهناك حصل على مناصب رئيس حرس ولي العهد حضرة الأقدس مظفر الدين ميرزا[٣٢] وأسرع إلى أذربيجان. وبعد سنة ودع هذه الدنيا الفانية ولحق بجوار ربه.

بعد ذلك عاد غلام شاه ثانية إلى الحكم في كُردستان، وقد انتشر هذا الخبر في كُردستان في الثالث والعشرين من رمضان سنة ١٢٧٧هـ. وفي الخامس من شوال من السنة ذاتها قام غلام شاه خان بتولية ابنه حسين قُلي خان الملقب (خان خانان) منصب نائب الإيالة حسب الإرادة الشاهانية وأرسله مع جمع من الكُردستانيين إلى كُردستان. أما الوالي فقد غادر طهران في غرة شهر ذي القعدة الحرام من السنة ذاتها متوجهاً إلى مقر حكومته،

(٣٢) هو الملك مظفر الدين شاه (١٨٥٤- ١٩٠٧) خامس ملوك السلالة القاجارية حكم من ١٨٩٦. وأقر النظام الدستوري سنة ١٩٠٧. المنجد. وفي عهده زار المستشرق الألماني اوسكار مان إيران وكتب (التحفة المظفرية) وهو كتاب في الأدب الكُردي ضم كثيراً من القصص والأشعار الفولكلورية وهي: دمدم - مم وزين - لاس وغزال - ناصر ومالمال - برايوك - شيخ فرخ - محمل وابراهيم دشيتان - قوج عثمان - جولندي - خزيم- كاكه ميرو كاكه شيخ - لشكري - زمبيل فروش - عبدالرحمن باشا - گل زر - بابير مَنگور (١).

وفي منتصف ذلك الشهر وصل إلى مدينة سنندج وأمضى ثلاثة أعوام كاملة في الحكم.

وفي سنة ١٢٨٠هـ = ١٨٦٣م اتفق كل من ملا فتح الله القاضي وملا محمد أمين الإسلام وملا لطف الله شيخ الإسلام وملا محمد صالح فخر العلماء وجماعة من أمناء كُردستان على عزل الوالي، فذهبوا إلى طهران وقدموا شكوى ضد الوالي والوزير ميرزا محمد رضا على سوء معاملتهما لأهالي الولاية. فقام الشاهنشاه الثاقب النظر بتعديل نظام الضرائب لأجل رفاه سكان كُردستان، وأصدر فرماناً باسم كل قرية. وعين ميرزا زكي رشتي مستوفي الديوان الملقب بالنائب وزيراً لكُردستان وأرسله لخدمة الوالي غلام شاه خان.

وحالما وصل ميرزا زكي إلى كُردستان قام بالنظر في أمور عامة أهل الولاية في غاية الكمال ونأى بنفسه عن الأغراض والغايات، فابتهجت الرعية لعدالة ذلك الرجل النجيب وعمرت الولاية في عهده.

وفي السنة الثانية من تسلمه منصب الوزارة أي عام ١٢٨٢هـ = ١٨٦٥م ثار الأوراميون البغاة وطغوا، فلم يتحمل ميرزا زكي شرورهم بل عرض أفعالهم مفصّلة على بلاط الشاه الذي أصدر أوامره إلى غلام شاه خان بقمع هذه الطائفة وتأديبها، فقام الوالي خلال مدة قصيرة بجمع حشود كبيرة، وانطلق إلى أورامان لهون عن طريق جوانرود مع فوج كُردستان (فوج الظفر) وأربع قطع مدفعية مع بطارية مدفع من نوع قبس وثلاثة آلاف من رماة البنادق الهجانة.

وعندما وصل إلى قرية باوه التي تعتبر آخر نقطة من أرض جوانرود ونقطة ابتداء أراضي أورامان، وضع علي أكبر خان شرف الملك مع جمع من الهجانة وعدة سرايا من المشاة والفرسان في طليعة الجيش. فأسرع شرف الملك مع جيشه اللجب إلى ضفة نهر سيروان في النقطة التي تسمى (هيروي). بينما كان محمد سعيد سلطان يعسكر مع جماعة من الأوراميين على الضفة الأخرى. ودارت رحى المعركة ففرّ الرماة الأوراميون بعد قليل من الكرّ والفرّ لأنهم فقدوا القدرة على المقاومة وبعد انتصار شرف الملك خاض

النهر بجنوده وبعث إلى الوالي بخبر النصر، فما كان منه إلا أن أسرع للالتحاق بشرف الملك مع قطعة المدفعية والجيش الذي بإمرته.

ولما علم حاكم أورامان محمد سعيد سلطان أن خوض الحرب مع هذا الجيش سيلحق به العار والهزيمة، أخلى قرية نفسود التي كانت عاصمة ملكه ولجأ إلى منزل الشيخ علي أبا عبيدة[٣٣] وبقي متوارياً هناك. بينما تم رفع راية الدولة على نفسود.

وبعد ثلاثة أشهر كاملة طلب محمد سعيد سلطان من الشيخ عبدالرحمن[٣٤] ابن الشيخ عثمان شيخ الطريقة النقشبندية ومحمد باشا رئيس عشائر الجاف أن يتشفعا له لدى الوالي. فقام المذكوران باصطحابه معهما ووضعاه في اسطبل الوالي الذي عفا عنه بعد أن أخذ ثلاثة آلاف تومان وأقره على حكم أورامان لهون. بعد ذلك عاد الوالي إلى سنندج. ولقد كنت أنا الحقير مؤلف هذا الكتاب مسؤولاً عن تحرير أمور الوالي وتدوين وقائع تلك الحملة، وقد رأيت ماكتبت عنه رأي العين. وبعد عودة الوالي من هذه الحملة تلطف عليه الشاه بمختلف الألطاف الشاهانية ووهبه الخلع الفاخرة وشرفه بلقب (ضياء الملك).

وفي سنة ١٢٨٢هـ = ١٨٦٥م صدر من جانب الدولة أمر ببناء قلعة في منطقة مَريوان الحدودية، وقد جاء إلى كُردستان لأجل بناء تلك القلعة وتحديد موقعها وتعيين مخارجها مهندس خاص، وحينما تم تأمين المواد اللازمة، استكملت القلعة خلال ستة أشهر وسميت (شاه آباد).

وفي أواخر سنة ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م ذهب غلام شاه، برفقة الوزير ميرزا

(٣٣) الشيخ علي أبا عبيده، ربما هو الشيخ علي القزلجي لأنه حسب قول عبدالكريم المدرس زار أورامان مرتين، مرة في حدود سنة ١٨٦٠ ومرة في سنة ١٨٧٣، ولم نعثر في المراجع المعتمدة لدينا على ترجمة لشيخ بهذا الاسم. وأبا عبيدة قرية في حلبجة التابعة لمدينة السليمانية. (حلبجه) هي بلدة مشهورة بعلمائها ولم ينس القراء أنها أمطرت بالغازات السامة سنة ١٩٨٨م.

(٣٤) الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عثمان سراج الدين الطويلي النقشبندي. ولد في بياره سنة ١٢٥٣هـ = ١٨٣٧ وبعد وفاة والده سنة ١٢٨٣هـ= ١٨٦٦ انتقل إلى بغداد واقام في إحدى غرف جامع عبدالقادر الگيلاني وبقي مدة، ثم سافر إلى الحج ورجع. وبعد وصوله إلى مقره توفي سنة ١٢٨٥هـ= ١٨٦٨م.

زكي إلى طهران، حيث أصيب الوالي بعد مكوثه هناك شهراً بمرض عضال فتولى معالجته طبيب افرنجي يسمى طولوزان، وكان الطبيب الخاص لملك إيران وقد شفي الوالي بعد معالجته.

وخلال تلك الأثناء تحرك الموكب الشاهاني باتجاه خراسان، وعاد كل من الوالي والوزير إلى كُردستان بامر من الشاه. وبعد مدة عاود المرض والي كُردستان فلزم الفراش، واختلفت عليه الأمراض. وكان الوالي يتناول السركنكبيبن... ومع ذلك كان مرض الصفراء يشتد عليه، كان يتناول زيت اللوز ليشفى من يبوسة بطنه، لكن دون جدوى. والحاصل أنه لم يبرأ بالرغم من تقديم كافة الأدوية والعلاجات له. بل اشتد عليه المرض إلى أن رحل عن هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء ظهيرة يوم الثلاثاء في التاسع من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٨٤ هـ = ١٨٦٧ م وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أما سبب تسميته بـ(غلام شاه) فلأنه ولد في جناح حريم الخاقان المغفور له الذي ثقب أذن الوليد ووضع فيه قرطاً.

لقد كان أمان الله خان رجلاً أديباً متوقد الفهم شديد الإحسان. وتجاوز حلمه وحياؤه وصبره كل حدود، وكان سخي الطبع كريماً. وقد دام حكمه من أوله إلى آخره عشرين سنة. ولا شك أن رجالاً من هذه الطينة يبلغون المراتب السامية ويصبح الجميع أسرى نعمه وفضائله. ومن آثاره الخالدة مسجد دار الأمان الذي وقف له كثيراً من الأوقاف، ومن آثاره أيضاً حديقة (أمانية) و(حسين آباد) اللتان تقعان على بعد ألف قدم من المدينة.

وكان هذا الوالي خلال حياته يبدي ميلاً كبيراً لاقتناء الكتب وشراء الأملاك، وقد اجتمع في مكتبته مايزيد عن ألفي مجلد، وملك اكثر من خمسين قطعة من الأملاك المختلفة، ومع هذا فقد بلغت الديون المترتبة عليه أكثر من ثمانين ألف تومان حين وفاته. فتولى التاجر الأصفهاني ميرزا أبو طالب أمر تسديدها من ميراثه خلال ستة أعوام.

وترك وراءه من الأولاد ثلاثة ذكور وثلاثة إناث وهم الآن جميعاً لايملكون شيئاً وفي غاية البؤس ويقبض ابنه الأكبر حسين قُلي خان الملقب بـ(خان خانان) راتباً حكومياً يبلغ قريباً من (١٣٠٠) تومان لايكاد يكفيه معيشته.

وقد سعى الوزير ميرزا زكي جاهداً بعد وفاة الوالي أمان الله خان في تعيين ابنه (خان خانان) والياً ويقلده أمر حكومة كُردستان، إلا أن أولياء الدولة لم يلتفتوا إلى مساعيه ولم يعيروه اهتماماً، فتقرر تنصيب فرهاد ميرزا معتمد الدولة عم ملك إيران حاكماً على كُردستان. ولكنه حالما ارتدى الخلعة وصدر الفرمان بتعيينه حاكماً أصيب بمرض الرعاف مما منعه من القدوم إلى كُردستان، وقد رأى فرهاد ميرزا في هذا المرض فألاً سيئاً فطلب إعفاءه من هذه المهمة... وعاد أمر حكومة كُردستان إلى الوزير ميرزا زكي.

وبعد انقضاء ثلاثة أشهر على ماحدث وشفاء فرهاد ميرزا من مرضه تماماً تم تعيينه من جديد حاكماً على كُردستان، فجاء إلى سنندج عن طريق همدان في الوقت الذي توجه فيه ميرزا زكي وحسين قُلي خان إلى طهران عن طريق كروس. وفي يوم الجمعة الرابع من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧ م وصل فرهاد ميرزا إلى دار الإيالة سنندج، وكان قد عيّن لدى تحركه من طهران ابن شقيقته محمد علي خان ابن الوالي رضا قُلي خان قائداً لفوج كُردستان واصطحبه معه ومحمد علي خان هذا يلقب حالياً بـ(ظفر الملك) وهو برتبة عميد، وكانت خدماته للدولة سبباً في ترقيه. وسنأتي على ذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله.

الفصل الثامن

حكام كُردستان غير المحليين

ذكر حكومة حاجي فرهاد ميرزا معتمد الدولة في كُردستان

عندما وصل معتمد الدولة إلى دار الإيالة في كُردستان يوم الجمعة في الرابع من شهر ذي القعدة سنة ١٢٨٤هـ، اجتمع إليه عموم أعيان وأشراف كُردستان، وبعد أن قام بجولات تفقدية ألقى كلمة جاء فيها:

"مادمت حاكماً لهذه الولاية فإنني لن أكذب على أحد في أي مجال، ويجب ألا تكذبوا أنتم عليَّ كذلك، أما إذا ثبت لدي أن احداً يكذب علي فإنني سأرده وأطرده".

وفي الواقع فقد راجت سوق الصدق خلال سنوات حكمه الست.

والحاصل أنه بعد ثلاثة أشهر ذهب إلى منطقة مَريوان بصحبة جمع قليل بسبب حصول تمرد في قلعة شاه آباد والمناطق الحدودية.

وقد جاء إلى مقابلته حسن سلطان الذي كان يناصب حكام كُردستان العداء لسنوات عديدة. وكان يرافقه كل من بهرام بك ومصطفى بك وهما أخواه مع ألف من رماة البنادق.

ولقد كان هذا الحشد الكبير من جانب حسن سلطان سبباً في نفور معتمد الدولة منه وعدم وقوعه موقعاً حسناً لديه في الباطن. بالإضافة إلى أن رماة البنادق التابعين لحسن سلطان قاموا بأعمال استوحش منها الوالي الذي نزل في قرية بيلك، وهي من قرى مَريوان وقريبة من الحدود. وقد أقام معتمد الدولة في مسجد تلك القرية وبات ليلته هناك. وفي الصباح استدعى رئيس خدمه زين العابدين وأصدر أوامره باستدعاء عدد من الخدم مع الجلاد إلى مضافة المسجد دون اطلاع أحد على ذلك. وقال له: حالما يحضر حسن سلطان وأخواه إليَّ فإنني سأبعثهم إلى المضافة لتناول القهوة. وفور وصولهم يجب إلقاء القبض عليهم ووضع القيود في أيديهم ثم قتل حسن سلطان فوراً.

وقد نفذ رئيس الخدم هذه الخطة فوضع القيد في أيدي أخوي حسن سلطان بينما اغتيل حسن سلطان نفسه. في حين كان رماة البنادق الألف ينتظرون على بعد عشرين قدماً خروج حسن سلطان.

وفور اغتياله ربطت قدماه بحبل وسحبت جثته حسب أوامر معتمد الدولة لتلقى في صفوف أولئك الرماة الذين ما إن وجدوه قتيلاً حتى تفرق جمعهم وانهزموا.

وبعد أن قتل معتمد الدولة حسن سلطان وقيَّد أخويه عاد إلى سنندج. وقد سببت فعلته هذه الحيرة بين العشائر التي تقطن في مناطق الحدود كما أدخل الرعب إلى قلوب عموم أهالي كُردستان.

وعلى كل حال فإن الأوراميين وبأمل إطلاق سراح أخوي حسن سلطان أظهروا ولاءهم وأتوا بتقدمات على طول سنة كاملة وأعطوا ضماناً بطاعتهم له، لكن خاب أملهم في ذلك ولم يستجب فرهاد ميرزا لمطالبهم. فأسر الأوراميون في أنفسهم الاستعداد للعصيان.

وفي شتاء ذلك العام تم تجديد بناء قلعة شاه آباد في مَريوان، وكانت قد تعرضت للخراب جراء الإهمال، حيث أرسل معتمد الدولة محمد باقر خان حفيد الصدر الأصفهاني محمد حسين خان إلى مَريوان حاكماً وأمره بتجديد تلك القلعة.

وقد عقد الأوراميون العزم على خطف محمد باقر خان وأخذه إلى أورامان كرهينة حتى يطلق سراح أخوي حسن سلطان. ولكن محمد باقر خان علم بما عزم عليه الأوراميون فانصرف إلى حماية نفسه وبعث إلى معتمد الدولة يخبره بذلك. فخرج معتمد الدولة من سنندج في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر محرم سنة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م وتوجه إلى مَريوان مع جماعة قليلة من الكُردستانيين ومئة جندي ملازمين ركابه وذلك دون أن يطلع أحداً على غايته، وانطلق من جهة قرية سرخ كول.

وفي ليلة الاثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور عسكر معتمد الدولة في الفلاة المسماة (شيخ سليمان) بالقرب من قرية (أنجمنه) ونصب فيها خيامه وحالما وجد الأوراميون أن الفريسة وقعت في الشباك حتى انطلق ألف

من رماة البنادق ليلاً ونزلوا على تلة مشرفة على معسكر معتمد الدولة منتظرين طلوع الصبح الصادق. وقد سمع الكُردستانيون الذين كانوا في معية معتمد الدولة بهذه الحركات، فقام كل من علي أكبر خان شرف الملك وميرزا علي ديوان بكي مع جماعة أخرى بإبلاغ معتمد الدولة مجريات الأمور بصراحة تامة. لكن معتمد الدولة نتيجة غروره اعتبر ماسمعه من الخيالات المستحيلة، وبمقدار ماكان الكُردستانيون يصرون على أن الأخبار صحيحة كان معتمد الدولة ينكرها ولا يصدق شيئاً وانتصف الليل على تلك الحال من الجدال ولما أقبل السحر وطلع الفجر قال معتمد الدولة: الحمد لله فقد جاء الصبح ولم يظهر أثر مما أرجف به الكُردستانيون. وفجأة ارتفعت أصوات بنادق الأورامیين وانطلق وابل غزير من الطلقات من فوهات تلك البنادق باتجاه المعسكر.

فوقف معتمد الدولة موقفاً باسلاً وأمر بتهيؤ المشاة والفرسان، ولم يقبل عار الفرار لنفسه إلى أن أزت الطلقات في خيمته، وهنا رأى الكُردستانيون النجاة في الهرب. وبعد مقتل جماعة من مرافقيه اضطر معتمد الدولة أيضاً إلى الفرار فأنشد هذا البيت من الشعر [بالعربية]:

فليس الفرار اليوم عاراً على الفتى إذا عرفت عنه الشجاعة بالأمس

ثم امتطى صهوة فرسه وفر مع علي أكبر خان شرف الملك وجماعة من الكُردستانيين أما الجنود الذين كانوا في المعسكر فقد قاوموا ببسالة مدة ساعة كاملة قُتل خلالها عباس ميرزا سلطان ومحمد بك النائب مع بضعة نفر من الجنود، أما الآخرون فقد تنادوا للهرب قائلين: كل من يستطيع الفرار فليفعل وإلاّ ناله القتل أو الأسر. وقد جرح في تلك المعركة علي أكبر شرف الملك نفسه. وغنم الأورامیون جميع ماكان في المعسكر من مال ومتاع.

والحاصل أن معتمد الدولة وصحبه وصلوا مدينة سنندج في غضون ليلة واحدة، حيث تقوقع الوالي كالحية على نفسه بعد أن لحق به هذا العار والشنار. ثم أبلغ أولياء الدولة بخبر المعركة كما جرت.

وقد استشاط الملك غضباً حال سماعه تلك الأخبار، فأمر بتسيير جيش جرار مع القواد المقتدرين لقمع واستئصال شأفة الطائفة الأورامية الباغية،

فاجتمع خلال مدة قصيرة في كُردستان فوجان من الجنود وألف فارس من خمس ولايات وفوجان من همدان بقيادة مصطفى قُلي خان اعتماد السلطنة وفوج من أفشار أورمية بقيادة بيوك خان. وتم تعيين حاجي قنبر سعد الدولة قائداً عاماً للجيش.

كما كانت الأوامر قد صدرت إلى الضابط محمد علي خان قبل اجتماع الجيش في كُردستان بأن يأخذ معه فوج الظفر ورماة البنادق من سقز وبانه ومَريوان مع ثلاث قطع مدفعية، ومدفعين من نوع قبس إلى مضيق شاميان ومضيق كلوين... حيث بداية أراضي أورامان.

وقد ذهب محمد علي خان ظفر الملك بتلك الاستعدادات ليعسكر في تلة الشيخ سلميان التي تقابل مضيق (كلوين)... وفي أواخر شهر صفر وصل قنبر علي خان سعد الدولة مع قواد الجيش إلى سنندج. وبعد أن اطلع معتمد الدولة على واقع الحال قسم الجيش إلى قسمين، سلّم قيادة القسم الأول المؤلف من فوجين من فرسان الولايات الخمس مع ألف من رماة البنادق الهجانة من سكان الولاية إلى حاجي قنبر علي خان سعد الدولة وأنفذه إلى جهة أورامان تخت وشاميان ليلتحق بمعسكر محمد علي خان ظفر الملك. وسلم قيادة القسم الثاني المؤلف من فوجين من فرسان همدان وفوج من مشاة أورميه ورماة البنادق الهجّانة الجوانروديين وقطعتي مدفعية إلى مصطفى قُلي خان اعتماد السلطنة وعلي أكبر خان شرف الملك وبيوك خان. وأنفذه عن طريق جوانرود لقمع فتنة محمد سعيد سلطان والاستيلاء على نفسود. وحالما التحق حاجي قنبر علي خان مع جيشه بفوج ظفر الملك على تلة الشيخ سلمان اتخذ معسكره هناك.

وفي غرة ربيع الثاني جرت معركة مفاجئة. وبما ان مواقع الأورامیين كانت وعرة ومغطاة كلياً بالأشجار، فإن الجيش المنصور [يقصد جيوش الدولة] لم يظفر بشيء. وقد كان الأورامیون متحصنين وراء الأسوار وفي الخنادق أما جيش الدولة فقد كان يتحصن بصدور جنوده. ومع ذلك باء الأورامیون بالخذلان والنكبة نتيجة اندفاع ظفر الملك وإطلاق نيران المدفعية. وقتل من الأورامیين نفر عديدون، أما من فرسان فوج الظفر الكُردستاني فقد وقع

هلوخان سلطان الأردلاني وأحد النواب وعشرون جندياً بين قتيل وجريح.

وقد دخل الجيش الحكومي في ذلك اليوم من الصباح إلى غروب الشمس في معركة بطولية وعندما ساد الظلام أرجاء الدنيا، انهزم الأوراميون وعاد الجيش المنصور إلى مواقعه.

أما على جبهة جوانرود فحالما عسكر الجيش على ضفاف نهر سيروان، أرسل محمد سعيد سلطان أربعمئة من رماة البنادق إلى مواجهة الجيش ومنعه من عبور النهر. وحفروا خنادق في المواقع المشرفة على النهر واستعدوا للقتال، معتقدين أن جيش ايران ولو كان بقيادة (سلم وتور) لن يستطيع عبور النهر حتى نفخ الصور. وقد استولى الجيش يوم وصوله بعد مناوشات على نبع الماء وبذلك أفقد قدرة العدو على الاستمرار في القتال.

وفي ليلة الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني قام اعتماد السلطنة في الخفاء بالإحاطة بالخندق المتعرج [الذي أنشأه الأوراميون] حتى ضفة نهر سيروان. ولما علم جنود الفوج الأفشاري بذلك صباحاً تقدموا بدورهم نحو ذلك الخندق واحتلوه. بينما حفروا خندقاً آخر على ضفة نهر سيروان.

وكان الجنود الهمدانيون يجيدون السباحة فأخذوا يخوضون في النهر مثل البط ولم يأبهوا بمياه النهر. بل عبروه خلال مدة قصيرة. ولما التقى الجمعان كانت قذائف المدافع تتلاشى في تلك النواحي والجهات كأنها الذرات، وارتفع بكر بك في الهواء جراء قذيفة مدفع.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني تقاطر رماة البنادق الأوراميون إلى جبهة القتال، لكنهم انكفأوا مغلوبين منكوبين، وقامت سرية من فوج الأفشاريين المتخندقين في قلعة بالجبل ببطولات خارقة وأجبروا أولئك المخذولين على الفرار. وبعد يومين قام الجيش المظفر وعلى أنغام الطبول والأبواق بالتوجه إلى نفسود فدخل رحمان بك وعثمان بك ولدا محمد سعيد سلطان في معارك مع الجيش بفضل الإله والحظ العالي للشاهنشاه.

ولقد كان علي أكبر خان شرف الملك مع رماة البنادق الجوانروديين الذين كانوا تحت إمرته خير مدد ومعين للجيش في تلك المعركة. وإنصافاً نقول – وبعيداً عن مبالغات المؤرخين ومدوني الوقائع – فإن وجود علي أكبر خان [بين

صفوف المقاتلين] وتحليه بالرجولة والشجاعة والخبرة كان من أسباب ذلك الفتح المبين. فلقد بذل مافي وسعه لأجل الدولة. وهو بذلك جدير بأن يدون مؤرخوا العالم اسمه في صفحات تأريخهم، كي تطلع عليه الأجيال اللاحقة. فلتسلم يداه وساعداه(.....).

أما على جبهة أورامان تخت، فقد تحالف الفوج المزدوج للولايات الخمس مع فوج الظفر الكُردستاني ورماة البنادق من سقز وبانه ومَريوان وقاموا بغارات ليلية. وقد ذهب بضعة نفر من نبلاء أورامان مع عبدالرحمن بك – وكان لهم سابق خصومة مع جماعة حسن سلطان – إلى محمد علي خان ظفر الملك وطلبوا الانضمام إليه متعهدين له بالطاعة.

وبواسطة العون الإلهي والحظ السلطاني وإرشاد أولئك [المنضمين إلى ظفر الملك] قام خمسة آلاف من الفرسان والمشاة وقادتهم المستعدين للقتال والتضحية ليلة الثامن والعشرين من شهر ربيع الثاني عن طريق (ويسه) و(مرس) دون خوف أو وجل وكأنهم الدعاء المستجاب بعبور تلك الجبال والهضاب وارتقائها ودخلوا (دزلي) كالبلاء النازل، ولم يخطر ببال أحد أن شخصاً واحداً يستطيع المرور في ظلمة تلك الليلة وعبر تلك الدروب الوعرة.

وقد أيقظ صدى الأبواق أولئك المغترين المفسدين من نوم الغفلة لأن أغلب رماة البنادق كانوا قد ولوا وجوههم شطر أورامان لهون بسبب عبور الجيش المنصور نهر سيروان.

وعندما علموا بخبر الاستيلاء على دزلي، عقدوا اجتماعاً وعزموا على القتال، فدارت رحى معركة حامية وطارت الرؤوس عن العواتق والزنود عن المرافق وإنصافاً نقول: إن الجنود الأورامیين استبسلوا في القتال وحاربوا برجولة، لكنهم كانوا مقابل ذلك الجيش المنصور قطرة في بحر.

ومن جملة أبطالهم الذين قتلوا، رجل كان يسمى (الشيخ كدو) صنع طبلاً من قرعة غلّفها بالجلد. وكان يقرع عليها، وفي يوم المعركة تحلق حوله الرجال وقاتلوا ومنهم أيضاً بهرام بك بن محمد بك بن نظام بك حيث قاتل بشجاعة ثم قُتل. ولما جاء العون الرباني وابتسم الحظ السلطاني، انكسر الأوراميون شر كسرة وتمت ملاحقتهم إلى حوش بدراني، فوجدوا ألاّ مجال للنجاة،

فأسرعوا مقهورين إلى شهرزور. وبذلك ضمنت الأفواج المؤتلفة ورماة البنادق من بانه وسقز ومَريوان اسم الخلود في التاريخ.

ولقد كان ظفر الملك في ذلك القتال شأنه شأن مشاهير قادة العصر يتقدم مع فوج الظفر جميع الجيوش، وبعد انتهاء القتال أرسل إلى دار الإيالة بشرى الفتح إلى معتمد الدولة مرفقاً إياها ببضعة أسرى مع رأسي بهرام بك والشيخ كدو وبضعة رؤوس أخرى.

ولقد كان ماجرى باعثاً على سرور فرهاد ميرزا فأنعم على قواد الجيش والأفراد بمختلف الإنعامات وتكرمت الدولة بالأوسمة وعلاوات الرواتب على كل قائد من القواد والأبطال والجنود الذين أبلوا بلاءً حسناً، ثم أذن للجميع بالعودة إلى أوطانهم.

وبعد هذا الفتح قرر فرهاد ميرزا أن ترابط أربع سرايا حماية في حوش بدراني على الدوام.

أما الأوراميون فقد هاجروا صغاراً وكباراً إلى أراضي الدولة العثمانية، وبعد مرور سنة تطلع الأوراميون إلى العودة إلى كُردستان والالتجاء إلى أعتاب فرهاد ميرزا. وكان أول من أقدم على ذلك أحمد سلطان حيث جاء إلى منزل قدوة الإسلام ملا أحمد شيخ الإسلام ورجاه أن يتشفع لجرائمه لدى البلاط السامي. فتشفع له ولم تذهب تلك الشفاعة سدى بل كتب فرهاد ميرزا خطاً بالعفو عنه فأصبح أحمد سلطان محط عنايته.

ولما اطلع سائر الأورامیين على خبر العفو عن أحمد سلطان دبت فيهم الشجاعة، فعزم محمد سعيد سلطان أيضاً على العودة وأرسل زوجته الجميلة الجليلة فيروز خانم إلى أعتاب الأمير فرهاد ميرزا لتطلب له الأمان والإذن بالرجوع فمنح الأمير الأمان وبتوسط علي أكبر خان شرف الملك أذن له بالرجوع، وبعد أيام عاد محمد سعيد سلطان لينزل في إصطبل الأمير.

وخلال تلك المدة توفي بهرام بك وهو أحد أشقاء حسن سلطان وكان مايزال في الحبس لدى الأمير. وكان رجلاً في غاية الظلم والوقاحة. وكان معه في الحبس رجل اسمه مصطفى بك وكان على خلاف معه، بل كان على العكس منه فقد كان رجلاً ذا حياء ولم تصدر عنه أفعال شنيعة في تلك الأحداث،

فتشفع له ميرزا رضا علي ديوان بكي فجاء بأهله وعياله إلى المدينة. وأصبح ميرزا رضا كفيلاً له لدى الأمير الذي أطلق سراحه وعين له ولأهله راتباً يبلغ ٧٠٠ تومان، بشرط أن يصرف ذلك الراتب في سنندج حصراً.

وبعد انقضاء فترة من الزمن، تم تعيين علي أكبر خان شرف الملك بفرمان من الأمير حاكماً على جوانرود فاستعد للرحيل إليها. وعندما همَّ بالرحيل قال له الأمير: خذ معك محمد سعيد سلطان إلى أورامان واستأصل شأفته وشأفة أولاده وأتباعه من الجذور وادفع شره عن هذه البلاد.

وقد نفذ شرف الملك أوامر فرهاد ميرزا فاصطحب معه محمد سعيد سلطان. ويقول المؤرخ [يقصد المؤلف نفسه]: لقد سمعت من شرف الملك شخصياً تفاصيل ذهابه وأسره ثم قتل محمد سعيد سلطان وأبنائه وأصحابه حيث قال:

إنه لما انطلقت من سنندج إلى جهة جوانرود، ساور الشك محمد سعيد سلطان فيما سأقدم عليه، لأنه كان رجلاً عالماً متوقد الذهن حاد الذكاء. فبدرت منه حركات وأفعال كان يتوخى من خلالها جسّ نبضي وسبر أغواري. ومن اللحظة التي انطلقنا فيها كان يتقدمنا أحياناً مسافة فرسخ، وأحياناً يتأخر عن ركبنا ليعرف مدى تأثري بحركاته تلك، لكنني كنت قد صرفت النظر عنه وتغافلت عما يقوم به ولم أسأل عنه بأي شكل من الأشكال، حتى وصلنا فجاء بنفسه إلي مطمئناً قد تبددت شكوكه.

ولما وصلنا جوانرود، بذلت ماوسعني من الجهد لاستعطافه، وكان عبدالرحمن بك حينذاك حاكماً على أورامان، فأردت أن أوقعه أيضاً في الفخ، فاختليت بمحمد سعيد سلطان وقلت له: اكتب لعبدالرحمن بك طالباً منه القدوم هو وأصحابه إلى جوانرود، ليبقوا هنا وتذهب أنت إلى أورامان. فقبل عرضي وأرسل على الفور رجلاً [إلى عبدالرحمن بك]. حيث وصل هو وصحبه بعد عدة أيام إلى جوانرود.

وبعد وصولهم بيوم واحد أطلعت رئيس خدمي صيفور بك على مانويت عليه بشأن محمد سعيد سلطان وأهل بيته، وشددت عليه في كتمان السر وإخفائه، ثم تشاورت معه في كيفية إلقاء القبض عليهم، حتى استقر رأينا على أن

نستدعي محمد سعيد سلطان وأصحابه إلى حضرتي.

وقد أعلم صيفور بك جماعة من الخدم بالخطة، وافتعل هو والخدم نزاعاً وهمياً وجاء الجميع إلي وهم يتشاكون فقمت على الفور من مجلسي لتأديب الخدم. وأثناء قيامي وخروجي تم إلقاء القبض على محمد سعيد سلطان ومن معه وتقييدهم وقام صيفور بك بتنفيذ الخطة بدقة تامة، بعد ذلك وبدون إبطاء تم إحضار المعتقلين واحداً واحداً إلى الميدان المقابل للقصر الحكومي حيث تم رميهم بالرصاص فلاقوا مايستحقون. انتهى.

بعد ذلك أرسل شرف الملك بياناً بالواقعة كما جرت إلى الأمير الذي شرّفه بلقب شرف الملك لقاء عمله، كما منحه منصب قيادة الجيش وأنعم عليه بالأوسمة والنياشين. وفي الواقع كان محمد سعيد سلطان رجلاً شريراً للغاية، وانتهت شروره جراء اهتمام الأمير ومساعي شرف الملك.

وبعد قتله نعمت أورامان بقسميها [أورامان تخت وأورامان لهون] بالأمن والاستقرار.

إن للأمير معتمد الدولة على أهالي كُردستان ثلاثة أفضال كبيرة وثابتة. وفي الحقيقة فقد أحيا الأمير اسم كُردستان والكُردستانيين من جديد. أما أحد هذه الأفضال فهو رفع فتنة الأوراميين الذين كانت شرورهم تطال البعيد والقريب وكانوا يسيطرون على بقاع واسعة. فقد كانت في يدهم الأراضي الممتدة من حدود الدولة العثمانية حتى أطراف مدينة السليمانية، أما على الطرف الإيراني فقد كانوا يحكمون حتى المناطق القريبة من مدينة سنندج. ومع ذلك فقد كانوا يكتمون الحقيقة عن مسؤولي الحدود، ويكذبون على أمناء الدولتين العليتين ولا يطلعونهم على واقع الحال [يبدو أن المؤرخ يقصد هنا مسائل الخراج والضرائب ومساحات المراعي... إلخ... المترجم]. إلى أن قام هذا الأمير الكبير باستئصالهم من جذورهم.

أما الفضل الثاني لهذا الأمير النبيل فهو منع ظلم وعدوان الأشرار من الولايات المجاورة لكُردستان، لأن الكُردستانيين كانوا يعانون لمدة ثلاثين عاماً من ظلم وجور الجوار إلى أن قضى هذا الأمير الكبير على أولئك الأشرار، كما أنه قام بأسر أحد خانات الكليائيين لأنه بدرت منه مخالفة صغيرة.

والفضل الثالث لهذا الأمير الهُمام هو القضاء على طائفة الجاف، وفي الواقع كان القضاء على هذه الطائفة ودفع شرها عن كُردستان من الأمور المستحيلة، إلى أن قام هذا الأمير العظيم الشأن وبأمر من الشاه المتوج باستئصالهم بحيث لم يعد لهم ذكر في كُردستان. وتفصيل أمر الجاف هو مايلي:

إن الجاف من الطوائف الكثيرة العدد، حيث يتجاوز عدد أسرها اثني عشر ألف أسرة وتتنازع على هذه الطائفة دولتا إيران وبني عثمان. وفي المعاهدات المبرمة بين هاتين الدولتين تقرر أنه إذا انضوت هذه الطائفة تحت لواء أي دولة منهما، فإن الدولة الأخرى تسقط حقها بالمطالبة بانضمامها إليها.

وقد استفادت هذه الطائفة لسنوات طوال من ذلك القرار، وكانت تحتال على الدولتين مثلها مثل النعامة التي إن قيل لها: احملي الأثقال. قالت: إنني من الطيور. فإن تم تكليفها بالطيران قالت: إنني ناقة. وبذلك فقد نعمت بالانتقال بين أراضي الدولتين لسنوات طوال دون أن يضايقها أحد.

ففي فصلي الخريف والشتاء كانت تذهب إلى عراق العرب وتحط رحالها هناك. أما في فصلي الربيع والصيف أي موسم الاصطياف الرعوي فقد كانت تذهب إلى المصايف الجبلية في كُردستان وتنصب خيامها على بعد ثلاثة فراسخ من سنندج. وكانت تدفع القليل من رسم المراتع لحكام كُردستان.

وبالإضافة إلى لصوصية هذه الطائفة وسرقاتها الخفية من أهالي كُردستان الذين لا طاقة لهم بدفعها، فقد خربت جميع القرى التي كانت في طريقها وما كانت لتتورع عن سفك دماء المساكين وسلب أموال الأبرياء. فكان رعايا كُردستان المساكين يتوارون خوفاً من الأعمال الوحشية التي كان يقوم بها أفراد تلك الطائفة الشريرة العديمة الإنصاف. وكانت شكاوى أولئك المساكين تذهب أدراج الرياح، فما كان أحد ليأبه بها أو يهتم بحالهم. إلى أن تولى الأمر في كُردستان هذا الأمير العادل وراعي الرعية، ولقد جاءت هذه الطائفة حسب عادتها القديمة للاصطياف الرعوي داخل كُردستان وأرسلت نفراً من رؤسائها مع قليل من التقدمات إلى حضرة الأمير الذي كان على علم واسع بتحركاتها وأفعالها ويرى فيها ظلماً فادحاً لأهالي كُردستان، ورأى أن قبول

هذا الظلم يوجب غضب الإله ويعكر الخاطر المبارك السامي لحضرة الشاهنشاه. فأبلغ الطائفة تلك بقراره في منعهم وخيرهم بين إحدى اثنتين: إما أن ينضموا تحت لواء الدولة الإيرانية العلية ويصبحوا مثل سائر رعايا كُردستان مطيعين للحكام. وإما أن يمتنعوا من الآن فصاعداً عن المجيء إلى كُردستان فعاد الرؤساء وقد قطعوا الأمل منه.

وفي الربيع التالي هيأ الأمير جيشاً وأمره بالمسير إلى جهة ناوخوان شلير ومَريوان وخاومير آباد حيث ترد إليها طائفة الجاف للاصطياف الرعوي. ولما ضاقت السبل بتلك الطائفة ولم يحصدوا سوى الخيبة والخسران ورأوا الحال بهذا المنوال، رفعوا عريضة إلى الأمير يتضرعون فيها إليه ويظهرون استعدادهم لدفع اثني عشر ألف تومان سنوياً مقابل السماح لهم بالمجيء إلى مصايف كُردستان.

لكن الأمير أعرض عنهم وعن عروضهم النافعة بل ازداد إصراراً على منعهم، ولما لم يجد الجافيون آذاناً تصغي إليهم، استعدوا لخوض القتال عساهم يستطيعون بالقوة تنفيذ مآربهم والدخول إلى أراضي كُردستان، لكن جيش الدولة وقف في وجههم وألحق بهم هزيمة نكراء، فعادوا مجللين بالعار الكبير، فارتاحت رعايا كُردستان جراء رأفة هذا الأمير العالي المقام.

ومنذ ذلك اليوم وحسب النظام الذي رسمه الأمير بات الجيش يعسكر في النقطتين المذكورتين [ناوخوان شلير وخاومير آباد] لمنع الجاف.

وإلى يومنا هذا في سنة ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م وبعد ثلاثة وعشرين سنة كاملة مازال ذلك النظام ساري المفعول، وتدفع الدولة مبالغ كثيرة من المال لمنع تلك الطائفة الشريرة من المجيء إلى كُردستان. وهي هكذا تدخل الطمأنينة إلى نفوس رعاياها وقد بوشر بناء على أمر فرهاد ميرزا ببناء قرى وضياع معتبرة سميت إحداهما فرهاد آباد لتبقى أثراً خالداً في العصور اللاحقة. كما تم إعادة إحياء المزارع والمراتع التي كان الجاف يأتون للرعي فيها.

كما تم بناء قلعة أخرى في نقطة خاومير آباد التي كانت منطقة يجتمع فيها معسكر الدولة وسميت بقلعة لشكر آباد.

هذا وقد طلب الأمير مني أنا العبد الحقير وقد كنت وقتها مشرفاً في ديوانه

ومدوّناً للحوادث – أن أدوِّن شعراً تاريخ فتح أورامان وبناء قلعة لشكر آباد، فقمت بكتابة قصيدة في كل مناسبة. أتيت في آخر بيت منهما بذكر الواقعتين وأرَّخت لهما. أما فتح أورامان فقد كان في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م أما القلعة المذكورة فقد تم بناؤها سنة ١٢٨٩هـ = ١٨٧٢م.

وفي سنة ١٢٨٧هـ = ١٨٧٠م عمَّ كُردستان بلاء دام شهرين إلى ثلاثة أشهر وفي أوائل سنة ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م انتشر القحط والغلاء جميع ولايات إيران، وبدت آثار ذلك في كُردستان حيث ارتفعت الأسعار قليلاً، وما كان ذلك مؤثراً جداً حيث لم يضطرب أحد، فلم يحتط أحد للأمر. إلى أن تقاطر الفقراء والمحتاجون رويداً رويداً من المناطق المجاورة إلى سنندج، فارتفع سعر الخبز، وبعد مدة دخل اراضي كُردستان أكثر من أربعة آلاف عائلة من مهربان والولايات الخمس [وهي أبهر رود، خر رود، زنجان رود، ايجر رود، سجا رود. المترجم]. وكان ذلك باعثاً على تبرم الأهالي وانزعاجهم، وقد اغتنم تجار الحنطة الفرصة فسعوا إلى رفع الأسعار سعياً حثيثاً.

ولقد كان ثمن الحمل من الحنطة في كُردستان تومانين فقط، فرفعوه إلى اثني عشر تومناً، فصعب ذلك على الفقراء والمهاجرين وشق عليهم.

وفي البداية وزع الأمير بعضاً من فقراء المهاجرين على أهالي الولاية، وتكفل بنفسه بمصاريف معيشة بعضهم فاستأجر لهم سكناً يقيمون فيه ولا يبرحونه. وبالرغم من هذه الإجراءات التي قام بها فإن أسعار القمح بقيت على حالها، فرأى الأمير أن يقوم باجراء آخر تمثل في أنه أمر بجمع حوالي عشرة آلاف تغار (١٠٠طن) من القمح وتحويلها إلى الصوامع وحدد سعر كل تغار [١٠كغ] بتومان واحد. بعد أن وصل سعره إلى ست تومانات.

وبهذا الإجراء الذي اتخذه الأمير إضطرب التجار وزلزلوا أكثر من المهاجرين وباءت محاولاتهم برفع الأسعار بالفشل. لأن الأمير بقي مصراً على إجراءاته للحفاظ على سلامة أرواح فقراء كُردستان والمهاجرين من بقية الولايات والذين بلغ عددهم أكثر من خمسين ألفاً. فقد أحضر الموظفون كل تلك الكمية من القمح المخزن إلى المدينة، وفي كل أسبوع كان يتم بيع القمح إلى الخبازين بسعر تومان واحد لكل تغار واحد. وكان سعر المن من الخبز

ثلاثين شاهياً وألفي رواج دون أن يستطيع أحد الحصول عليه [المن وحدة وزنية تعادل ٣ كغ].

ولكن بعد ذلك الإجراء وصل سعره إلى عباسيين وعشر شاهيات لكنه كان في غاية الوفرة. [شاهي، عباسي، رواج، وحدات نقدية أصغر من الريال والتومان].

ومع أن أكثر من ثلاثة آلاف شخص من المهاجرين وغيرهم تجرعوا كأس الموت بسبب ذلك القحط وبرودة المناخ والأمراض فارتاحوا من هموم المعيشة وآلام الجوع. إلا أن عموم الفقراء في الولاية اطمأنوا عقب وصول القمح.

وقد تكفل حضرة الأمير بمصاريف تكفين وتجهيز ودفن الموتى من الفقراء من ماله الخاص. وهكذا فقد صرف على ألف وخمسمئة نفر من الضحايا خلال عشرة أيام فقط والحاصل أن تلك السنة مضت على تلك الوتيرة، حتى حل الربيع من سنة ١٢٨٩ للهجرة – على صاحبها ألف تحية وثناء – فهبطت الأسعار إلى درجة أن أحداً لم يعد يلهج بذكر القمح والرغيف.

وفي أواخر تلك السنة، عزم الملك المتوج ناصرالدين شاه الغازي أدام الله سلطنته على السفر إلى فرنسا، فدعا الأمير إلى دار الخلافة طهران لينوب عنه في إدارة أمور السلطنة أثناء غيابه، أما الأمير فقد أسند حكم كُردستان بالنيابة إلى ولده الأمير عبدالعلي ميرزا احتشام الملك، كما فوض أمر الوزارة إلى حاجي ميرزا اسماعيل علي آبادي الذي كان رجلاً كفؤاً.

وبعد أن قفل الملك راجعاً من سفره عائداً إلى مقر السلطنة العظمى وعزل الصدر الأعظم ميرزا حسن خان وهذا مايعرف تفاصيله عموم أهالي إيران، أعاد الأمير إلى كُردستان حيث تم عزله بعد ستة أشهر وتحديداً في شهر صفر من سنة ١٢٩١هـ = ١٨٧٤م فخلفه الأمير طهماسب مؤيد الدولة. وخرج الأمير معتمد الدولة من كُردستان في يوم الأربعاء ٢٨ صفر من تلك السنة.

وقد أرّخت لعزل معتمد الدولة وتعيين طهماسب ببيت من الشعر [لم نترجم البيت الشعري فالتأريخ سيختلف بسبب اختلاف الألفاظ من لغة إلى أخرى... المترجم].

لقد كان نظام إحصاء البيوت معمولاً به منذ قديم الزمان في مدينة سنندج، فقد كان الإحصاء يجري كل سنة في المدينة، ويتم استيفاء مبلغ من المال من

كل بيت حسب قدرة رب البيت. وكان ذلك المبلغ يتراوح عادة بين ألفين إلى خمسة عشرألف ريالاً. ولقد سعى الأمير في تخفيض هذا المبلغ باقتراح من حاجي ملا محمد الذي كان من أتقياء وصلحاء كُردستان.

ومن جهة أخرى كانت الأوزان شديدة الاختلاف في مناطق كُردستان، فسعى الأمير إلى إزالة ذلك الاختلاف فصنع حوالي ألف (مَن) من الحديد، بحيث يبلغ المنّ الواحد تسعمئة مثقال، ووزعها على مدن وقرى كُردستان، وهي التي يتداولها الناس إلى الآن. وبعد مرور سنة على ذلك القحط، أي في سنة ١٢٨٩هـ = ١٨٧٢م قضى كثير من أكابر كُردستان نحبهم بسبب مرض الحصبة والاسهال، كان من جملتهم مولانا أحمد شيخ الإسلام وميرزا نادر مستوفي باشي [كبير عمال الخراج] وأسد الإله خان الوكيل، والسيد لطف الإله ديوان بكي، واسماعيل خان والي زاده، وجمع آخر من الأشراف والأعيان رحم الله معشر الماضين... ولقد كان ذلك مبعث أسف وأسى سائر أهل الولاية. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بيان حكم الأمير طهماسب ميرزا مؤيد الدولة في كُردستان

حالما صدر قرار الملك المطاع [ناصرالدين شاه] بضم حكومتي كُردستان وكرمانشاه وتم تفويض أمرهما إلى الأمير طهماسب الذي كان وقتذاك حاكماً على كرمانشاه، أرسل [طهماسب] الأمير محمد شريف ميرزا إلى كُردستان لنشر الخبر، بينما تهيأ هو للذهاب إليها. حيث وصل دار الإيالة سنندج في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩١هـ = ١٨٧٤م.

لقد كان هذا الأمير عالي الهمة، فاضلاً جواداً كريماً، وأسند امور الرعية في الولاية إلى وزيره ميرزا أرسطو، كما بعث وراء ابنه محمد مهدي ميرزا في همدان ليعينه نائباً له في حكم كُردستان.

وبعد وصول الأخير أسند إليه مهمة الإشراف على تحصيل ضرائب الولاية بعد أن كانت في يد علي أكبر خان شرف الملك بمشورة من وزيره ميرزا أرسطو.

أما طهماسب فقد توجه إلى قلعة شاه آباد في أطراف مَريوان. وبعد ذهابه إلى مَريوان وعودته وتوقفه عدة أيام في سنندج، عاد إلى كرمانشاه. وقد

صرف خلال تلك المدة مايقرب من اثني عشر ألف تومان على شكل عطايا وهبات.

وقد قام محمد مهدي ميرزا في غياب والده العظيم بأعباء الحكم. وهو إلى الآن يتلقى تعليمه في المدرسة ويصرف عمره في اكتساب علوم النحو والصرف والمعقول والمنقول. وبما أنه لم يكن خبيراً في أمور السياسة والحكم انفرط عقد النظام في الولاية حتى امتد الخلل إلى الثغور. وفي هذه الأثناء قام أهالي الولاية المتسمون بالنفاق برفع راية العصيان، فتقاطر العوام الذين هم كالأنعام [الدواب] إلى دار الحكومة متذرعين بذرائع شتى. وقد تقدمت قبيلة (چهار دولي) التي كانت في خدمة محمد مهدي ميرزا، لحمايته ومنع الناس من الوصول إليه ودارت رحى معركة قتل فيها بضعة نفر من أفراد القبيلة المذكورة كما أصيب سبعة إلى ثمانية أشخاص من أهل كُردستان بالجراح، إلى أن حضر أشراف الولاية وأعيانها وقاموا بتفريق الحشد.

ولما وصل هذا الخبر إلى دار الخلافة وعرض على أولياء الدولة، تم عزل الأمير مؤيد الدولة وولده محمد مهدي ميرزا من حكومة كُردستان وكرمانشاه، وعيِّن الأمير إمام قُلي ميرزا عماد الدولة بدلاً منهما.

بيان حكم الأمير إمام قُلي ميرزا عماد الدولة في كرمانشاه وكُردستان

عندما تحرك عماد الدولة من طهران، أرسل في طلب أعيان كُردستان للقاء بهم في همدان، فأسرع كل من علي أكبر شرف الملك وميرزا محمد رضا الوزير مع بضعة نفر آخرين من أهل الولاية إلى همدان لأجل لقائه.

وحال وصول الكُردستانيين، عين الأمير ابنه حشمة الدولة نائباً له في حكومة كُردستان، وعزل شرف الملك وميرزا محمد رضا عن أمر تحصيل الضرائب، ثم توجه إلى كرمانشاه بينما عاد أولئك الأعيان في ركاب حشمة الدولة إلى كُردستان.

ولقد كان الأمير مؤيد الدولة قد زاد سبعة عشر ألف تومان على أصل الضرائب في كُردستان، لكن الشاهنشاه الذي هو ملاذ الدين خفض تلك الضرائب رحمة بالرعية وتحقيقاً للعدل إلى سبعة آلاف تومان فقط أضافها

إلى أصل الضرائب المفروضة سابقاً وأصدر أمراً همايونياً إلى حشمة الدولة لتعديل الضرائب ومساواة كُردستان [بسائر الولايات] وقد نفذ حشمة الدولة ذلك الأمر الهمايوني.

وبعد ثلاثة أشهر ونيف سقط عماد الدولة طريح فراش الموت في كرمانشاه فطلب حضور حشمة الدولة ليبقى بجانبه ساعة احتضاره. ومن جهته فقد عيَّن حشمة الدولة شرفَ الملك نائباً له في حكم [كُردستان] وأسرع إلى [والده المحتضر] في كرمانشاه. وحينما انتقل عماد الدولة إلى دار الخلود تم تعيين شرف الملك من قبل الدولة حاكماً على كرمانشاه.

وفي هذه السنة [١٢٩٢هـ = ١٨٧٥م] تفاقم خطر الجراد في ولاية كُردستان فاضطرب الأهالي وتزلزلوا، كما أن العلماء [علماء الدين الكُرد] ذهبوا إلى دار الخلافة للتشرف بالحضور الهمايوني [أي لقاء الشاه] وقد اختل النظام في كُردستان تلك السنة. وفي شهر صفر من سنة ١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م عين ولاة الأمور في الدولة غلام رضا خان شهاب الملك ابن المرحوم حسين خان نظام الدولة حاكماً على كُردستان.

ولما وصل وفد علماء كُردستان إلى دار الخلافة طهران، خرج شهاب الملك منها متجهاً إلى كُردستان، وبعد أن استقر في دار الإيالة سنندج استوحش شرف الملك من مجيئه، حتى سافر بعد أسبوع إلى طهران مستجيراً بحضرة الأمير عبدالعظيم عليه السلام. وبعد أن تشرف علماء كُردستان باللقاء الهمايوني، حصلوا على الألطاف الملكية فعاد ملا محمد مهدي أمين الإسلام بلقب شيخ الإسلام الذي كان حقاً مكتسباً منذ عهد آبائه وأجداده. كما عاد عمه ملا محمد أمين حائزاً بفخر لقب شيخ الإسلام، كما عادا مع سائر علماء كُردستان بالخلع السنية. وقد كنت أنا الحقير المؤرخ مؤلف هذه الرسالة رفيق طريق أولئك العلماء الكُردستانيين في سفرهم ذاك.

قصة حكم غلام رضا خان شهاب الملك في كُردستان

في غرة ربيع الأول سنة ١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م قدم إلى مدينة سنندج غلام رضا خان شهاب الملك فنزل في حديقة (خسرو آباد) التي تبعد مئتي قدم عن المدينة. وبعد أسبوع انتقل إلى دار الإيالة. وتم تعيين مستوفي الديوان ميرزا

رسول قزويني وزيراً وأسندت إليه مهمات تحصيل الخراج ومعاملات الولاية. وقد كان المشار إليه من جملة أتباع شهاب الملك وكان رجلاً محنكاً خبيراً استطاع الإحاطة في مدة قصيرة بأسرار الحكم.

وقد أعاد شهاب الملك تنظيم ديوان الوزارة بحيث يتمكن من خلال فروعه مراقبة حال الولاية. وكما سبق ذكره فقد ذهب شرف الملك والتجأ إلى جوار حضرة الأمير عبدالعظيم. أما شهاب الملك فقد قام بأعباء الحكم أحسن قيام وأقدم على النظر في أمور الخاصة والعامة وإصلاح أحوالهم. كما أحضر حكام الثغور كافة ومنحهم مايليق بهم ويستحقونه. وأنفذهم واحداً واحداً إلى مقرات أعمالهم راضين شاكرين. وقد قام حيدر بك وكيل مَريوان باعتقال محمد تقي خان بن اسماعيل خان الأردلاني والذي كان شاباً رشيداً يحكم منطقة مَريوان. وأرسله إلى دار الإيالة بأمر من شهاب الملك. وبذلك ساد النظام في أمور الحدود والطرق والشوارع.

ولقد عامل شهاب الملك أهالي كُردستان بمقتضى الأعراف العشائرية، وأظهر كثيراً من البذل والكرم. واعتبر قدوم السادات إليه وخدمته للعلماء غنيمة له. فكان يبلغ غاية السرور والرضا حين يلتئم شمل السادات على مائدة جوده في أوقات الغداء والعشاء. كما كان يرعى النجباء الفقراء من أهل كُردستان غاية الرعاية. ويبالغ في احترام الشعراء والفضلاء. ومع حداثة سنه فقد كانت أعماله الطيبة كثيرة. وحينما عاد علماء كُردستان من طهران إلى الولاية أغدق عليهم وسعى في ترفيههم وتحسين أحوالهم.

وفي منتصف السنة قام جمع من البقالين والبزازين [تجار الحرير] والصعاليك من أهل سنندج بتحريض من بعض الأعيان بالثورة والتمرد ناكرين جمائل شهاب الملك. فاجتمعوا في جوار ضريح الإمام پير عمر سلام الله عليه.

وقد نسب ولاة الأمور في الدولة تلك الحركة إلى شرف الملك واعتقدوا أنه وراء تلك الأعمال القبيحة، ولكن في حقيقة الأمر لم يكن لشرف الملك علم بما يجري بأي وجه من الوجوه بل لم يكن راضياً عن ذلك.

بيان حكم حسام السلطنة في كُردستان وكرمانشاه

في الواقع كانت حكومة كُردستان مسنودة إلى شهاب الملك نفسه من قبل الدولة، أما الأمير حسام السلطنة فقد تم تفويضه للإشراف والمراقبة.

وحينما عاد الأمير من طهران، أتى معه بالوالي خسرو خان ابن الوالي رضا قُلي خان والذي كان رجلاً صادقاً في أعماله وحركاته. كما جاء أيضاً في معيته شرف الملك. وحال وصوله إلى كرمانشاه، أرسل خلعة الحكم حسب أمر أولياء الأمر في الدولة إلى شهاب الملك. لكن شهاب الملك لم يستقبل تلك الخلعة بالاحترام اللائق. ولم يطمئن من عدة وجوه إلى ألطاف الأمير الذي سعى من جانبه إلى زعزعة شهاب الملك والإساءة إليه في باطن الأمر.

وفي الأخير طلب شهاب الملك الاستقالة فوافق عليها أمناء الدولة. وفي العشرة الثانية من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م سافر إلى طهران. ولقد قضى شهاب الملك مدة حكمه في نزاهة تامة. وبنى مهجعين لقادة العسكر وأنشأ التكية الحسينية في كُردستان، وعقد العزم على بناء مهاجع عديدة للقواد في أكثر من موقع حيث تقتضي الضرورة. إلا أن التقدير لم يتفق مع التدبير، وحالما اطلع الأمير حسام السلطنة على رحيل شهاب الملك، أمر بإحضار عموم أهالي كُردستان إلى كرمانشاه حسب مشورة شرف الملك. وفي ذلك الحين كان جمع من أنصار شرف الملك يتواجد في كرمانشاه منهم ملا لطف الله شيخ الإسلام والقاضي ملا علي وغيرهما.

وفي حقيقة الأمر كان شرف الملك يعتبر نفسه الحاكم المستقل بأمر كُردستان، وكانت مشورته باحضار الكُردستانيين إلى كرمانشاه لأجل رفع النفاق من بينهم.

قال المؤرخ:

اجتمعت كلمة عموم أهالي كُردستان من المشايخ والملالي والأشراف والأعيان على مخالفة شرف الملك، لذلك اتجهوا من كُردستان إلى كرمانشاه وكنت ضمن وفدهم فكان العلماء والأشراف يأخذون بمشورتي دائماً. وكان من بين أعضاء الوفد المسافر مستوفي الديوان ميرزا محمد رضا وأخوه

المعتمد ميرزا عبدالغفار، اللذان كانا من ذوي السرائر الحسنة والأصول النجيبة.

وقد ترأس وفد الكُردستانيين كل من الشيخ محمد فخر العلماء وملا محمد مهدي شيخ الإسلام. أما الأول فكان فريد دهره ووحيد عصره في البيان والكتابة والفصاحة والبلاغة والعلوم الرسمية والنظم والنثر بالعربية والفارسية، أما الثاني فقد كان من أجلِّ علماء كُردستان. وحالما اقترب الوفد المذكور من دار الدولة في كرمانشاه اطلع الأمير على الخبر فلم يألُ جهداً عن الترحيب الحار واظهار الاحترام، وفي ذلك الوقت حيث كان قد بقي لعيد النوروز خمسة أيام. كان موكب الأمير في العمادية.

وبعد مراسيم التشريف والترحيب قام الشيخ محمد فخر العلماء وألقى كلمة بهرت الأمير وجعلته مضطرباً مدهوشاً من طلاقة لسانه وفصاحة بيانه. بعد ذلك بادر الشيخ فخر العلماء إلى تعريف الأمير برفاقه واحداً واحداً، حيث حصل الجميع على الألطاف الأميرية، ثم صدر الإذن لهم بالانصراف إلى منازلهم في معسكر ضم أكثر من خمسين خيمة وفي العشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م صادف يوم النوروز لمجلس الأمير مجلساً عاماً للتحية، وتوزع الكُردستانيون على يمين ويسار خيمة الأمير أما أنا فقد أخذت مكاني أمام الخيمة بمعية ظهير الملك الذي كان مخاطب سلام [مبلغ التحيات]. وقد حضر مجلس التحية ذاك ستة آلاف نفر من الكُردستانيين والكرمانشاهيين والهمدانيين والضباط والقواد وأصحاب المناصب وجنود الأفواج. وبعد أن انعقد المجلس وتفضل الأمير بالإذن، تلوت قصيدة لاقت قبولاً واستحساناً من الأمير واعتبر بها السامعون، وخلع علي الأمير بعد تلاوتها ثوباً كشميرياً. وقد سبب هذا الكرم الأميري انزعاج الكُردستانيين المعارضين، وعلى كل حال فقد نال علماء كُردستان وأشرافها عموماً إكرامات الأمير، فقد حصل أبو الفتح ميرزا مؤيد الدولة على خلعة حكومة كُردستان لولده. وجعل ميرزا رضا منشي باشي وزيراً، وبعد ذلك عاد الكُردستانيون في ركاب أبو الفتح ميرزا إلى كُردستان. وعقب وصولهم إلى دار الإيالة في سنندج وصل أمر من الأمير [حسام السلطنة] بذهاب شرف الملك إلى جوانرود، الذي أبدى كثيراً من الإصرار على عدم الذهاب. لكن طلبه رفض

فاضطر إلى الاستعداد للسفر إلى جوانرود. وبعد رحيله، انشغل أبو الفتح ميرزا مؤيد الدولة بمشورة ميرزا رضا باصلاح أمور الحدود والثغور.

وقد عين الأمير حسام السلطنة الوالي خسرو خان حاكماً على سقز وأنفذه إليها، أما سائر مناطق الحدود فقد وضعها تحت إشراف أبو الفتح ميرزا.

ولقد اصطفاني ميرزا رضا الوزير أنا العبد الحقير علي أكبر المؤرخ ففوض إلي أمور الولاية، وقد سارت أمور الولاية في أحسن نظام مدة عامين، لكن مشير الديوان ميرزا يوسف الذي كان في منصب (مستوفي باشي) [كبير موظفي المال والخراج..... المترجم] في ذلك الوقت، تضايق من هذه الأوضاع، فعزم على المضي إلى كرمانشاه والاجتماع بالأمير الذي أنعم عليه بلقب الوزير، ثم أرسل ميرزا رضا الوزير إلى دار الدولة في كرمانشاه وبعد عدة أيام وحسب الفرمان الهمايوني ذهب العبد الخامل الذكر والصيت [المؤلف] إلى دار الخلافة في طهران فاستقل ميرزا يوسف مشيرا لديوان بأمور وزارة كُردستان.

وعلى كل حال ففي تلك الأوقات التي كان فيها ميرزا يوسف وزيراً في كُردستان، أصبح شرف الملك حاكماً في جوانرود وأمضى أيامه في الأسى والحسرة.

وبعد مدة أرسل الأمير في طلبه إلى كرمانشاه، فجاء وتوقف فيها، وفي ذلك الوقت كنت أنا الحقير المؤرخ ومحرِّر هذه الأوراق في دار الخلافة، ونظراً لحسن ظن شرف الملك بي فقد كان يرسل كل أسبوع مع بريد الدولة رسائل فيها تفاصيل عن أحواله. وكنت أسعى في خدمته حسب قدرتي فلم آل جهداً في أي مناسبة أن أغض الطرف عن رعاية مصلحة او طلب خير له. إلى أن وصل إلى أطراف طهران ولما بلغ مسافة ستة فراسخ منها، أرسل في طلبي وبعث رسالة فيها هذا البيت:

لقد تجاوز تحملي واشتياقي الحدود أيها الحبيب

فإن كنت صبوراً فأنا لا طاقة لي على الصبر.

فأسرعت لاستقباله وأدركته في قرية (رباط كريم) وعقب اجتماعنا للتشاور، استقر رأيه على أن أذهب إلى أعتاب قائد الجيش ميرزا حسين خان بدون

علم الأمير حسام السلطنة فغذذت السير إلى طهران واتجهت إلى السپَهسالار الأعظم قائد الجيش.

وبعد أن بذل قائد الجيش ماوسعه من المراحم وسعى في طمأنة شرف الملك، أرسله إلى خدمة الصدر الأعظم ومستوفي الممالك ميرزا يوسف الذي طمأنه من جهته أيضاً، وأرسل يبلغ الأمير حسام السلطنة بما جرى، فأمر الأمير أن يسكن شرف الملك عمارته وبعد انقضاء أسبوع، حيث كان شرف الملك يتمتع يومياً بمظاهر التودد – عزم الصدر الأعظم على إلقاء القبض عليه، فأخبر أولياء الأمور في الدولة بما أضمره في نفسه.

وفي ذلك الوقت كان الموكب الهمايوني في مصايف مازندران. وكان الصدر الأعظم قد أرسل خادمه ميرزا علي خان إلى المعسكر الهمايوني ليحصل على إذن بالقبض على شرف الملك الذي كان غافلاً تماماً عما يُدبَّر له في الخفاء.

وبعد أسبوع عاد ميرزا علي خان حاملاً الإذن بإلقاء القبض، وقد تناهى إلى سمعي خبر تلك الخطة، فقمت تحت جنح الظلام لأتسقّط تفاصيل تلك المؤامرة وأطلع على دقائقها. وبمحض قدرة الله ذهبت أثناء جولتي في الظلام الحالك إلى مكان اجتمع فيه ميرزا علي خان مع ميرزا علي نقي شقيق مشير الديوان، فرأيتهما يتباحثان أمر إلقاء القبض على شرف الملك. وسمعت ميرزا علي نقي يقول: يجب أن يتم إلقاء القبض على شرف الملك هذه الليلة. لكن ميرزا علي خان اقترح القاء القبض عليه صباحاً وأبدى معارضته لتنفيذ الخطة في الليل.

وحال اطلاعي على المؤامرة قفلت راجعاً في غاية السرعة وأخبرت شرف الملك بها، حيث قضينا تلك الليلة في قلق وترقب بالغين ونحن نردد آية (أليس الصبح بقريب). ولما طلعت الشمس إلتجأنا إلى حضرة الأمير عبدالعظيم عليه السلام، وحال وصولنا إلى تلك البقعة المباركة كتب [عبدالعظيم] تفاصيل القضية وأرسلها بالتلغراف إلى حضرة الشاه والمسؤولين في الدولة، إلى أن جاء من عتبات الخلافة العظمى جواب فيه أمر، إلى ميرزا يوسف الصدر الأعظم بالكف عن مضايقة شرف الملك بأي شكل من الأشكال. وقد كان ميرزا عباس خان قوام الدولة الذي هو حالياً وزير الأمور الخارجية حاملاً

الرسالة الخطية المباركة إلى الأمير عبدالعظيم، وهو الذي أعاد شرف الملك إلى طهران.

وأثناء تلك الفترة التي كنت ملتجئاً فيها مع شرف الملك عند الأمير عبدالعظيم، قام ملا محمد باقر شقيق ملا محمد مهدي شيخ الإسلام وكان مقيماً في طهران وبتحريض من ميرزا علي نقي باقتحام منزلي دون علم أهلي وأقربائي واستولى على جميع رسائل شرف الملك التي كانت في حوزتي وسلّمها جميعاً إلى ميرزا علي نقي الذي قام بدوره بتسليمها إلى الأمير حسام السلطنة، وحصل ملا محمد باقر لقاء إغارته تلك على منزلي بمكافأة قدرها خمسة عشر تومناً.

وعندما اجتمع كل من شرف الملك وقوام الدولة بالصدر الأعظم الذي كان يفكر في رأب الصدع الحاصل بين الأمير وشرف الملك، أرسله [أي أرسل شرف الملك] مع قوام الملك إلى حضرة الأمير حسام السلطنة. وحال لقاء شرف الملك بالأمير، أطلعه الأمير على تلك الوثائق التي سلبها ملا محمد باقر من منزلي، فلم يسع شرف الملك أن ينكر كتابته لها، بل وجَّه كلامه إلى الأمير قائلاً في منتهى الجرأة: مادمت تفكر في القضاء علي فإنني بدون شك سأقول أكثر مما قلت وأكتب أكثر مما كتبت.

فكان ذلك آخر حديث يجري بينهما إذ لم يلتقيا ثانية. وقد ظن شرف الملك أنني أنا الذي سلمت الأوراق إلى حسام السلطنة. ولقد حاولت مراراً أن أثبت براءتي ولكن دون جدوى، فكان ذلك سبباً في قطع الأواصر بيني وبينه.

ولم يكن في خدمة شرف الملك شخص عاقل كامل يحمل عنه الأعباء وكان اعتماده علي بالكلية ولذلك فقد تألب علي الخصوم لكي يقاطعني فنجحوا في مسعاهم، لكنني عدت ثانية إلى صداقته.

وفي تلك الأثناء كان أمناء الدولة قد هيأوا جيشاً جراراً بقيادة الأمير حشمة الدولة لأجل دفع فتنة الشيخ عبيدالله[٣٥]. فوقع اختيار ذلك الأمير على

(٣٥) الشيخ عبيدالله النهري: هو ابن الشيخ طه الشمزيني الذي كان الشاه القاجاري محمد والد ناصرالدين شاه قد أقطعه خمس أماكن في منطقة مركور وأجرى عليه راتباً شهرياً قدره خمسمئة تومان، وذلك سنة ١٨٣٦م وعلى هذا فقد كان الناس يعطون خراجهم وضرائبهم إلى =

= الشيخ طه. وفي عهد الشاه ناصرالدين، ألغت الدولة إجراء الشاه محمد وطالبت الأهالي بدفع الضرائب لها وذلك سنة ١٨٧٢م لكن الناس في أورميه وخوي قالوا إننا لاندفع الخراج إلا للشيخ الذي منحه الشاه محمد هذا الحق. ولم يبق أمام إيران إلا أن ترسل الجيش لاستحصال الضرائب بالقوة. أما الشيخ فقد لجأ إلى الباب العالي للمطالبة بحقوقه المشروعة. فأرسلت الدولة العثمانية والي أرضروم إلى طهران لكن الوالي عاد خالي الوفاض من سفارته تلك.

ولقد كان الشيخ عبيدالله فيما مضى قد أسدى خدمات جليلة للدولة العثمانية في حربها مع روسيا سنة ١٨٧٧-١٨٧٨م، واستطاع إلحاق الهزيمة بالروس في بايزيد. فصارت له هيبة خاصة بذلك.

ولقد رغب الشيخ عبيدالله في لفت نظر بريطانيا وكسب تأييدها في تشكيل كيان مستقل للكُرد. فاتصل بشريف مكة وخديوي مصر، حتى أنه أرسل مبعوثاً سرياً إلى القنصلية الروسية في أرضروم حتى يجس النبض الروسي. ونتيجة لهذه المساعي فقد حصل على المعدات وبعض الأسلحة من الانكليز، ولكن المشكلة كانت تكمن في البقعة التي ستنطلق منها رصاصة الانتفاضة هل هي إيران أم تركيا؟ ولعدة أسباب رأى في إيران الأرضية الخصبة لإنطلاقته. فقد كان له أنصار ومؤيدون في منطقة مُكريان (مهاباد وما حولها) مثل حمزه آغا رئيس عشيرة مَنگور.

وفي تلك المنطقة إلتحق كل من بيوك خان ومحمد آغا مامش بجيش الشيخ وفي الثلاثين من شهر أيلول سنة ١٨٨٠ دخلت قوات الشيخ عبيدالله مدينة مهاباد بدون قتال بعد فرار حاكمها الأمير لطف علي خان وأعوانه.

بعد ذلك أراد الشيخ احتلال تبريز، فهاجمت قواته المؤلفة من أبناء عشائر مَنگور مامش، پيران، كورك، زرزا، رمك، فيض الله بگى، دهبكرى، بگزاده، مدينة ميانداوآب التي سقطت في الثاني من تشرين الأول ١٨٨٠م بيد الشيخ وقواته التي بلغ عددها تسعة آلاف من الفرسان وثمانية آلاف من المشاة مع عشرة آلاف من (السپاهى لشكر) [هم الناس الذين يرافقون الجيش لإظهار الكثرة العددية].

وحصلت هناك مجزرة راح ضحيتها ثمانمئة مسلم ومئتا مسيحي وخمسين نفراً من اليهود(١).

لقد كانت أحداث ميانداوآب مؤلمة بحيث أرعبت رؤساء العشائر الذين خافوا من العواقب المستقبلية. وخافوا من إلقاء المسؤولية عليهم. فانفصل عن قوات الشيخ عدد من الجنود وعادوا إلى مواقعهم مع الأسلاب التي غنموها. وكان ماحصل إسفيناً في القوات المنتفضة. ومن جهتها هيأت الدولة جيشاً عظيماً في تبريز من الأهالي والقوات النظامية حيث أدرك أولئك أنهم إن لم يتحدوا فسيلحق بهم مثل ماحصل في ميانداوآب. وفي الوقت الذي كان الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ عبيدالله وحمزة آغا مَنگور في الجبهة الشرقية يتهيأون لدخول (بناب) بهدف احتلال تبريز، فتح الشيخ عبيدالله في غرب بحيرة أورمية جبهة جديدة هدفها تطويق تبريز. وفي سبيل فتح هذه الجبهة الجديدة كان الشيخ عبيدالله قد أرسل الشيخ محمد سعيد وهو أحد خلفائه برفقة أربعة آلاف من رماة البنادق البرادوستيين إلى أورمية، فعسكر الشيخ محمد سعيد بقواته في قلعة اسماعيل آغا(٢) في ١٣ تشرين الأول ١٨٨٠م. أما الشيخ عبيدالله فقد عسكر بقواته =

= المؤلفة من ثلاثة آلاف فارس وراجل من عشائر الهركي وزرزا ودشت بيل من منطقة مرگور في ٢٠ تشرين الأول. وبعد عدة ساعات تحركت قواته باتجاه آبادي وعسكرت في (سن سركيز) جنوبي المدينة. وهناك إلتحقت به قوات الشيخ محمد سعيد فإجتمع بذلك سبعة آلاف نفر حاصروا أورمية.

ولقد طلب الشيخ عبيدالله من أهالي المدينة التسليم وعدم المقاومة. وكان أعيان المدينة من كبار السن قد اجتمعوا واتفقوا على أنهم إن تمكنوا من إلهاء الشيخ ثلاثة أيام فقط فإن النجدة ستأتيهم من تبريز ويرفع عنهم الحصار. لذلك بعثوا إليه رجلين واستمهلوه ثلاثة ايام. فوافق الشيخ على يومين فقط. وخلال هذه المهلة انتهز الأهالي الفرصة وأخبروا حاكم اورمية إقبال الدولة - وكان خارج المدينة - بما يجري. فأسرع الحاكم بالتحرك صوب مدينته. وهنا ادرك الشيخ أن موضوع المهلة كان فخاً وخداعاً وأن أهالي المدينة ليس في نيتهم الاستسلام. لذلك فقد بعث الشيخ محمد صديق(شيخ بوشو) (١) مع ألفي فارس لقطع الطريق أمام إقبال الدولة. كما أمر رضا بك باقتحام أورمية. وكان الشيخ محمد صديق ينتظر إقبال الدولة في بلدة كجين التابعة لمنطقة روضه جاى في أورمية، ولكن إقبال الدولة كان على علم بذلك فاتخذ طريقاً آخر ودخل أورمية ليلة ٢٣ تشرين الأول ١٨٨٠م.

وبعد انقضاء المهلة المقررة، اندفع الشيخ عبيدالله بعسكره العظيم باتجاه المدينة ودب الذعر في قلوب سكانها بينما عقد إقبال الدولة وأعيان المدينة وعلماؤها وعدد كبير من الناس اجتماعاً تبادلوا فيه وجهات النظر. وكان القنصل الانكليزي والطبيب الأمريكي دكتور باكارد(٢) حاضرين في الاجتماع وبذلا مافي وسعهما لإدخال الرعب في القلوب فقالا: إن عسكر الشيخ سيدخل المدينة بعد ساعات وإن لم يستسلم الناس طوعاً فإن أورمية ستلقى نفس مصير ميانداوآب ولكن إقبال الدولة لم يقبل بما قالاه وحرض الأهالي على قتال الشيخ. وفي الأخير اتفقوا على إرسال القنصل الانكليزي مع خمسة من علماء الدين وكبار السن إلى الشيخ ويطلبوا منه امهالهم يومين آخرين (حسب ويليام ايگلتن أن الذي ذهب مع وفد التفاوض هو الطبيب باكارد وليس القنصل الانكليزي - ج.د). وعندما مثّل أعضاء الوفد بين يدي الشيخ. أدرك أنهم إنما يطلبون المهلة لوصول الامدادات من تبريز فلم يوافق إلا على بضع ساعات.

وقد نصح القنصل الانكليزي والطبيب الأمريكي مرة أخرى الأهالي بالاستسلام لكن إقبال الدولة زاد من تحريضه للناس على المقاومة.

وقبل أذان المغرب اندفع الشيخ بقواته للهجوم على أبواب المدينة، فلقي مقاومة عنيفة من المدفعية. ولم تتمكن قوات الشيخ من اقتحامها.

وفي يومي ٢٥، ٢٦ اكتوبر ١٨٨٠، رفرفت الراية البيضاء فوق منزل منصور باشا القنصل العثماني، كما رفرفت راية بريطانيا فوق منزل القنصل البريطاني واستطاع الشيخ محمد صديق الوصول إلى بوابة المدينة لكنه انسحب بعد ذلك. ولقد بعث الشيخ رسالة ودية إلى إقبال الدولة يطلب منه فيها الاستسلام، ولكن إقبال الدولة بيّن رفضه في رسالة جوابية فيها الكثير من الاحترام للشيخ. وفي ٢٧ اكتوبر اشتدت المعارك ودافع كل طرف عن مواقعه. في حين نفد البارود في معسكر الشيخ فتراجع قليلاً. =

الملك الذي أعلن رفضه الاشتراك في الحملة. لذلك طلبوه إلى مجلس الشاه ليمنعوه من الذهاب بأمر ملكي.

وعندما تشرف بحضور شاه إيران، بادر الشاه بالسؤال عن الشيخ عبيدالله

= وبعد كرٍّ وفرّ دب الملل في صفوف قوات الشيخ، ولما وجد القنصل الانكليزي الضعف في قوات الشيخ عبيدالله، خرج من أورمية وذهب عن طريق مهاباد إلى بناب، والتقى هناك بقواد القوات الحكومية. وانكفأت قوات الشيخ وعسكرت في جبل (سير). وتبودلت الرسائل بين الشيخ واقبال الدولة دون فائدة تذكر وفي الثالث من تشرين الثاني وبعد صلاة الصبح بدأ الهجوم مرة أخرى. ولكن بما أن سكان أورميه أيقنوا أن الإمدادات باتت قريبة الوصول، فقد انتعشت آمالهم وقويت شوكتهم.

ومع حشد إيران لمزيد من قواتها، تراجع الشيخ خاصة بعد أن انسحب بعض من رؤساء العشائر بقواتهم وتركوا الشيخ عبيدالله لمصيره... وبعد مناوشات عديدة سقطت مهاباد بيد الإيرانيين، فانسحب الشيخ مضطراً إلى جهة الحدود التركية يوم الجمعة ١٢ تشرين الثاني ١٨٨٠م. حيث قام الايرانيون بالانتقام فسلبوا ونهبوا الكُرد السنة الذين تاهوا في مناطق الحدود وقضى بعضهم نحبه جوعاً وعطشاً. وفي تلك الأثناء توجه الشيخ هداية مع ستمئة نفر إلى أورمية ليعلن دخوله في المذهب الشيعي.

وبعد الهزيمة العسكرية التي مني بها الشيخ عبيدالله، أراد أن يعيد الكرة ويطلب العون من العثمانيين، وهكذا أرسل إلى الشيخ عن طريق "وان" ٣٨ صندوق من البنادق نوع هنري مارتين واثني عشر صندوقاً من الرصاص وثمانية صناديق من قذائف المدفعية. ولكن، هذه المحاولات كلها باءت بالفشل أمام ضغوط الإيرانيين المدعومين من الروس والانكليز. فنتيجة لتلك الضغوط على العثمانيين تم اعتقال الشيخ في اسطمبول في تموز ١٨٨٢ فهرب من سجنه لكنه اعتقل ثانية ونفي إلى مكة المكرمة... عن طريق الموصل فالاسكندرية فبيروت... حيث توفي في نفس السنة في مكة المكرمة (١).

من خلال دراستنا لظروف حركة الشيخ عبيدالله النهري، نخلص إلى القول أن تلك الحركة لم تكن حركة قومية صرفاً، بقدر ماكانت حركة رجل دين كبير جرى استغلاله من قبل العثمانيين لتحقيق مآرب خاصة. ويمكن أن نعدد من أسباب قيام ثورة الشيخ عبيدالله مايلي:

١- السبب الاقتصادي: فقد الشيخ عبيدالله النهري الأموال التي كانت تأتيه من إقطاعات والده الشيخ طه الشمزيني. بسبب قرار ناصرالدين شاه القاجاري.

٢- السبب المذهبي: كان الكُرد في إيران في العهد القاجاري يتعرضون للمضايقات بسبب كونهم كُرداً أولاً وسنة ثانياً. وقد تعرض سكان مهاباد [ساوجبلاغ سابقاً] لكثير من الإرهاب والإهانة. ومنهم فيض الله بك ومينا آغا، حيث أدينا بتهم باطلة وغُرما بمبالغ طائلة. كما أن حمزة آغا أيضاً تعرض للإهانة فلحق بقوات الشيخ عبيدالله النهري وشرح له تعديات الفرس بحق الكُرد السنّة (٢).

٣- التناقضات الدولية: بدأت إيران انفتاحها على الغرب الاستعماري في عهد ناصرالدين شاه، فازداد التغلغل الأجنبي في إيران... وأراد العثمانيون أن يستغلوا ضعف القاجاريين فقاموا بدعم حركة الشيخ عبيدالله التي فشلت لأسباب عديدة منها تواطؤ الدول الاستعمارية ومحاولتها إبقاء إيران في موقع الضعيف حتى تتمكن من تحقيق أهدافها.

قائلاً: مَن هو هذا الشيخ وماذا يعمل وما هي غايته، [استعمل الكاتب هنا مثلاً فارسياً ترجمته الحرفية هي: أي حطب في أي غابة] فأجاب شرف الملك الذي كان يتحين مثل هذه الفرصة دائماً: إنه من الدراويش: وإذا تلطَّف الشاه وعطف على هذا الخادم [يقصد شرف الملك نفسه] فإنه سيفرِّق جمعه وأتباعه، وبفضل الله وحسن طالع جلالة الشاهنشاه، سيأتي به أسيراً دون أن تتضرر الدولة أدنى ضرر، وذلك بمساعدة جيش كُردستان. وهكذا سيلقى [الشيخ] جزاء أفعاله. ثم أنشد هذا البيت:

لايستطيع صيد ثعالب مازندران إلاّ الكلاب المازندرانية

وقد سُرَّ الملك المتوج بكلام شرف الملك واقتنع بتعهداته، ففوض إليه أمر حكومة كُردستان وقيادة فوج الظفر، وأمر الصدر الأعظم ميرزا يوسف قائلاً: يجب إعطاء خلعة الحكومة إلى شرف الملك غداً، ثم تعهد بأمر سفره من طهران [إلى سنندج]. قال المؤرخ:

لقد كنت جالساً لدى الحاجب بانتظار عودة شرف الملك، حينما ظهر فجأة برفقة الصدر الأعظم، وأسرع يزف إلي البشرى بما أنعم به الشاه عليه.

وحال وصول الصدر الأعظم إلى منزله اتصل عن طريق التلغراف بأبي الفتح ميرزا مؤيد الدولة حاكم كُردستان وأخطره بالأمر، كما أبلغ أهالي كُردستان ببدء حكومة شرف الملك. وفي الحال أمر ميرزا حسن كبير محرري الفرمانات بكتابة فرمان حكم كُردستان باسم شرف الملك، في الوقت الذي صدر أمر من الخلافة العظمى على لسان أحد كبار الخاصة في البلاد بذهاب شرف الملك إلى مبنى التلغراف لابلاغ أهالي كُردستان بالفرمان. فأسرع شرف الملك إلى مبنى التلغراف، ولقد كتبت بخط يدي مايقرب من ثمانين برقية إلى أفراد من كُردستان، وبعد تحرير وكتابة تلك البرقيات عدنا قانعين مسرورين إلى محل إقامتنا، ولقد جرت هذه الوقائع في شهر ذي القعدة من سنة ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م وعندما شاع الخبر في سنندج، اضطرب ميرزا يوسف مشير الديوان وأعمامه وإخوانه وتباحثوا فيما بينهم هذه القضية ساعين إلى إيجاد مخرج لها.

وكمخرج للأزمة بادر الأمير أبو الفتح ميرزا مؤيد الدولة يرافقه علماء

وأشراف الولاية إلى زيارة مبنى التلغراف، حيث أظهر الجميع رفضهم لحكومة شرف الملك مؤكدين [للدولة] بواسطة التلغراف بأن أرواحهم وأموالهم وأرواح أولادهم وأحفادهم مهدورة إذا وطئت قدما الشيخ عبيدالله وأقدام أتباعه أرض كُردستان سنندج.

أما في دار الخلافة فقد أسرع أعوان الأمير حسام السلطنة الذي كان يستعد لزيارة بيت الله الحرام، إلى ميرزا عبدالوهاب آصف الدولة الذي بادر بالإسراع إلى لقاء الشاه قائلاً له: إن تسليم أمر حكومة سنندج إلى شرف الملك سيجلب الضرر للدولة، فالشيخ عبيدالله زعيم الكُرد [المنتفضين] وقد تجاسر على فعل كهذا [دخول إيران]، ومن يعلم أن ذهاب شرف الملك إلى تلك المنطقة الحدودية لن يثير لديه الحمية الكُردية فيتحالف مع الشيخ عبيدالله وينضم إلى معسكره ؟!

وبعد أن أصغى الشاه إلى حديث آصف الدولة استحسنه وصدَّق أقواله، وقد ترافق لقاء الشاه وآصف الدولة مع وجود شرف الملك في البلاط الشاهاني لإرتداء خلعة الحكومة.

وبما أنني كنت مستشار شرف الملك فقد تابعت مسألة عدم وصول خلعة الحكومة وغياب آصف الدولة ومباحثاته مع أعوان حسام السلطنة، فأبديت شكوكي لشرف الملك. وعندما كنا نتحادث، خرج الشاهنشاه لاستعراض الجيش والأفواج إلى ميدان المدفعية. وكنت أنا وشرف الملك في طريق عبور الشاهنشاه الذي عندما سار بمحاذاة شرف الملك لم يلتفت إليه، ولم يعبأ بوجوده أبداً، فانقلبت شكوكي يقيناً، وحينها عاد شرف الملك إلى الصدر الأعظم. وبعد فاصل ساعة من الزمن جاء الصدر الأعظم يرافقه قوام الدولة حيث أبلغا شرف الملك بقرار عزله عن الحكومة. فعاد شرف الملك مع أعوانه ورفاقه في حالة الإحباط واليأس إلى منازلهم.

وبعد عشرين يوماً على هذه الحادثة، وحسب طلب مؤيد الدولة، صدر الحكم الهمايوني بذهاب شرف الملك وأصحابه إلى خراسان، وبعد استخارات واستشارات عديدة ومتنوعة استقر رأينا على أن نذهب لاجئين إلى مضافة أنيس الدولة حرم الشاهنشاه، حيث قضينا عندها سبعة وعشرين يوماً في

غاية الإعزاز والاحترام. ثم كتبت أنيس الدولة كتاباً مباركاً أمرت فيه بضم شرف الملك إلى الركاب الهمايوني ومنع التعرض له.

وبعد أربعة أشهر، أي في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٨هـ = ١٨٨٠م وحينما حاز محمد رحيم خان علاء الدولة لقب أمير النظام وتسلم مقاليد حكومة أذربيجان، اختار لمرافقته إليها بضعة رجال كان من جملتهم شرف الملك، والذي عاودته مرة أخرى أفكار شتى كرَّهت ذلك السفر إلى نفسه، لكنني أقنعته أخيراً، فعزمنا على الرحيل إلى أذربيجان مع أمير النظام وقد نسي شرف الملك كل جهودي فأبقاني في طهران. أما هو فقد أصبح حاكماً على أردبيل.

هذا وحسب الإرادة الملكية فإن ولي العهد الأمير ظل السلطان قد خلع الأمير أبو الفتح ميرزا مؤيد الدولة عن حكومة كُردستان وكرمانشاه، وأعاد تنصيب الحاكم محمود خان ناصر الملك وهو من رؤساء عشيرة (قره كوزلو) في همدان ومن الرجال المجربين في الدولة الخالدة.

ذكر حكومة محمود خان ناصر الملك في كُردستان وكرمانشاه

تحرك ناصر الملك من طهران متوجهاً إلى كُردستان، ولما ورد دار الإيالة استقبله الأهالي ولما استراح من عناء السفر، وتعرف على أحوال أشراف واعيان الولاية، أسند أمور الخراج بفروعها وأصولها في الولاية. إلى ميرزا يوسف مشير الديوان. وعينه وزيراً ونائباً له، ثم شد الرحال إلى كرمانشاه دون أن يصدر قراراً في أي أمر، أو يتدخل في أي شأن من الشؤون. فقام ميرزا يوسف مشير الديوان بأمور الخراج والحكومة. يقول المؤرخ:

وإن كان هذا الرجل العظيم في تلك السنة لم يعرني أدنى اهتمام ولم يظهر لي أي ود ومحبة، كما لم أعمل في معيته بأي شكل من الأشكال، إلا أن من الإنصاف ان نقول: إن ميرزا يوسف قام بعمله في جباية الضرائب على أكمل وجه وبكفاءة تامة وعامل الأهالي في الولاية بتعقل وحكمة.

وبعد أن انصرفت ثمانية أشهر، أي في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٠هـ = ١٨٨٢م اجتمع معظم أهالي كُردستان من العلماء والأشراف والتجار برئاسة

الشيخ محمد جسيم صدر العلماء وملا لطف الله شيخ الإسلام، وذهبوا إلى مبنى التلغراف ليشكوا ميرزا يوسف إلى السلطات العليا.

ووردت إلى حضرة ظل السلطان من الفريقين شكاوى كثيرة، فاضطر آخر الأمر لإرسال مصطفى قُلي خان إلى كُردستان لأجل رفع الفتنة ودفعها. حيث خمدت نيران الثائرين قليلاً بعد وصوله، إلا أن خيط العداوة لم ينقطع بين الفريقين. وقد بعث ظل السلطان في طلب كل من ملا لطف الله الذي تزعم أحد الفريقين، وميرزا يوسف الذي تزعم الفريق الآخر إلى أصفهان.

كما تحرك إقبال الملك من طهران إلى همدان، حيث اجتمع إليه أنصار كل من الفريقين المتخاصمين الذين أسرعوا إلى استقباله، ليطلبوا منه اقناع ظل السلطان بالعدول عن طلب إحضار ملا لطف الله وميرزا يوسف إلى أصفهان. فنقل إقبال الملك هذا المطلب وعرضه على ظل السلطان فقبله، وعاد زعيما الفريقين حين وصلهما الخبر أدراجهما وهما على بعد فرسخين من المدينة.

قصة نيابة ميرزا محمد خان إقبال الملك ابن ميرزا بابا حكيم باشي

وصل إقبال الملك في شهر رجب من سنة ١٣٠٠هـ = ١٨٨٢م إلى دار الإيالة في سنندج، وكان أثناء ذلك قد عاد علي أكبر خان شرف الملك من أذربيجان إلى طهران بعد أن حكم أردبيل. فطلب إقبال الملك من ظل السلطان أن يرسل شرف الملك إلى كُردستان فلبى طلبه.

وحينما استراح إقبال الملك من عناء السفر، انصرف إلى النظر في أمور الولاية، فقام باسناد شؤون الخراج بكفالة ملا لطف الله إلى سليمان خان ابن شرف الملك وجعله وزيراً في الدولة بدلاً من والده شرف الملك.

وفي السنة الثانية من حكم إقبال الملك أي سنة ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م تم تعيين ميرزا يوسف مشير الديوان وزيراً، وأسندت إليه أمور الخراج.

وفي تلك السنة اعتدى رجل من عشيرة تيلكوئي على فتاة من نساء عشيرة گلباغي (وهاتان العشيرتان من العشائر الكبيرة في كُردستان).

ووصل الخبر إلى مسامع والد الفتاة ورئيس العشيرة الگلباغية كدخدا

حسن، فتم جمع ألفي فارس وراجل من العشيرة وأقرباء الفتاة وأهلها. وأغاروا ليلاً على عشيرة تيلكوئي الغافلة عما كان يحدث، وعندما شعر رجالها بالخطر يدهمهم، كان المغيرون قد انتهوا من أعمال القتل والنهب وهتك الأعراض وانصرفوا إلى السبي. ولما لم يجد أفراد عشيرة تيلكوئي فرصة في الدفاع عن أنفسهم لاذوا بالفرار بعد أن قتل في الغارة رئيس عشيرة تيلكوئي كدخدا عثمان مع أحد أبنائه وخمسة عشر رجلاً آخرين. كما أصيب العديد منهم بالجراح.

وبعد أن انتهى الگلباغيون من غارتهم وسلبوا ونهبوا عادوا إلى منازلهم. وقد التجأ رجال عشيرة تيلكوئي إلى سيف الدين خان بن عزيز سردار في ساوجبلاغ [مهاباد الحالية]، فقد كان رئيس العشيرة المقتول كد خدا عثمان عماً لأم سيف الدين خان.

وقد قام سيف الدين خان بابلاغ مسؤولي الدولة القاهرة بالحوادث كما جرت، فأسندت الدولة أمر الانتقام من عشيرة گلباغي إلى إقبال الملك، كما صدر الأمر إلى سيف الدين خان، بارسال رجل أمين من طرفه إلى كُردستان، والبتّ في أمر تلك القضية حسب الأعراف والعادات المتبعة في ولاية كُردستان حتى لاتذهب دماء المقتولين من عشيرة تيلكوئي هدراً. وبموجب أمرين صادرين بالتلغراف من حضرة ولي العهد والصدر الأعظم، تقرر تكليفي بهذه المهمة، وكنت وقتها كبير الكتاب لدى سيف الدين خان بن عزيز خان، فسافرت في شهر ذي القعدة من سنة ١٣٠١هـ = ١٨٨٣ م من مُكري إلى سنندج.

وبعد مداولات كثيرة تم حقن الدماء حسب الأعراف العشائرية بمقتضى رأي إقبال الملك وميرزا يوسف مشير الديوان. وتم الفصل في أمر ديات القتلى والجرحى، فأعطي مبلغ ألف وستمئة تومان بالإضافة إلى فتاتين من عشيرة گلباغي إلى عشيرة تيلكوئي. بالمقابل فقد دفع مبلغ أربعة آلاف تومان إلى عشيرة گلباغي، وبعد انتهائي من مهمتي عدت إلى منطقة مُكري.

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م استدعى ظل السلطان كلاً من اقبال الملك وميرزا يوسف مشير الديوان إلى أصفهان، حيث تم عزل إقبال

الملك وعين الأمير احتشام السلطنة حاكماً لكُردستان بدلاً منه. وفي شهر شعبان المعظم سنة ١٣٠٢ هـ وصل احتشام السلطنة بمعية ميرزا يوسف إلى سنندج.

ذكر حكومة ابراهيم ميرزا احتشام السلطنة في كُردستان

كان هذا الأمير ضعيفاً عديم الحيلة، مما أدى إلى إحداث خلل في أمور الولاية فاستغلت عشيرة الجاف الشريرة ضعف هذا الأمير وقامت بغزو كُردستان، ولم تتورع عن سفك دماء الفقراء والمساكين ونهب أموالهم. وتمكن الغزاة الجاف من نهب أكثر من مئة ألف تومان من اموال رعايا كُردستان. كما أن عشيرة تيلكوئي استغلت الوضع فرفعت راية الطغيان بغية الانتقام من عشيرة گلباغي، فقامت بغارة ليلية وقتلت ابن كد خدا حسن رئيس عشيرة گلباغي واسمه جواد. كما قتلت وجرحت نفراً آخرين، وأعملت السلب والنهب في أموال تلك العشيرة ومواشيها.

وعندما وصل الخبر إلى ظل السلطان، قرر القضاء على عشيرة تيلكوئي قضاءً مبرماً، فكتب احتشام السلطنة حسب مشورة ميرزا يوسف إلى حاكم منطقتي مَريوان وأورامان ميرزا عبدالغفار خان بجمع رجال من مَريوان وأورامان وبانه وسقز تحت لوائه آمراً إياه بالقضاء على تلك العشيرة، كما صدر أمر إلى حاكم بانه وسقز بطاعة ميرزا عبدالغفار والعمل تحت إمرته.

وبعد تلقي الأوامر، جمع عبدالغفار خان حوالي ألف من رماة البنادق المَريوانيين كما أبلغ حاكم بانه وسقز بضرورة حضورهما ليلة الأربعاء إلى ضفة نهر خورخوره التي تبعد فرسخاً واحداً عن مواقع عشيرة تيلكوئي. فنفذ الحاكمان الأمر، وحضرا إلى الموقع المذكور للانضمام إلى عبدالغفار خان. ثم قام الجميع بالاغارة ليلاً على العشيرة المذكورة وأعملوا فيها السلب والنهب والقتل والأسر. وتمكن الناجون من تلك العشيرة من الالتجاء مرة أخرى إلى ساوجبلاغ [مهاباد] والاحتماء بسيف الدين خان بن عزيز خان[٣٦]. الذي

(٣٦) عزيز خان: أحد الأعلام المشاهير في إيران على عهد القاجاريين ينتهي نسبه إلى قباد بك بن =

تلقى أمراً من الدولة بارسالهم مخفورين إلى كُردستان. فامتثل سيف الدين خان للأمر وأرسل اللاجئين بمعية محمد بك إلى كُردستان.

وعلى كل حال فإن ظل السلطان لما رأى عدم قدرة احتشام السلطنة على ضبط الأمور في حكومة كُردستان، عزله في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م وأسند حكومة كُردستان مرة أخرى إلى إقبال الملك الذي حضر إلى كُردستان ووصل دار الإيالة سنندج في غرة شهر رجب من السنة ذاتها.

قصة نيابة ميرزا محمد خان إقبال الملك ابن ميرزا بابا حكيم باشي

بعد أن وصل المذكور إلى سنندج، ناط أمر الوزارة إلى علي أكبر خان شرف الملك. وعين رئيس عشيرة باباجاني حبيب بك حاكماً على جوانرود. وأرسل في طلب حاكم سقز مجيد خان وحاكم بانه يونس خان، فحضرا إلى المدينة، حيث زج بيونس خان في السجن، بينما بالغ في إكرام مجيد خان وأعاده إلى مقر حكومته.

ولقد غرَّم يونس خان بمبلغ من المال، فالتجأ إلى جماعة من كبار تجار كُردستان ليضمنوا تعهداته بتحصيل الضرائب في بانه وضبط الحدود. حتى سمح له بالعودة.

وفي تلك السنة، وبهدف دفع غائلة عشيرة الجاف، وفد إلى كُردستان بأمر ظل السلطان فوج من المشاة وثلاثمئة فارس وبطاريتا مدفع مع خمسين من

= الشيخ حيدر المُكري، توفي في تبريز أواخر عام ١٢٨٧هـ كتب على شاهدة قبره بخط جميل هذه العبارات:
هو العلي العزيز، هو الحي الذي لايموت. قد استقر في روضة من رياض الجنان متمسكاً بحب عترة سيد الإنس والجان، مترنماً بما تضمنه التبيان: عمدة أمراء آذربايجان الملقب بسردار كل عزيز خان في ١٩ شهر شوال ١٢٨٧هـ. ق وقد ترك وراءه ثلاثة أولاد هم: علي خان، حسين خان، سيف الدين خان.
وقد حكم سيف الدين خان بعد وفاة والده وشقيقه علي خان مدينة مهاباد حتى سنة ١٣٠٩هـ ثم خلفه ابنه محمد حسين خان الذي كان أميراً عاقلاً مؤرخاً شهماً شجاعاً، واستشهد في مراغه سنة ١٣٣٤هـ= ١٩١٥م على يد الأمراء العثمانيين وكان له ابن اسمه علي خان سردار مات بائساً شريداً فانتهت بذلك عائلة عزيز خان(١).

رجال المدفعية. فأقاموا في معسكر حدودي. وبلغت تكاليف وجبات الجنود والأعلاف، وأجور حمل ونقل مستودعات الأسلحة وحاجات المعسكر اكثر من السنوات السابقة. ولكن تلك القوات تمكنت من بث الأمن والهدوء على طول الحدود.

وفي أواخر تلك السنة، ضاق علماء كُردستان ذرعاً بإقبال الملك، فقرر كل من الشيخ محمد جسيم صدر العلماء وملا عبدالرزاق أمين الإسلام والشيخ محمد رضا أمين الشرع وجماعة أخرى من أهل العلم والملالي السفر إلى أصفهان. فغادروا سنندج ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م. ولدى وصولهم إلى أصفهان استقبلوا بحفاوة بالغة من أعوان ظل السلطان، وعلى العموم فقد نزل وفد العلماء ذاك في بيت مشير الملك، ثم استضافهم ظل السلطان. وبعد أربعة أشهر قام وفد آخر من علماء وأشراف كُردستان بزيارة أصفهان ترأسه ملا صالح فخر العلماء الذي هو من العلماء الأجلاء في كُردستان، وكان في غاية الزهد والتقوى، وكان من جملة زعماء الوفد أمان الله خان الوكيل الذي يعتبر من أرباب الفضل، ومع حداثة سنه فقد كان كثير الكياسة والعقل والفراسة.

ولقد عاد الشيخ محمد جسيم صدر العلماء بلقب حجة الإسلام، بالإضافة إلى حصوله هو وأتباعه والمشايخ الذين معه على مبلغ ثمانمئة تومان فعادوا راضين مسرورين إلى كُردستان.

وكان ملا عبدالرزاق أمين الإسلام المطالب بلقب شيخ الإسلام حاضراً في أصفهان وأثناء تحرك حجة الإسلام من أصفهان، كان ملا محمد صالح فخر العلماء ورفاقه في مدينة قم منتظرين إذن ظل السلطان بتحركهم إلى أصفهان، حيث حصلوا عليه بعد مدة فوصلوا أصفهان ونالوا ألطاف نجل الشاهنشاه. وكانت غاية الجميع من سفرهم ذاك عزل اقبال الملك.

وبعد مرور ثلاثة أشهر طلب ظل السلطان حضور ملا لطف الله شيخ الإسلام أيضاً الذي أجاب الدعوة فقصد أصفهان عن طريق العراق في الرابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م وبعد وصوله واستقراره دعا الأمير الأعظم ظل السلطان علي أكبر خان شرف الملك أيضاً. فقصد

أصفهان في أوائل شهر ربيع الأول من سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م.

وفي تلك السنة قرر إقبال الملك تعيين ميرزا يوسف مشير الديوان وزيراً في الولاية، وكان قد عزله فيما مضى. وكان ميرزا يوسف يلقب بالوزير، فنال شرف لقب (مشير الديوان) في أواخر سنة ١٣٠٤هـ، وإنصافاً نقول إن هذا الرجل يستحق امتيازات أكثر مما نالها وعلى أي حال وفي ليلة السابع عشر من ربيع الأول من سنة ١٣٠٥هـ التي صادفت ليلة مولد حضرة صاحب الرسالة صلاة الله وسلامه عليه. وحسب برقية بالتلغراف تم عزل إقبال الملك عن حكومة كُردستان. كما تم ضم حكومة كُردستان إلى حكومة كرمانشاه، وأسند الأمر إلى محمد حسين خان حسام الملك من رؤساء عشيرة قره كوزلو الهمدانية، لكن إقبال الملك أخفى أمر عزله، فجلس في اليوم التالي للعيد [عيد المولد النبوي] واقام المراسم المتبعة، ثم كشف الأمر في آخر ذلك اليوم. وقد قام حسام الملك بابلاغ ميرزا يوسف بخبر تسلمه مقاليد الحكم ثم أسند الأمر إليه فور وصوله. وبعد أن سافر إقبال الملك إلى طهران. توجه حسام الملك عن طريق كليائي إلى كُردستان فأرسل ميرزا يوسف أحد أتباعه من حكام اسفند آباد لاستقبال حسام الملك. حيث هب ذلك الرجل لاستقبال حسام الملك وهو في حالة سكر، ولما اكتشف حسام الملك أمره أصدر أمراً بتأديبه وضرب قدميه بالعصي خمسمئة ضربة ثم وضع القيود في يديه وألقى به في السجن.

وعندما شاع هذا الخبر في كُردستان دب الذعر في قلوب الناس. ووصل حسام الملك إلى دار الإيالة سنندج في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني.

ذكر حكومة محمد حسين خان حسام الملك القره كوزلي الهمداني

عندما وصل حسام الملك إلى دار الإيالة سنندج في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني، ألصقت على وجه السرعة مناشير على كافة الطرق والمعابر تدعو إلى قيام كل فرد له شكوى من أحد ما بالقدوم إلى دار الحكومة دون خوف، فتقاطر الناس أفواجاً من جميع أنحاء الولاية، ومعهم أكداس من عرائض الشكاوى وطلب الانصاف. وقد جلس حسام الملك بنفسه للنظر في العرائض المقدمة إليه، ويقول المؤرخ: لقد كنت حاضراً ومراقباً للوضع أيام حكمه، ولم

أجد مطلقاً أن مجلسه خلا من المتقدمين للشكوى، فاستبدت بي الحيرة وتساءلت: ترى أين كان يثوي هؤلاء الشاكون كل هذا الوقت؟

وبعد سبعة أو ثمانية أيام خلع على ميرزا يوسف خلعة الوزارة بعد أن قبض منه مبلغاً من المال، وأمر بتوزيع مناشير ولصقها على جدران المساجد والبيوت منع بموجبها الناس من التدخل في شؤون الولاية، ودعاهم إلى الذهاب إلى مجلس الحاكم لإخباره بمطالبهم شخصياً.

ومن تلك المناشير تم كشف ماكان محجوباً عن الناس، وللمرة الثانية أحس الناس بحقوقهم وأحوالهم. وخلال تلك المدة قطعت أيدي ورؤوس بعض اللصوص وأرسل حسام الملك رسولاً من لدنه إلى بانه وسقز لاحضار حاكميهما. وأطلق العنان لنفسه في حكم كُردستان بالطريقة التي يشاء مدة شهرين. وفي الشهر الثالث أي جمادى الآخرة سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م وبموجب الإرادة الشاهانية السامية تم عزل الأمير الأعظم ظل السلطان [ولي العهد] عن جميع الولايات التي كانت تحت إمرته وإدارته. وبالتالي تم عزل الحكام الذين نصبهم ظل السلطان وهكذا عزل حسام الملك عن حكومة كُردستان فعاد إلى حكم كرمانشاه بعد أن قضى في حكم كُردستان شهرين وعشرة أيام.

لقد كان حسام الملك رجلاً عالي الهمة، محباً للعدل، وكان يشرف بنفسه على إدارة شؤون الولاية جملة وتفصيلاً. ولما عزل عن حكومة كُردستان، تم بموجب أمر جلالة الشاه تنصيب ميرزا ابراهيم خان نوري نظام الدولة حاكماً على كُردستان، حيث قدم في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٥هـ إلى كُردستان من طهران، وفي الثاني عشر من شهر رجب المرجب [المعظم] حل في دار الإيالة بسنندج. ولقد كتبت بالتفصيل ذكر أحواله وترقياته في دولة ايران العلية في كتابي (تاريخ الكُرد). وبما أنني ألّفت الحديقة الناصرية في شكل مختصر، فإنني سأكتب لمحة موجزة عن حكومته.

ذكر حكومة محمد إبراهيم خان نظام الدولة في كُردستان

عندما وصل نظام الدولة إلى سنندج، افتتح عهده بمعاملة الأهالي الأذلة

والأعزة بالعطف والمودة والرحمة، وقد سُرَّ الأهالي بحسن أخلاقه ومعاملته. وبعد مرور أسبوع أعاد منصب وزارة المالية إلى ميرزا يوسف.

وبعد بضعة أيام حيث كان الناس في الولاية يأملون سنا نوره أكثر من حر ناره ظهر في الشوارع والطرقات رجال أشرار وقاموا بأفعال تناقض المدنيّة. ولغاية بث النظام في الولاية قام نظام الدولة بالقبض على سبعة من أولئك النفر الأشرار الذين ارتكبوا مختلف الفظائع فقطع أياديهم وأرجلهم وآذانهم، كما قبض على ثلاثة رجال مشهورين باللصوصية، وحفر آباراً في طرف المدينة ودلاهم فيها. وهكذا تم تثبيت أركان النظام في كامل ولاية كُردستان.

وقد كان حال نظام الدولة أيام حكمه على خلاف المعتاد من الحكام السابقين. ففي حين كان أسلافه من الحكام يهتمون بمظاهر الأبهة والجلال ويملؤون قصورهم بالخدم والحشم والحجاب من الشرطة التي تفرق الجموع مما أدى إلى استحالة وصول أصحاب الشكاوى إلى القصر لعرض مطاليبهم مباشرة على الحاكم، كان نظام الدولة يخرج معظم الأحيان لوحده من دار الحكومة ويذهب إلى الأسواق راجلاً أو راكباً ويخالط الناس فيحادثهم ويستمع لشكاويهم حتى حار الناس في الولاية في أمره.

وفي حين كان الحكام السابقون ينظرون إلى الدعاوى الشخصية على أنها دعاوى المجتمع برمته فحالوا دون تحقيق المطالب، كان نظام الدولة ينظر إلى الدعاوى العامة على أنها دعاوى أفراد.

وفي حين كان الحكام السابقون يقومون كل سنة بكتابة لوائح وقوائم مزيفة بالتكاليف والمصاريف تحت مختلف الأسماء ويقدمونها للدولة، كان نظام الدولة قد نأى بنفسه عن هذه العادة وبقي طاهر الذيل من تلك الرذيلة.

وفي السنة الثانية من حكمه قام بتعمير قاعات دار الحكومة التي طالتها يد الخراب والفناء، وعين لكل ثغر من الثغور [نقاط الحدود] حاكماً كفؤاً. ومع أنه كان قد طوى من سجل حياته قريباً من ثمانين سنة، فقد كان يشرف بنفسه من الصباح إلى المساء على دراسة الشكاوى المقدمة إليه.

ولقد كان لقبه قبل مجيئه إلى كُردستان (سهام الدولة) لكنه عندما أصبح يسدي تلك الخدمات، خلعت عليه الدولة لقب (نظام الدولة). ومن جهته فقد

طلب من الدولة أن تمنح محمد علي خان ظفر الملك رتبة عميد، وعلي أكبر خان شرف الملك لقب (جناب) وكذلك ميرزا يوسف. كما طلب منها أن تسند إلى ميرزا حسن خان ابن ميرزا يوسف منصب القائد الثالث، وقد استجابت الدولة لرغباته هذه كلها.

والحاصل أنه بعد عامين وتسعة أشهر عزل عن الحكم فذهب إلى طهران، ودخل الكُردستانيون الخائبون مرة أخرى في أسر أكاذيب ميرزا محمد خان إقبال الملك.

ذكر حكومة ميرزا محمد خان إقبال الملك

في الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٨هـ = ١٨٩٠م أصبح محمد خان إقبال الملك حاكماً على كُردستان فوصلها في الثامن والعشرين من ربيع الثاني في السنة ذاتها. وقد نطق بالأكاذيب واستولى على الأموال بصورة لم ترها عين ولم تسمع بها أذن.

وكانت الدولة قد قررت صرف عطايا لبعض المواطنين إلا أنه لم يصرفها في وجوهها. وكتب قائمة ملفقة بمصاريف خروج العساكر الموكلين بحماية الحدود، كما أنه قبض رشاوى من عشيرة الجاف مقابل السماح لها بدخول أراضي كُردستان.

وعندما علم الشاهنشاه بما يقوم به إقبال الملك من أفعال سيئة، عزله عن حكومة كُردستان في الخامس من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م بعد أن حكم سنة كاملة. ونصّب الشاهنشاه بدلاً منه حسن علي خان أمير النظام حاكماً على كرمانشاه وكُردستان وكروس وحامياً لحدود العراقين [العربي والعجمي] لقد كان أمير النظام هذا رجلاً نجيباً من الأسر النبيلة. ويتميز بكفاءة عالية وبما أنني شارفت على الإنتهاء من هذه الرسالة الناصرية [كتاب الحديقة الناصرية] في عهد هذا الأمير المقتدر، فمن مقتضيات كتابة التاريخ أن أذكر وقائع أيامه وأبيّن شجرة نسبه وأذكر الخدمات التي أسداها للدولة.

وإذا كان المعهود لدى المؤرخين قديماً وحديثاً ألاّ يكتبوا سيرة الحاكم الذي

يؤرخون في عهده إلا بالخير، فإنني أنا مؤلف هذا الكتاب علي أكبر المؤرخ أقول بكامل الجرأة أن قلمي لن يخط سوى الحقيقة ولن أتفوه إلاّ بالصدق:

يشهد الله والخلق يشهدون أن أيامي استحالت سوداً من قول الحقيقة

وإنني آمل من الذين يطالعون كتابي هذا، أن يصفحوا عن أخطائي، ويستروا عيوبي فما غايتي إلاّ كتابة التاريخ وتفسير الغايات وشرح الحوادث لا الوصف والتعريف (والعذر عند كرام الناس مقبول) [بالعربية في الأصل].

ذكر حكومة حسن علي خان أمير النظام وبيان حسبه ونسبه والخدمات التي قام بها

ينتمي هذا الحاكم إلى إحدى الأسر العريقة العظيمة في الدولة الإيرانية. وقد كان أجداده في العهود التيمورية والصفوية والأفشارية والزندية والقاجارية حكاماً وأمراء في ممالك مشهورة في إيران، ومن جملتهم لطف علي خان جده الخامس الذي كان في عهد الشاه سليمان الصفوي حاكماً على قم وحلجستان. ومنهم حسين علي سلطان رئيس البلاط في عهد الشاه نادر، ومنهم الجد الثالث محمد أمين خان حاكم كرمان في عهد كريم خان زند، ومنهم جده نجف قُلي خان الذي كان حاكماً على أردبيل وأمير الأمراء (بگلربگی) في تبريز إبان عهد فتح علي القاجاري. وكان أثناء الحرب الروسية الإيرانية التي وقعت في سنة ١٢٢٤هـ = ١٨٠٩م أحد القواد في جيش ولي العهد الإيراني الأمير عباس ميرزا[٣٧] وقدم في حينها خدمات جليلة وأبدى حنكة كبيرة مما جعله ينال الامتياز والتمجيد. وخلال ثلاثين عاماً قضاها في حكم كروس، سعى في تطوير ولايته ونشر العمران فيها، كما وسَّع في قصبة

(٣٧) عباس ميرزا (هو الابن الثاني للشاه القاجاري محمد وأخ غير شقيق للشاه ناصرالدين) ولد سنة ١٢٥٥هـ، والدته خديجة خانم شقيقة يحيى خان من الكُرد الذين يدعون الانتساب إلى الخلفاء العباسيين. وهؤلاء الكُرد يدينون بالولاء لشيوخ النقشبندية. ويصرِّح عباس ميرزا نفسه أن والدته كانت تحترم الشيخ طه والد الشيخ عبيدالله النهري كثيراً، وأثرت على زوجها الشاه محمد الذي كان صوفي المشرب. فكان الشاه يجل الشيخ طه كثيراً ويرسل إليه التحف والهدايا سنوياً. وكان الشاه يعطف على ابنه عباس ميرزا ووالدته خديجة خانم مما جعل ناصرالدين يحقد عليهما. وقد استغل الشيخ عبيدالله هذه النقطة فأراد استمالة عباس ميرزا إلى جانبه لكن عباس ميرزا في اللحظة الأخيرة كشف الخطة للشاه ناصرالدين(٢).

(بيجار) عاصمة كروس. وجدد قلعتها، وبنى قصوراً عالية وترك آثاراً كبيرة وراءه. وخلفه في الحكم والد أمير النظام محمد صادق خان فحكم تسعة عشر عاماً.

والمهم أن حسن علي خان أمير النظام ولد في قصبة بيجار سنة ١٢٣٦هـ = ١٨٢٠م وهو سليل عائلة مازالت تحكم منذ سبعمئة عام. ولما خرج حسن علي خان من مكمن العدم إلى ساحة الوجود، تربى ونشأ في ظل رأفة وحماية والده العظيم، ودخل المدرسة سنة ١٢٤٥هـ = ١٨٢٩م وانكب ينهل العلم مدة ثمانية سنوات على أيدي مدرسين من بيجار.

وفي سنة ١٢٥٣هـ = ١٨٣٧م وبغرض تكريم تلك العائلة الجديرة برعاية الدولة أدخله الشاه محمد القاجاري إلى المدرسة الحربية لأجل قيادة فوج كروس وكان عمره وقتذاك ثمانية عشر عاماً. وفي نفس السنة وهي السنة الثالثة من جلوس الشاه على العرش، شارك في القوات الايرانية التي كانت تحاصر (هَرات)، وبعد عودته سنة ١٢٥٥هـ = ١٨٣٩ م في أيام حكم الأمير قهرمان ميرزا في تبريز، تم تعيينه مسؤولاً عن الخدمات العسكرية، مع فوج كروس في أذربيجان. فقام بمهماته أحسن قيام مدة سنة كاملة.

وفي سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م أرسل مع فوج كروس إلى ولاية كرمانشاه لضبط الحدود والقيام بالأعباء العسكرية فأقام فيها سنتين. وبعد عودته قدم استقالته لينصرف لشؤونه الشخصية مدة خمسة أعوام.

وفي سنة ١٢٦٤هـ = ١٨٤٧م أي في السنة الأولى لجلوس جلالة الشاه ناصرالدين على عرش إيران، عاد مرة أخرى لقيادة فوج كروس. وبعد سنة أرسل مع الأمير سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة لنشر النظام في خراسان واحتلال مدينة مشهد المقدسة، حيث كان محمد حسن خان سالار قد رفع راية العصيان على الدولة الإيرانية. فقدم خلال حصار مشهد خدمات جليلة وأعمالاً مُبينة. واحتل بذكائه ومهارته وحراب جنده مجموعة من الخنادق التي تحصن فيها أهالي مشهد. وبعد الانتهاء من احتلال مشهد المقدسة وانقضاء خدمته في أواخر سنة ١٢٦٦هـ = ١٨٤٩م وبناءً على أمر الدولة، عاد من هناك يرافقه فوج كروس إلى طهران. ونظراً لأن خدماته في تلك الحملة

المذكورة لاقت استحساناً من لدن جلالة الشاه ناصرالدين، فقد منح وسام القيادة الأول المرصع بالماس والحمائل البيض.

وفي أوائل سنة ١٢٦٧هـ = ١٨٥٠م تم إرساله لقمع فتنة الطائفة البابية [البهائية][٣٨] التي ابتدعت مذهباً جديداً ورفعت راية العصيان على الدولة في مدينة زنجان. وكان أتباع تلك الطائفة قد قاوموا الجيش الإيراني المسلح سبعة أشهر كاملة وأقاموا لأنفسهم متاريس وخنادق وتحصينات محكمة.

وقد شن حسن علي خان مع فوج كروس حملة عظيمة على تلك الطائفة المتعصبة فتمكن في خلال خمسة وعشرين يوماً من تحطيم الخنادق والمتاريس والتحصينات التي أقامها البابيون، كما استطاع قتل ملا محمد علي[٣٩] رئيس البابية مع ستمئة نفر من أتباعه، وبذلك أخمدت نيران تلك الفتنة.

وجراء هذه الخدمات العظيمة منحه الشاه ناصرالدين لقب الجنرال وقلده الوسام الأول مع الحمائل الحمر، كما أسند إليه أمر قيادة فوج كروس الثاني الذي كان قد دخل الخدمة حديثاً.

وفي السنة ذاتها ذهب برفقة الفوج الجديد الذي كان الحرس الخاص لجلالة الشاه إلى أصفهان في ركاب جلالته. ولقد صدرت منه خلال هذه الرحلة أيضاً خدمات لاقت القبول الحسن، فكانت السبب في مزيد من الترقيات التي منحها له الشاه. ولكنه أصيب خلال عودته نتيجة المتاعب التي لقيها في حملاته الكثيرة بنكسة مرضية شديدة، وبانت أعراض ضعف القلب لديه. وفي تلك الأثناء وصلته أوامر الدولة الإيرانية بضرورة حضوره فذهب سنة ١٢٦٩ هـ = ١٨٥٢ م مع فوج كروس إلى معسكر السلطانية الكبير الذي كان مركزاً لتجمع الجيوش الإيرانية. ومن هناك قرر الذهاب إلى طهران في ركاب جلالة الشاه. وفي طهران ألح عليه المرض فعاد إلى كروس ليتلقى العلاج. وبعد فترة نقاهة قصيرة، قرر الذهاب إلى كربلاء والنجف. وبعد عودته

(٣٨) البهائية أو البابية: طائفة دينية ظهرت في إيران على يد علي محمد الملقب بالباب، ومن هنا النسبة إليه، وقتل المؤسس سنة ١٨٥٠م عن تسعة وعشرين عاماً فخلفه بهاء الدين المولود في طهران سنة ١٨١٧م والمتوفي في عكا سنة ١٨٩٤ وترك الأخير سلطته الروحية لابنه عباس أفندي "عبدالبهاء"... وللبهائية أتباع في إيران وأمريكا وغيرهما.

(٣٩) راجع ٣٨.

منهما وصلته الأوامر مجدداً بضرورة حضوره، فذهب إلى طهران في أوائل سنة ١٢٧١هـ = ١٨٥٤م مع فوج كروس. ومن هناك صدرت له أوامر بالتحرك إلى خراسان، حيث بقي سنة كاملة يسهر على رعاية الأمن والنظام في مدينة مشهد المقدسة.

وفي سنة ١٢٧٢هـ = ١٨٥٥ م أبلغ بضرورة تحركه مع الأمير سلطان ميرزا حسام السلطنة للاستيلاء على هَرات، ولما كان ذا تجربة وذكاء وحنكة فقد وجد فرصته السانحة في تلك الحملة، فقام بالمهام الموكلة إليه على أكمل وجه من جهة التدابير الحربية وإظهار البراعة، فقد خاض القتال خارج هَرات عدة مرات ضد الجيش الأفغاني كان النصر حليفه فيها جميعاً.

وخلال أيام الحصار تقابل بالأفواج التي يقودها بنقطة مهمة من نقاط قلعة هرات، فأزال جميع العوائق التي برزت أمامه بهجومه المتتالي وتدابيره وخططه الذكية، وتمكن قبل جميع الجنرالات من تطبيق وتنفيذ الخطط الحربية اللازمة مثل إقامة التحصينات الفورية والأسلاك الشائكة وأعمدة الحماية، والخطوط المتوازية حول الخنادق.

وعندما استولى الجيش الإيراني على قلعة هرات، كانت راية أفواج كروس أولى الرايات التي ترفرف على أبراج تلك القلعة وأسوارها.

وعقب الاستيلاء على القلعة ناط الأمير سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة مهمة حفظ النظام وحراسة القلعة إلى حسن علي خان، ولقاء الخدمات التي أسداها الأخير فقد منحه جلالة الشاه ناصرالدين رتبة العميد (مير بنج).

وفي سنة ١٢٧٣هـ = ١٨٥٦م حيث أبرمت معاهدة الصلح بين الدولتين الإيرانية والبريطانية، أرسله الشاه إلى بغداد فانتهز الفرصة ليتشرف بزيارة النجف وكربلاء. ثم تمكن من إعادة فتح السفارة البريطانية في طهران.

[ومن بغداد] عاد إلى طهران عن طريق كرمانشاه وهمدان واستأذن جلالة الشاه في زيارة أهله وولايته ولكن ما إن انقضت ستة أشهر حتى صدر الأمر بحضوره إلى طهران، فذهب إليها سنة ١٢٧٤هـ = ١٨٥٧ م برفقة فوج كروس وتم تعيين قصر له إلى جانب القصور الملكية وأسندت إليه مهمة الأمور العسكرية في مدينة طهران، كما أوكلت إليه أمور حراسة قصور وخزائن

الشاه، وكانت هذه المهمة من المهام الكبرى في دولة إيران. وبقي في تلك الوظيفة مدة سنة كاملة.

وعندما عزم الشاه ناصرالدين على إرسال سفير دائم إلى بلاط الدولتين الفرنسية والإنكليزية وجد من المناسب أن يكون حسن علي خان السفير المقترح، فأصدر إليه أمراً بالذهاب إلى تينك الدولتين وتعيينه سفيراً فيهما سنة ١٢٧٥هـ = ١٨٥٨م وكانت هيئة السفارة تضم المستشار حاجي محسن خان والنائب الأول علي نقي والنائب الثاني ميرزا صادق خان والمترجم نظر [ناظار] آغا والدفتردار ميرزا بزرك ولقد كان هؤلاء الجمع من الرجال الأكفاء الإيرانيين الذين اختارهم جلالة الشاه يتقنون اللغة الفرنسية.

وقد استغل الشاه الذي كان يهمه أمر رقي الشعب الإيراني هذه الفرصة، فاختار اثنين وأربعين رجلاً من أبناء الأسر النجيبة في إيران برئاسة عبدالرسول خان وميرزا الكسندر خودزكو أحد المدرسين في المدرسة الفرنسية لأجل تلقي العلوم وتعلم الصنائع وأرسله إلى باريس.

وفي يوم الاثنين في الثامن من شهر شعبان سنة ١٢٧٥هـ = ١٨٥٨م صدر الإذن من جلالة الشاه لحسن علي خان بزيارة أهله والتحضير لهذا السفر، فذهب إلى كروس ثم توقف في تبريز مدة قصيرة، ومن هناك قصد باريس مع المجموعة التي كانت معه، وعددها سبعة وأربعون شخصاً من الشباب وأصحاب المناصب المذكورة وسلك الجميع طريق خوي وأرزنة الروم وطرابزون إلى اسطمبول. ومن هناك وصلوا إلى مرسيلية.

وفي يوم السبت السادس من شهر محرم الساعة الخامسة بعد الظهر من سنة ١٢٧٦ هجرية الموافق للسادس من شهر أيلول سنة ١٨٥٩ ميلادية وصلوا إلى باريس.

وفي الرابع عشر من ذلك الشهر، تشرف حسن علي خان بلقاء جلالة الامبراطور نابليون الثالث[٤٠] في قصر سنكلو، فقدم إليه أوراق اعتماده، وبعد إجراء المراسيم والتكاليف الرسمية، أرسل الطلاب الذين رافقوه وعددهم

(٤٠) نابليون الثالث: ١٨٠٨- ١٨٧٣، ولد في باريس، أصبح امبراطوراً لفرنسا بين عامي ١٨٥٢م- ١٨٧٠م، خُلع عن العرش بعد فشله في الحرب مع ألمانيا سنة ١٨٧٠م، واعتزل في انكلترا حيث توفي بها.

اثنان وأربعون طالباً إلى مدارس ومصانع باريس المشهورة وسائر مناطق فرنسا. وبذل جهداً وافراً في الإشراف على تعليمهم. ونظراً للصلاحيات التي خوّله إياها جلالة الشاه ناصرالدين فقد قام بعقد معاهدة صداقة وتجارة بين الدولتين الدانماركية والإيرانية وذلك مع وزير دولة الدانمارك فحاز بذلك وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى.

وبعد أن أقام في باريس ثمانية وخمسين يوماً ونظراً للمهام الموكلة إليه فقد توجه إلى لندن في الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٧٦هـ الموافق للأول من شهر تشرين الأول سنة ١٨٥٩م. وفي الحادي عشر من شهر تشرين الأول لقي استقبالاً حافلاً من جانب الدولة الانكليزية، والتقى مع السفراء المعتمدين في قصر ويندسور بجلالة الملكة فيكتوريا ملكة بلاد الانكليز[٤١]، وقدم لها أوراق اعتماده.

وبعد إقامته في لندن شهراً وأربعة أيام توجه إلى بروكسل عاصمة بلجيكا فوافاها في الثالث عشر من شهر جمادى الأولى الموافق للتاسع من كانون الأول حيث قام بتسليم هدايا جلالة الشاه ورسالته إلى الملك ليوبولد[٤٢] ملك بلجيكا. فكان محط ترحاب واهتمام عظيمين حيث منح وسام ليوبولد من الدرجة الأولى.

وبعد إقامته ثمانية عشر يوماً في بروكسل عاد إلى باريس.

ولقد أظهر حسن علي خان ميلاً كبيراً إلى أرباب العلوم، ولما رأى نظم التربية والتعليم في مدارس الأطفال الفرنسيين رغب في إحضار أولاده وأولاد بعض الأسر الأخرى ليتلقوا تعليماً مماثلاً لما يتلقاه الأطفال الفرنسيون. ولهذا طلب من عمه زين العابدين خان حاكم كروس إرسال الأطفال فلم يتوان عمه وأرسل يحيى خان ابن حسن علي خان مع ابنه أبو القاسم خان واثنين آخرين من كروس إلى باريس. فوافوها في العشرين من ربيع الأول سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م.

(٤١) ڤيكتوريا: هي الملكة ڤكتوريا (١٨١٩- ١٩٠١) توجت ملكة على انكلترا سنة ١٨٣٨م وعملت على تقارب انكلترا وفرنسا، ونودي بها امبراطورة الهند سنة ١٨٧٦م خلفها على العرش ابنها ادوارد السابع.

(٤٢) ليوبولد: هو ليوبولد الثاني (١٨٦٥- ١٩٠٩) ملك بلجيكا، نظم بلاده وأنشأ دولة الكونغو.

ولقد ألحق حسن علي خان ابنه يحيى وابن عمه أبو القاسم خان بمدرسة (مسيو وردو) كما ألحق الباقين بمدرسة (ديب). وأشرف على تربية الشباب الإيرانيين الموكل أمرهم إليه إشرافاً أبوياً، وخلال عامين حصل اولئك الشبان على درجات كبيرة. وفي الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٧٧هـ الموافق للخامس من كانون الأول سنة ١٨٦١م خرج من باريس متوجهاً إلى تورن، وفي الأول من رجب الموافق للثالث عشر من كانون الأول تشرف بلقاء جلالة الملك ڤيكتور عمانوئيل[٤٣] ملك إيطاليا وقدم إليه هدايا جلالة الشاه ورسالته، ولقي ترحيباً واحتراماً بالغين من جانب الدولة الإيطالية حيث منح وسامي (سان موريسن) و(سان لازار).

وبعد أن مكث اربعة عشر يوماً في تورن أذن له الملك عمانوئيل بالعودة إلى باريس.

ولقد سعى خلال إقامته في باريس إلى تمتين العلاقات بين بلاده وبين فرنسا إضافة إلى قيامه بمهامه الرسمية. وكان يبلغ دولته تباعاً بالأخبار المفيدة. وكان يقضي معظم أوقاته في زيارة المصانع والمدارس والمستشفيات ومعسكرات الجنود وغير ذلك. وكان يراقب الأوضاع في تلك الأماكن بدقة. ويفحص حال كل بلد يزوره، وهكذا فقد حصل على معلومات وافية من أسفاره في إنكلترا وبلجيكا وسردينيا. ولأنه كان يهوى السياحة في بلاد الإفرنج فقد توجه إلى سويسرا عن طريق (ليون) مع بعض المسؤولين في السفارة وذلك في الخامس عشر من شهر محرم سنة ١٢٧٨هـ الموافق للتاسع والعشرين من شهر أيلول سنة ١٨٦١م. وتجول في معظم المدن والأماكن المعروفة هناك. وفي طريق العودة ذهب من طريق ستراسبورغ لمشاهدة جيش شالون الكبير، وبعد انقضاء سبعة عشر يوماً عاد إلى باريس وانصرف إلى أداء مهامه [الديبلوماسية].

وبعد ان انتهت خدمات حسن علي خان أمير النظام، استقال من منصب السفير في فرنسا وانكلترا وعاد إلى إيران في سنة ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م.

وقد دامت سفارته تلك مايقرب من تسع سنوات، ونال عطف جلالة الشاه

(٤٣) ڤيكتور عمانوئيل: هو ڤيكتور عمانوئيل الثاني. ملك سردينيا سنة ١٨٤٩ ثم ملك إيطاليا سنة ١٨٦١. أنشأ الوحدة الإيطالية بمساعدة وزيره كافور.

وتقديره بسبب ماأبداه من مهارة وإخلاص في العمل، فتم ضمه إلى سلك الوزراء المستشارين الكبار في الدولة الإيرانية.

وفي العشر الثاني من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م رأى جلالة الشاه ناصرالدين أن يعينه سفيراً أكبر في اسطمبول بعد أن انتهت سفارة ميرزا حسن خان مشير الدولة هناك. ولأن جلالة الشاه كان يرغب في تعزيز العلاقات الإيرانية العثمانية فلم يجد أفضل من يمثل إيران في اسطمبول من حسين علي خان نظراً لحنكته وكفاءته وصدقه ودرايته.

وقد امتثل حسن علي خان للأمر فعمل في منصب السفير في اسطمبول مدة ثمانية عشر شهراً إلى أن بلغه أمر بعودته إلى إيران فوصلها سنة ١٢٨٩هـ = ١٨٧٢م حيث عهدت إليه وزارة المصالح العامة وهي من الوزارات الهامة في إيران فلقب بوزير المصالح. وفي رمضان سنة ١٢٨٩هـ كلفه جلالة الشاه ناصرالدين بتسوية وتعبيد الطريق من لاريجان وحتى آمل. نظراً لأن أمير النظام خرج من بوتقة التجربة والامتحان خالصاً لاغش فيه.

وتم وضع ذو الفقار خان قائد فوج الهندسة مع خمسمئة وخمسين نفراً من فوج الهندسة في لاريجان تحت إمرته وتصرفه.

وكانت قد أوكلت مهمة تعبيد وتسوية ذلك الطريق سنة ١٢٨٧هـ = ١٨٧٠م إلى المهندس النمساوي الجنرال آلبرت كاستكير الذي حصل على أموال طائلة من الدولة بعد أن رفع إليها قوائم وهمية بالتكاليف، ولم يعبد من الطريق سوى فرسخ ونصف الفرسخ في عرض أربعة أذرع وذلك بمساعدة العمال اللاريجانيين.

وعندما أسند الأمر إلى حسن علي خان، باشر العمل في رمضان سنة ١٢٨٩هـ = ١٨٧٢م وانتهى منه في شهر رجب سنة ١٢٩٢هـ = ١٨٧٥م أي خلال عامين وشهرين. وبعون الله ولحسن حظ جلالة الشاه ناصرالدين الذي هو ظل الله تم تعبيد الطريق الذي يبلغ طوله أحد عشر فرسخاً بحيث أصبح من السهل جداً عبور المشاة والفرسان والعربات التي تجر الدواب عليه. وإن كل من يقارن الطريق قبل تعبيده وبعده تتملكه الحيرة والدهشة.

وعلاوة على تسوية الطريق وتعبيده، فقد أقام ثلاثة وخمسين سداً على طول الطريق الممتد بين (إمام زاده هاشم) و(هلامة سر). وكان هذا الطريق وعراً

جداً قبل ذلك. كما أنشأ خمسة عشر جسراً محكماً على نهر هزار وسائر الأنهر التي تصب فيه. وبنى عشرة سدود قوية يبلغ طول كل سد ثلاثمئة ذراع وارتفاعه عشرة أذرع استخدمت في إنشائها الصخور والحجارة الكلسية.

ويعلم المهندسون الماهرون أن تجاوز تلك العقبات الكبيرة في مدة قصيرة، شاهد على سعة علم ومعرفة حسن علي خان أمير النظام، وكما يقال فإن قيمة العامل تقاس بحجم عمله، وبعبارة أخرى (إن آثارنا تدل علينا).

وبعد ان انتهى حسن علي خان من هذه الأعمال الجليلة، أصبح موضع اهتمام جلالة الشاه وانصرف للعمل في وزارة المصالح العامة.

وفي سنة ١٢٩٦هـ = ١٨٧٨م أصيب حسن علي خان بمرض عضال، وقد وصل اشتداد المرض حداً حار فيه الأطباء الحاذقون، ولكن الطبيب المطلق [الله] مَنّ عليه بالشفاء، فأمره جلالة الشاه لأجل تغيير الجو بالسفر إلى بيجار عاصمة ولاية كروس. ولم تمض فترة طويلة حتى بلغه الأمر ليذهب بمعية ميرزا حسين خان القائد الأعظم ومعه فوج كروس إلى ساوجبلاغ [مهاباد] لأجل دفع فتنة الشيخ عبيدالله [النهري] وذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ = ١٨٨٠م، وهناك تم تفويضه بأمر من ميرزا حسين بأن يحكم ساوجبلاغ ويشرف على النظام في ذلك الثغر، حيث كانت تلك المهمة من المهام الخطيرة، فتمكن خلال مدة قصيرة من ضبط تلك المنطقة المتوترة وتهدئة خواطر الأهالي.

وفي سنة ١٢٩٩هـ = ١٨٨١م قام حسن علي خان بقتل حمزة آغا رئيس عشيرة مَنكور مع ثمانية من أبناء إخوته وعشيرته من الفرسان المشاهير والمثيرين للفتنة المَنكوريين وكان حمزة آغا هذا خميرة فتنة الشيخ عبيدالله(٤٤).

وبهذا الحدث هدأت بلاد مُكري وسائر حدود إيران الشرقية مع الدولة

(٤٤) حمزة آغا مَنكور: كانت مَنكور إحدى القبائل التي تشكل اتحاد بلباس مع قبائل برادوست ومامش وبيران وآكو، إلا أنها انسحبت من ذلك الاتحاد مع برادوست. وكانت هذه القبيلة قد نزحت من العراق في عهد كريم خان زند برئاسة بابير آغا إلى منطقة "ايل تيمور" بعد أن أزاحوا سكانها الذين كانوا ينتمون إلى قبائل مرنكنه، باب رسو، برايه سنه (ابراهيم حسن)، شيخ شرفي، آل سيمانه، وقبائل أخرى كثيرة. وأفراد قبيلة مَنكور على المذهب السني الشافعي. =

=ويقال أنهم تمردوا على حاكم مهاباد بوداق خان المكري الذي ضاق بهم ذرعاً فبعث إلى أحمد خان حاكم مراغه يستنجد به. وكان هناك حلف أو معاهدة بين الحكام المحليين أمثال نجف قلي خان حاكم تبريز، محمد قلي خان حاكم أورميه وبوداق خان حاكم مهاباد وأحمد خان حاكم مراغه تنص على وجوب مد يد العون لكل طرف يطلب ذلك من الآخرين المنضوين تحت لواء تلك المعاهدة. ولقد أرسل أحمد خان رسالة إلى بابير آغا رئيس قبيلة المنگور يستدرجه إلى فخ نصبه له فكتب قائلاً إنني عزمت على السير إلى تبريز والاستيلاء عليها فلو ساعدتني في حملتي هذه قاسمتك الغنائم!

فاستعد باپير آغا مع ألف فارس وتوجه صوب مراغه، ولما وصل قرية حمزة آباد بالقرب من مهاباد كبا جواده فقال له أخوه ابراهيم سلطان إن هذا علامة نحس وفأل سيء، فالأفضل أن تصرف النظر عن سيرك إلى مراغه. فأجابه باپير آغا بحدة: إن شئت فعد، لأن مرافقة جبان مثلك لي لاتنفعني. فعاد أخوه أدراجه، وواصل باپير آغا مع فرسانه طريقه. ولما وصلوا مراغه قوبلوا بحفاوة بالغة. ووزع فرسان باپير آغا على أهالي مراغه مئة مئتى، أما باپير آغا فقد حل ضيفاً مع نفر من المقربين إليه على أحمد خان. وبعد أن مضت ساعتان من الليل أمر أحمد خان جميع الأهالي بقتل ضيوفهم. ويقال أنه لم ينج من تلك المذبحة سوى شخص واحد اسمه أستاذ عزيز لأنه كان يعرف اللغة التركية فعلم بالمؤامرة، وهرب بجلده ليبلغ أبناء مَنگور بأمر المذبحة التي جرت عام ١١٩٥هـ= ١٧٨٠م وذلك في عهد علي مراد خان الزندي. وفي أواسط عهد فتح علي شاه القاجاري أي سنة ١٢٣٥هـ= ١٨١٩م برز في تلك العشيرة رجل آخر هو باپير آغا الثاني من أحفاد باپير آغا الذي سبق ذكره وقد تزوج عدة نساء لتكثير نسله، وكانت أسماء زوجاته: زيرين، شم (شمع)، مروت، آمان، زين. ويقال أن أولاده الذكور بلغوا واحداً وعشرين ولداً.والمنگوريون اليوم من نسل باپير آغا الثاني وزوجاته المذكورات، وتسمى فروع المنگور بأسماء تلك النسوة. أما حمزة آغا الذي نحن بصدد ترجمته فهو ابن باپير آغا الثاني، وكان قد تعرف في البلاد العثمانية على الشيخ عبيدالله النهري قبل قيام انتفاضته بخمسة عشر عاماً. وكان قد رحل إلى تلك البلاد لخلاف وقع بينه وبين حاكم مهاباد. ولم يعد إلى مهاباد إلا بعد خمسة عشر عاماً من رحيله.

وفي عام ١٨٨٠م حصل بينه وبين حاكم مهاباد الأمير لطف علي خان جفاء، لأن حمزة آغا طلب ذات يوم الإذن من الحاكم بالذهاب إلى قريته فلم يأذن له، فذهب حمزة آغا إلى قريته متجاوزاً أمر الحاكم. وما إن علم الحاكم بالأمر حتى رفع تقريراً إلى ولي العهد في تبريز مسمياً حمزة آغا بالمنشق المتمرد. ولكن إقبال الدولة حاكم أورمية توسط بين الحاكم وحمزة آغا وصالحهما.

وبعد عدة أيام بعث الأمير مظفر الدين ميرزا ولي العهد القاجاري إلى حاكم مهاباد يأمره باعتقال حمزة آغا ووضع القيود في يديه غير عالم بالمصالحة التي تمت بين الخصمين بوساطة إقبال الدولة. وذات يوم توجه حمزة آغا مع ابن أخيه (حمد) وحامل نرجيلته سليمان، وثلاثة من خدمه وحملة البنادق ليتشفع لعزيز آغا فتاح المسجون لأسباب تتعلق بالضرائب، دون أن يدري أن الأمر صدر في تبريز باعتقاله.

وبينما كان حمزة آغا ينتظر خارجاً الدخول على الأمير، أخبر ميرزا تقي خان الأمير لطف =

= علي بوصول حمزة آغا. في تلك الأثناء هبط خادمان الدرج باتجاه حمزة آغا وفي يد أحدهما الأغلال. فتوجه الذي في يده الأغلال إلى حمزة آغا قائلاً: سمو الأمير يأمر أن تقبِّل هذه الأغلال ثم تضعها في عنقك.

لكن حمزة آغا لم يفهم الأمر فسأل: َمن؟ فأجابه الخادم: أنت! وهنا وثب حمزة آغا ووضع يده على مقبض خنجره دون أن يجرده من الغمد... فهرب جميع الحاضرين من المكان. ثم خرج حمزة آغا مع مرافقيه. لكن الجنود حول دار الحكومة جاؤوا لمواجهته. فسل حمزة آغا ومرافقوه خناجرهم وبدأ الجنود باطلاق النار. وقتل في تلك المواجهة جنديان وجرح بضعة آخرون، كما سقط ابن أخ حمزة آغا، وحامل نرجيلته.

وجمع حمزة آغا أتباعه وحاصر فرسانه المدينة، فاستنجد الأمير الشاب عديم الخبرة بحاكم تبريز وطلب منه الإمدادات. فتحرك كل من محمد حسين خان، محمد صادق خان ورحيم خان جلبيانلو على رأس فرسانهم صوب مهاباد.

وسمع الشيخ عبيدالله النهري بالأحداث فرآها فرصة سانحة له ليغير على إيران وكان قدأكمل استعداداته لذلك. وأرسل الشيخ كمال وهو أحد خلفائه إلى حمزة آغا يدعوه للانضمام إلى قوات الشيخ عبيدالله. فلبى حمزة آغا الدعوة.

وقام الشيخ عبيدالله بارسال ابنه الشيخ عبدالقادر وكان عمره حينذاك ثلاثة وعشرين عاماً مع حمزة آغا إلى منطقة ترگور ومرگور.

وفي الجهة المقابلة نهض محمد آغا المامشي ورافق بيوك خان رئيس عشيرة قره باباغ إلى مهاباد والتقى بالحاكم وقال له إن أوار الحرب لم تستعر بعد، وتعداد العدو يبلغ فقط ألفين وخمسمئة نفر. فلنحمل عليهم ولنخنق هذه الحركة في مهدها.

ولكن الأمير الذي عدم الحيلة وكان مسلوب الإرادة في اتخاذ قرار هام كذلك القرار رفض العرض المقدم إليه. فاضطر لاستقبال الشيخ والانخراط في حكمه كل من محمد آغا وبيوك خان. وكان التحاقهما بالشيخ سبباً في هروب الأمير من مهاباد يوم ٢٨أيلول ١٩٨٠ م باتجاه ميانداوآب. وبعد هروب الأمير بيومين دخلت قوات الشيخ مدينة مهاباد واستولوا عليها دون قتال أو مقاومة. وتم تنصيب خان بابا خان من طرف الشيخ عبدالقادر حاكماً على مهاباد.

وبعد فشل ثورة الشيخ عبيدالله النهري (راجع الهامش رقم ٣٥) وتراجعه إلى البلاد العثمانية انسحب حمزة آغا مع فرسانه أيضاً إلى تلك البلاد. ولكن الشيخ عبيدالله لم يهدأ بل اخترق الحدود عدة مرات ودخل الأراضي الإيرانية. مما حدا بإيران إلى وضع حد نهائي لتحركات الشيخ عبيدالله وأتباعه. وأرادت اتخاذ كل التدابير الممكنة لتهدئة تلك القلاقل. وأراد حسن علي خان أمير النظام أن يحل هذه العقدة المستعصية.(راجع الهامش رقم ٤٥) ولما كان أمير النظام يعرف مدى حسن العلاقات بين حمزة آغا وميرزا قاسم قاضي استدعى ميرزا قاسم وقال له: إنني على علم بمدى الظلم الذي لحق بحمزة آغا، وأعلم أيضاً أن الحكومة السابقة قد أخطأت بحقه. ثم كتب أمير النظام مذكرة بخط يده يعد فيها حمزة آغا بتسليمه أمر حكومة كُردستان (ولاية سنندج) ومهاباد.

وقام ميرزا قاسم قاضي بتسليم المذكرة إلى حمزة آغا. فكتب حمزة آغا جواباً قال فيه: لو =

= كان الوزير (يقصد أمير النظام) قاجارياً لما وثقت به. ولكن بما أنه مثلي من أفراد العشائر فيمكنني الوثوق به إذا حلف لي وتعهد بانجاز وعده، بل سآتي إليه. فلبى أمير النظام هذا المطلب وكتب على ظهر نسخة من القرآن الكريم: مادامت الروح تسري في الجسد وما دمت حياً فإنني سأحافظ عليك، وإذا لزم الأمر ضحيت بروحي في سبيلك. ثم وضع ختمه الخاص على ذلك التعهد وأرسل نسخة القرآن إلى حمزة آغا. وكان لحمزة آغا ابن أخ ذكي رشيد اسمه (سواره) قال لعمه: أيها الآغا، إنني أرى من الأصوب ألا تذهب، فإن أمير النظام وإن كان من العشائر فإنه خسيس. وكيف يثق المرء برجل قتل والده؟! فرد عليه حمزة آغا: ما الذي بدا حتى دب الخوف فيك؟ فأجابه ابن أخيه: الآن وقد اتهمتني بالجبن، فإنني سأرافقك ولو أنني على يقين بأننا سنلقى حتفنا.

ثم قبلوا القرآن الكريم وذهبوا برفقة بضعة فرسان.وعلى سفح جبل علي آباد وضع حمزة عدداً من الفرسان للمراقبة، وذهب برفقة فرسان آخرين إلى (باغ شيخ). وهناك تمكنوا من رؤية الخيام والجنود الحكوميين من بعيد.

ومرة أخرى حذر "سواره" عمه حمزة آغا قائلاً: لا أرى مصلحة في الدخول إلى ذلك المعسكر. وليخرج الحاكم من خيمته ويحضر إلينا لكي لانبتعد عن فرساننا. فرد عليه آغا: أنخاف من هؤلاء الجنود الجائعين المشرفين على الموت؟! ثم اتجه مباشرة إلى المعسكر وترجل عن جواده.

وكان الحاكم قد دبَّر كل شيء قبل ورود حمزة آغا، وأصدر أوامره إلى فوجين مختاريْن من الجنود المسلحين بالبنادق، بوضع أصابعهم على الزناد. ووضعهم على يمين خيمته مستعدين لإطلاق النار، وهيأ في المكان المواجه لخيمته خيمة أخرى في داخلها حفرة عميقة. ونبه الجنود إلى خطته وتدبيره قائلاً: عندما يأتي حمزة آغا سأذهب به ورفاقه إلى خيمتي ثم سأغادرها إلى الخيمة المنصوبة فوق الحفرة تاركاً إياهم في خيمتي. وحالما أغادر خيمة الضيوف وأستقر في الخيمة المشار إليها أمطروا خيمة حمزة آغا بالرصاص.

وبعد أن ترجل حمزة آغا من جواده، استقبله الحاكم وذهب به وبمرافقيه إلى الخيمة المعدة لهم... وبلغ عددهم ثلاثين رجلاً حيث باشروا بالأكل والشرب وبعد قليل خرج الحاكم بحجة قضاء حاجة من الخيمة وخرج معه رفاقه، ولكي يزيد من طمأنة حمزة آغا ويبعد الشبهات. أبقى ثلاثة من الخدم وساقي القهوة مع حمزة آغا وعندما استقر الحاكم وأتباعه في الحفرة التي تحت الخيمة الأخرى. بدا الجنود في الفوجين يطلقون وابلاً غزيراً من الرصاص على خيمة حمزة آغا، وعندما توقف إطلاق النار تقدم أحد الخدم صوب الخيمة المنكوبة وبيده خنجر لكي يحز رأس حمزة آغا فيحصل على المكافأة. ولكن كان في جسد حمزة آغا رمق من الحياة. فاستطاع أن يجذب ذلك الخادم بيده التي سلمت من الإصابة بالرصاص ويطعنه عدة طعنات بالخنجر. بعد ذلك أسلم حمزة آغا الروح لبارئها.

ودخل الجنود إلى الخيمة ليقتلوا الجرحى الباقين على قيد الحياة. بعدها أمر الحاكم بجمع جثث القتلى. وقطع رأس حمزة آغا لإرساله إلى طهران. بينما يؤكد الحاج سياح أن الجثث دفنت في مكانها. وقد سر الشاه بهذا العمل أيما سرور وبعث بالخلع إلى أمير النظام. وكان مقتل حمزة آغا في أيلول ١٨٨١م الموافق لشهر شوال ١٢٩٨هـ. =

= وقد تغنى الشعراء بهذه الواقعة المؤلمة وسجلوا بطولات حمزة آغا، وهناك قصة ملحمية فولكلورية شهيرة باسم (بيت حمزة آغا) يغنيها المغنون الشعبيون في مناطق مهاباد.

أما بشأن القسم الذي استعمله أمير النظام لاستدراج حمزة آغا فقد كان عبارة عن حيلة شرعية.إذ أنه أخفى عصفوراً داخل سترته عندما أقسم قائلاً: مادامت الروح في البدن فلن تمس شعرة من حمزة آغا. وقبل أن يصدر أوامره باطلاق النار وقتل حمزة آغا ذبح ذلك العصفور وهكذا بقي صادقاً في قسمه.

إن أفراد قبيلة المنگور مشهورون في كُردستان بشجاعتهم ويضرب بهم المثل في ذلك، فيقال: فلان شجاع مثل منگوري.

وهم أقوياء البدن وفاتحوا البشرة أكثر ممن حولهم من أفراد القبائل الأخرى وتبدأ حدود انتشارهم من جنوبي مهاباد وحتى جبل وزني الذي تكلله الثلوج طوال العام. ومن الجهة الغربية يتاخمون عشيرة مامش في منطقة تعتبر مسرحاً للمعارك بين إيران وتركيا. وهم يتكلمون بلهجة فصيحة جميلة بعيدة عن التأثر بالتركية والعربية. وتتخلل لهجتهم كلمات من اللغة الأرمنية. ولهذا السبب يعتبرهم الأرمن فرعاً منهم. ويقال أنهم نزحوا في الأزمان السحيقة من أعالي أرمينيا واستوطنوا مناطق سكناهم الحالية. ولكن هذا الرأي باطل ولا سند له والمنگوريون أنفسهم يعتقدون أنهم من نسل رستم المذكور في شاهنامة الفردوسي وهذا أيضاً اعتقاد لاسند له. والثابت ماتحدثنا عنه في البداية عن أنهم نزحوا من العراق في عهد جدهم الأول باپير آغا.

ولقد كان المنگوريون منذ العهد الصفوي لقاحيين لايدينون بالولاء لأي سلطة سوى سلطة رئيس عشيرتهم فقاوموا الحكم الايراني فترات مديدة. ولم يستطع الإيرانيون القضاء أو الانتصار عليهم فلجأوا إلى الحيلة والخديعة كما رأينا عندما استدرج أحمد خان حاكم مراغه وهو تركي الأصل باپير آغا وقتله مع فرسانه ولم يستطع المنگوريون الثأر لضحايا تلك المجزرة إلى أن ظهر حمزة آغا المذكور. ورأى فرصته السانحة والذهبية في الالتحاق بمعسكر عبيدالله النهري. وعندما أغار عبيدالله النهري على ميانداوآب وبناب واستولت قواته عليهما قام المنگوريون بالانتقام فعملوا مذبحة رهيبة للسكان الأتراك الآذريين. وبعد انتهاء حركة الشيخ عبيدالله انكفأ حمزة آغا برجاله واستعصم بالجبال فلم تقدر عليه القوات الإيرانية حتى جاء حسن علي خان امير النظام وأوقع الثائر الكُردي في الفخ كما مر معنا.

ولكي يقوم أمير النظام بإضعاف هذه القبيلة المشاكسة عين كاك الله آغا وهو أخ غير شقيق لحمزة آغا رئيساً للقبيلة. وبعد موت كاك الله خلفه ابنه بايزيد آغا إلا أن باپير آغا الثالث ابن حمزة آغا رفض الانقياد له ورأى أنه الأحق برئاسة القبيلة. وفي الحرب العالمية الأولى تحالف بايزيد آغا مع القوات العثمانية، فقام خصمه باپير آغا الثالث بالتحالف مع الروس أعداء العثمانيين. وما تزال آثار تلك المنافسة على الزعامة والرئاسة موجودة إلى اليوم.

والمنگوريون إلى الآن غير مستقرين، بل هم رحل يقضون الشتاء في القرى ذات الأكواخ الطينية البائسة. ويصطافون في الجبال المكللة بالثلوج. ومصائفهم من أجمل مصائف كُردستان وهي قريبة الشبه بجبال الألب. ونادراً مايشتغلون بالزراعة وعلى كل شاب راشد أن يتعلم الفروسية ورمي البندقية. وعندما يكون الفتى في العاشرة من عمره يركبونه على صهوة فرس يسوطونها =

وأورمية إلى حكومته ونال لقب سالار لشكر [قائد الجيش].

وفي بداية سنة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م ونظراً لما قام به حسن علي خان في الولايات الثلاث من نشر النظام وتنفيذ المهام الموكلة إليه بكفاءة عالية، فقد أسندت إليه حكومة جميع أذربيجان ونال لقب أمير النظام فقضى سبعة أعوام كاملة يحكم أذربيجان وتمكن من تثبيت أركان النظام في تلك المملكة الواسعة. ولأن الأصدقاء والأعداء شهدوا له بحسن قيامه بأعباء الحكم، وكتبت صحف الدول العظمى في صفحاتها عن عدله وإنصافه وخدماته الجليلة الظاهرة لدولة إيران، فقد زين جلالة الشاه ناصرالدين كتفه بالوسام الماسي وهو من الأوسمة الرفيعة في الدولة. من جهة ثانية فقد اراد الشاه تخليد ذكر خدمات حسن علي خان على مر الزمان فأنعم عليه بوسام (القدس) وهو أرفع وسام إيراني ولم يحصل عليه في جميع أنحاء إيران سوى أربعة أشخاص.

والحقير الذي هو أنا مؤلف هذا الكتاب أكتب من باب الإنصاف في هذا الموقع وأقول: إنه من الجدير بأبناء ومواطني دولة إيران أن يفاخروا سكان الدول العظمى في العالم بوجود شخص مثل هذا القائد بينهم، حيث استطاع

= لتندفع بالفارس الجديد بينما يرافقه فرسان مدربون لحمايته. كما تشترك نساءهم في المعارك أيضاً وهن لايعرفن الحجاب أو البرقع الذي نجده عند باقي المسلمين. وفي المعارك التي كانت تقع بينهم وبين عشيرة مامش. كان رئيسا العشيرتين يتقابلان للمبارزة ويقتل أحدهما وهكذا تنتهي المعركة. وإذا مات أحد أفراد القبيلة موتاً طبيعياً من مرض أو شيخوخة فإنهم لايتأثرون لموته كثيراً. ولا تلبس النساء ثياب الحداد عليه. ولا يعقدون مجالس العزاء له. وهم بذلك يشبهون شعوب الجرمان القديمة. كما أنهم سنيون متعصبون لمذهبهم ويطبقون الشريعة الإسلامية والأعراف القبلية في معاملاتهم. فإذا حصل خلاف بين طرفين فإنهما يلجآن للقاضي أو الملا ليفصل في القضية، فإذا أزيل الخلاف فأنعم به وإلا فإنه يتم اللجوء إلى رئيس القبيلة الذي يكون قراره نهائياً وقاطعاً. ومع أن المنكوريين رحّل فإنهم يقبلون على العلوم الإسلامية ويدرسونها في مساجدهم.

أما بصدد تسمية المنكور فهناك آراء كثيرة حول ذلك، وأحد هذه الآراء يقول: إن مَنكور تحريف لعبارة مادكور (أي ابن ماد أو ميديا). ويقول آخر: مَنكور يعني مان كر(المحتج). وبعضهم يدعي أن لمنكور علاقة ببلاد منشوريا (يلفظها الإيرانيون منجور)... إلى آخر هذه الآراء العجيبه التي لاسند علمي لها.

ولكن علم الاتيمولوجي Etymology يرفض هذه التفسيرات. ويعتمد على معرفة اللغات القديمة للمنطقة وتاريخ المنطقة، ومعرفة لغة المجاورين للمنطقة لاثبات أصل لفظة ما. ويجب الاحتراز من التفسيرات القائمة على الحدس والظن والاشتباه. إن معنى مفردة مَنكور مايزال مجهولاً إلى الآن(١).

بكثرة خدماته ومواجهته للصعاب وقيامه بالتضحيات في سبيل الدولة وولي نعمتها أن ينال هذه المرتبة العظيمة ويبلغ النجوم في علاها. والحاصل أن في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م أزمع حسن علي خان بأمر من جلالة الشاه على مغادرة أذربيجان والتوجه إلى دار الخلافة طهران، حيث أنعم عليه ذلك الملك المقتدر، وبعد أن مكث في طهران مدة شهرين، وفي الخامس من شهر جمادى الأولى صدر إليه الأمر بالإشراف على ضبط النظام في الحدود الغربية التي تفصل إيران عن الدولة العثمانية وأسندت إليه مهمة حفظ النظام في مناطق الحدود في العراقين وإيالات كُردستان وكرمانشاه وكروس وأفشار وصاين قلعه، وفي الحقيقة فإن تلك المهمة من المهمات الخطيرة في الدولة الإيرانية.

وفي يوم الإثنين الثاني عشر من شهر جمادى الأولى تحرك حسن علي خان إلى تلك المناطق الموما إليها عن طريق ولاية كروس. وأثناء تحركه أناب عنه في حكومة كرمانشاه الأمير ضياء الدولة ابن المرحوم بهمن ميرزا، كما أناب عنه محمد علي خان ظفر الملك ابن المرحوم رضا قُلي خان الوالي في حكومة كُردستان، وأصدر قراراً بجعل ميرزا يوسف مشير الديوان مساعداً ومراقباً لأمور الولاية. وفي الحقيقة فإن اختيار محمد علي خان ظفر الملك نائباً في حكومة كُردستان من أفضل التدابير الملكية، ولم يكن من الممكن اتخاذ قرار غير هذا، بسبب سريان النفاق العام وحالة الشقاق بين عموم أهالي كُردستان. وقد جاء اختياره للنيابة صائباً لأنه علاوة على شرف النسب، أبدى تضحيات عظيمة، وله مايقرب من خمسة وعشرين عاماً في كُردستان، وقد حكم بصدق ولم ينافق أحداً، كما لم يكن له طمع في شيء من أحد وسيتمكن من بث الأمن والهدوء بين أهل الولاية أدناهم وأعلاهم.

والحاصل أن أمير النظام حسن علي خان ورد قصبة بيجار عاصمة كروس في الثالث والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠٩ هـ، وبقي فيها مدة خمسين يوماً لاعتلال صحته وإشرافه على أمور الولاية وإشاعة النظام فيها.

وفي تلك الفترة نعمت ولاية كُردستان بمدنها ومناطقها وسائر حدودها بالأمن والنظام جراء سطوة ذلك الأمير الكبير واهتمام ورعاية ظفر الملك وميرزا يوسف مشير الديوان. وفي الثاني عشر من شهر رجب من السنة

ذاتها، توجه حسن علي خان إلى سنندج عن طريق خسروآباد في كروس وييلاق كُردستان، وكان يحكم خسرو آباد آنذاك رجل اسمه حاجي الله يار خان حفيد ابراهيم خان، وابراهيم خان هذا هو عم حسن علي خان وقد نهض حاجي الله يار خان لاستقبال حسن علي خان قبل فترة من وصوله، وبعد توقف حسن علي خان لمدة يومين في خسروآباد تحرك إلى سنندج فوصلها قبل الغروب بساعتين وذلك يوم الأربعاء في الثامن عشر من شهر رجب، ونزل في قلعة الحكومة. لقد كانت هناك مراسيم استقبال عديدة جرى العمل بها في كُردستان، فألغى حسن علي خان معظمها لنقاء فطرته وعلو همته، ومن جملتها أنه إذا نصب حاكم جديد على كُردستان. فإنه كان يأخذ من فقراء وضعفاء كل قرية ينزل بها أضعافاً مضاعفة من السيورسات له ولمرافقيه. فلم يستسغ حسن علي خان هذه العادة مطلقاً، بل أصبح يأخذ العلف وما يحتاج إليه بأثمانه، وبهذا الشكل أصبح القرويون يستفيدون من مرور موكبه في قراهم.

والعادة الأخرى أنه في يوم قيام الحكومات السابقة، كانت بضعة مدافع تتقدم لاستقبال الحاكم أكثر من نصف فرسخ وتبدأ باطلاق القذائف. فألغاها حسن علي خان لأنه وجد فيها عادة مخالفة لاحترام هيبة الدولة.

والعادة الأخرى التي ألغاها هي أن أهالي المدينة وجماعات اليهود والأرمن كانوا يتقدمون بأضحيات من الثيران والأغنام ويذبحونها على طريق [الحاكم الجديد]. والعادة الأخرى هي أن البهلوانات والدراويش والطبالون كانوا يستقبلون الحكام الجديد بآلاتهم ويظهرون فنونهم ومهاراتهم. وقد ألغى حسن علي خان هذه العادة لكنه أنعم على أولئك القوم.

وكانت قد جرت العادة أن تتوجه أرتال الجنود ورجال المدفعية لاستقبال الحاكم فيصطفون على جانبي الطريق ويقومون بعرض عسكري حتى يصلوا إلى المدينة، لكن حسن علي خان عندما جاء إلى سنندج رفض هذه العادة، وعبر تلك الجموع التي أدت له التحية العسكرية دون أن يعيرها اهتماماً، بل تركها على حالها. ومن العادات التي ألغاها، عادة صياح خدم الحكومة أمام الحكام باصوات مختلفة ومنها صياحهم بلفظ (برید برید).

كما كانت العادة أن يخرج علماء كُردستان لاستقبال الحاكم الجديد على

بعد نصف فرسخ من المدينة، لكن حسن علي خان ألغى هذه العادة أيضاً وأعفى العلماء من هذا الأمر نظراً لاحترامه الشديد لهم، وأمر أن يلتزم العلماء دار الحكومة ويستقبلوا الحاكم هناك لمبايعته وعلى أي حال، وبعد أن نزل حسن علي خان في دار الحكومة كرَّم كل عالم حسب قدر مرتبته ولاطفهم جميعاً. وعندما انتهى من ذلك وقام العلماء من مجلسه. أرسل في طلب أمراء وأمناء كُردستان وأجلس كل واحد منهم في مجلسه حسب العادات القبلية وكرمهم جميعاً.

وفي ذات المجلس خلع على محمد علي خان ظفر الملك خلعة نيابة حكومة كُردستان، وكان حسن علي خان نفسه قد طلب له ذلك المنصب، كما أنه منح أولاد ظفر الملك فرمانات بقيادة الجيش. وفي اليوم التالي قلد ميرزا يوسف وزارة المالية، وبعد أربعة أيام أسند أمر تصريف شؤون اليهود والنصارى – والذي كان فيما سبق من اختصاصات وكيل الرعايا – إلى أمان الله خان الذي كان شاباً كفؤاً، كما أسند إليه أمر مراقبة المدينة والإشراف على الرعية. وفي الواقع فقد أعاد حسن علي خان الحق إلى نصابه، فاستحق بذلك شكر جميع سكان الولاية. فامنح الخلود يارب لظل هذا الأمير على رؤوس الكُرد[٤٥]. وبعد انتهاء مأمورية علي أكبر خان شرف الملك في بانه ومناطق الحدود عاد بأمر من حسن علي خان. كما أحضر محمد خان ابن يونس خان حاكم بانه المقتول إلى كُردستان، وكان قد فر إلى تبريز.

(٤٥) علاوة على المعلومات التي وردت في الكتاب عن أمير النظام حسن علي خان سنذكر معلومات أخرى اقتبسناها من كتاب (نكاهى به تاريخ مهاباد) وهي: بعد سنة ١٣٠٩هـ أسندت إليه مهمة إدارة إيالة كُردستان وكرمانشاه وفي سنة ١٣١٢هـ= ١٨٩٤م ضمت إلى حكمه حكومات ملاير وهمدان وتويسركان وبعد مقتل الشاه ناصرالدين وجلوس مظفر الدين على العرش. أعيدت إليه حكومة أذربيجان. لكنه استقال منها في سنة ١٣١٦هـ= ١٨٩٨م لأسباب شتى.
وفي أوائل سنة ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م أصبح أمير النظام والياً على كرمان وبلوجستان وكان ذلك آخر عهده بالحكم. لأنه توفي في كرمان في الخامس من شهر رمضان من السنة ذاتها عن ثمانين عاماً. فدفن في ماهان في بقعة هيأها قبراً بنفسه.

خاتمة الكتاب

أحمد الله عز وجل وأشكره، إذ وفّقني إلى تأليف هذا الكتاب المستطاب المسمى بالحديقة الناصرية، وأثني عليه إذ تفضل على عبده الذليل الحقير علي أكبر ابن المرحوم ميرزا عبدالله بانهائه هذا الكتاب.

وإذا نجاني الله من براثن الأجل، فإنني سأكتب وقائع الأيام المقبلة في كتب متفرقة وإلا فإنني آمل من أبناء وطني الغيورين أن يدوّنوا الأحداث التي تجري في هذه المملكة الواسعة كُردستان ويحفظوها من آفة النسيان، ويرتبوا الوقائع حسب تسلسل وقوعها. لأن الغيور هو الذي يرفض أن يتعرض اسم وطنه وأبناء وطنه للضياع والاندثار جراء وطأة الزمن وأذى كف الفلك الأعوج. وهذا لايتيسر إلاّ بذكر الأحداث التي تقع في الأوطان. إن أردت إلا النصح (والحمد لله على إتمامه).

الفصل التاسع

ملحقات الكتاب

لقد أضفت في نهاية هذا الكتاب ذكر بعض العائلات المشهورة القاطنة في مدينة سنندج، وذكرت بعض رجالها باختصار ليزداد القراء علماً، ويبقى ذكر هؤلاء القوم في المستقبل. وقد سميت تمام هذا الكتاب وذيله بالملحقات وبالله التوفيق.

الملحقات:

توجد في كُردستان علاوة على العشائر الضاربة في البرية والقبائل الرحّل، عائلات معتبرة تقطن مدينة سنندج، وقد برز من هذه العائلات رجال مشاهير، وظهر من مكمن العدم إلى ميدان الوجود علماء أفاضل، بحيث لو فصلت في شرح أحوالهم وذكر أسمائهم من مبتداهم إلى يومنا هذا لبلغ وزن الكتاب أرطالاً من الورق لذلك وطلباً للإيجاز فإنني سأكتفي بذكر العائلات الكُردستانية ورجالاتها الباقين على قيد الحياة.

وهكذا ينال هذا الكتاب عن تاريخ وجغرافيا كُردستان قسطه من الإلمام بأحوال أولئك الرجال، وإذا كان في الأمر تقديم وتأخير لأسماء الرجال فالمأمول أن تعذروني.

عائلة ولاة كُردستان من بقايا حكام أردلان

لقد قمت بذكر ولاة كُردستان الأردلانيين بالتفصيل في هذا الكتاب، أما الأشخاص الباقون منهم على قيد الحياة. فتفصيل أمرهم كما يلي:

للمرحوم رضا قُلي خان أربعة أبناء، أكبرهم خسرو خان الملقب بالوالي، وقد طوى من سجل حياته إحدى وخمسين سنة. وهو رجل نقي السريرة طاهر الخِلقة حسن الأخلاق. رحيم عطوف على الخَلق. كما أنه أديب وشاعر مطبوع.

والثاني هو محمد علي خان ظفر الملك. يبلغ من العمر تسعة وأربعين سنة،

وهو رجل رؤوف حليم صادق القول والعمل، حازم ذو عزم راسخ، فطن أمين. أظهر كثيراً من الاستعداد والقابلية لخدمة الدولة. وهو الآن في رتبة العميد ويلقب بظفر الملك. وقد نال أمر نيابة حكومة كُردستان، رزقه الله بولدين أكبرهما حاجي نجفقُلي خان وهو من القادة العسكريين، ومع أنه في عنفوان شبابه فإنه يمتاز على أقرانه بالزهد والتقوى والكياسة والفراسة.

والثالث هو محمد خان وقد نال رتبة العقيد، وتبدو الفطنة ظاهرة من أحواله.

أما الابن الرابع من أبناء رضا قُلي خان فهو أبو الحسن خان فخر الملك ويبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً، وهو ذو تربية [حسنة]. وقد أظهر كفاءة في أمور الملك وخدمة الشاه. فهو منذ بداية حياته وحتى الآن يعمل في خدمة الشاه ناصرالدين وقد نال جراء ذلك حظوة لدى جلالته. فهو من المقربين إلى البلاط الآن. وهو يجمع في شخصه الكياسة والفراسة ونبل الأدب وكره الرذائل.

ولهؤلاء الإخوة أم هي طوبى خانم أخت الشاه المرحوم محمد قاجار، وبذلك فقد جمعوا الأصل النبيل من طرفيه.

أما أولاد المرحوم أمان الله خان الوالي المشهور فهم ثلاثة أكبرهم حسين قُلي خان المشهور بـ(خان خانان) وله من العمر تسعة وثلاثون عاماً، وهو شاب حليم لطيف طيب السريرة، طاهر الأصل، سليم الفطرة، وهو ذو قابلية واستعداد لشتى أنواع خدمة الدولة، وعلاوة على سمو أصله فهو ذو تربية وأدب. ومن سوء حظه أن والده رحل من هذه الدنيا الفانية ولما يبلغ هو سن الرشد، فتشتت تركة أبيه وتناهبها الأشرار من الناس. والذي يقيم أوده الآن راتب خصصته له الدولة ويبلغ ألفاً وثلاثمئة تومان.

أما الآخران فهما محمد كريم خان المشهور بحاجي خان ومحمد كاظم خان، وقد قنع هذان الشابان بنجابة أصلهما فلم ينصرفا إلى اكتساب الفنون والآداب.

ومن مشاهير الأردلانيين علي أكبر خان شرف الملك ابن المرحوم محمد صادق خان ابن المرحوم أمان الله خان الكبير وله ثمانية وخمسون عاماً. وهو في غاية القوة والذكاء والشجاعة وقد بلغ المراتب العليا في الفصاحة. وهو

يميل إلى صحبة العارفين والفقراء ويشتهر بين العامة بقابليته واستعداده الفطري. وقد أمضى حياته في خدمة الدولة بشتى الوسائل. وثمة جماعة من الأهالي تؤازره وجماعة أخرى تعاديه، ولكنني لست قادراً على بيان سبب مؤازرة الناس له ولا أعرف سبباً لمعاداتهم إياه، ذلك تقدير العزيز العليم. وقد رزقه الله سبعة أبناء ذكور أكبرهم سليمان خان، وهو شاب كبير العقل، صادق السيرة، وقد استلم زمام الحكم في جوانرود عدة سنوات، أما الابن الثاني فهو علي أصغر خان المشهور بـ(بگلربگي). والثالث هو أوسط خان وقد حاز هذان الأخيران مختلف أنواع الكمالات. ولسائر أولاده الآخرين آثار عظيمة، وكلهم مشغولون بإكتساب الآداب.

عائلة الوزراء

جاءت هذه العائلة إلى سنندج واستوطنتها منذ مايقرب من مئتي عام، وقد تسنم رجالها الوزارات جيلاً بعد جيل، ومع مرور الزمن افترقت هذه العائلة إلى عدة شعب، وقد برز منها رجال مشاهير من جملتهم: ميرزا عبدالله وميرزا أحمد الذي كان من أجود الرجال في عصره. أما ميرزا عبدالله فقد كان سحبان الثاني في البلاغة والفصاحة وآية في الجمال والملاحة. وقد أرسله ملك إيران القاجاري (فتح علي) سفيراً خاصاً إلى روسيا فقام بسفارته تلك خير قيام. وفي سنة ١٢٣٥هـ = ١٨١٩م قُتل في ميدان إحدى المعارك التي وقعت في زمن محمد حسن خان ابن أمان الله خان الكبير الذي سبقت الإشارة إليه.

ومن رجالات هذه العائلة ميرزا عبدالكريم بن محمد رضا الوزير وكان يلقب بالمعتمد، امتلك ناصيتي الفروسية والأدب [حرفياً: كان صاحب سيف وقلم...] وقد ظهرت منه علامات الذكاء في حرب محمد حسن خان ابن أمان الله خان الكبير تلك الحرب التي أصيب فيها بضربة سيف على عنقه، وبعد أن شفي من أثر تلك الضربة بقيت عنقه مائلة.

ومن رجالات هذه العائلة الأخوان ميرزا فرج الله وميرزا هداية الله الوزير. وقد كانا في منتهى الجود والسخاء، واشتهرا بعلو الهمة، وقد استقل هداية

الله إبان حكم الشاه محمد القاجاري بحكومة كُردستان ثمانية عشر شهراً. ومن رجالاتها الأخوان ميرزا محمد رضا الوزير وميرزا عبدالغفار المعتمد، وكانا مضرب المثل في سلامة الفطرة. أما ميرزا محمد رضا فقد تسلم منصب مستوفي الديوان بعد أن بقي وزيراً في كُردستان مدة عشرة أعوام. كما اشتغل في خدمة عزيز خان القائد العام عدة سنوات، وتوفي سنة ١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م عن ثمانية وخمسين عاماً بعد أن أبلى بلاءً حسناً في جميع الأفواج الإيرانية.

أما أخوه ميرزا عبدالغفار فقد كان أيضاً صاحب إحسان وسخاء، ونال لقب الخان ولقب مستوفي الديوان، وتوفي سنة ١٢٩٦هـ = ١٨٧٨م في سن السابعة والستين. وقد خلف ميرزا محمد رضا الوزير ثلاثة أولاد أكبرهم ميرزا يوسف مشير الديوان الذي يبلغ من العمر تسعة وأربعين عاماً، وبه اشتعل من جديد مصباح هذه العائلة بعد وفاة ميرزا محمد رضا. وهو رجل عالم صادق القول والعمل. وفي الحقيقة فهو أحد أركان كُردستان الأربعة. وبقي في وزارة كُردستان اثني عشر عاماً كاملاً ونال رتبة مستوفي الديوان وسائر الأمور الديوانية فأظهر القدرة في خدمة الدولة في كافة المجالات. وله اليد الطولى في صدق الفعال وحسن معاملة الآخرين. وقد رزقه الله ثلاثة أولاد أكبرهم حسن خان البالغ من العمر سبعة وعشرين عاماً وقد حاز إحدى الرتب العسكرية (سرتيب) وهو في غاية الذكاء والسخاء، ونال مناصب عديدة من الحكومة في أمور الحدود.

أما الآخران فهما نواب خان وعبدالعلي خان، وتبدو عليهما أمارات الذكاء والقابلية ويشرف الآن والدهما على تربيتهما وتنشئتهما.

أما ابن الوزير ميرزا محمد رضا الثاني فهو ميرزا صادق خان رئيس الديوان، وله من العمر واحد وأربعون عاماً. وهو في غاية الفتوة والمروءة والهمة والسخاء ولا مثيل له في تدبير الأمور، وهو يعتبر منذ خمسة عشر عاماً مرجعاً في شؤون الحدود علاوة على كونه رئيس ديوان المحاسبة في الولاية. ولقد سافر مرتين إلى طهران وتشرف بلقاء جلالة الشاه ناصرالدين، حيث عاد من هناك بمنصب رئيس ديوان المحاسبة. لكن الحظ لايواتيه بالرغم

من خبرته وقابليته.

أما الابن الثالث للوزير ميرزا رضا فهو ميرزا علي نقي وله من العمر ثمان وثلاثون عاماً. وهو رجل عاقل كامل ذا رأي وتدبير، وله إلى جانب سيرته الحسنة قوة في العقل. وإن ابتسم له الحظ فإنه سيحظى بترقيات عظيمة. وقد أصبح سنة ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م كبير تجار كُردستان، كما حاز منصب كاتب ديوان الجند، واستحصل الخراج من أقطار كُردستان عدة مرات، والآن أُسندت إليه لكفاءته أمر عشائر كُردستان.

أما ميرزا عبدالغفار خان المعتمد شقيق الوزير محمد رضا فقد رزق أيضاً بثلاثة أبناء أكبرهم ميرزا أحمد خان البالغ من العمر أربعاً وثلاثين سنة وهو شاب شجاع سخي لطيف المعشر عذب الكلام، وقد نال حظاً من العلوم الرسمية وأمضى معظم حياته سواء في حياة والده أو بعد وفاته في حكم الأقطار. أما الابن الثاني فهو ميرزا تقي خان وهو رجل حليم سليم حسن الفعال والأقوال زانه في الرأي متانة وفي العقل رزانة وله من العمر حوالي ثلاثين عاماً.

أما الابن الثالث ميرزا محمد علي خان فهو شاب متوقد الذهن ماهر حاذق يسعى وراء السمعة الحسنة، وهو الآن يحمل رتبة عقيد بمنتهى الجدارة واللياقة، ومن المأمول أن يترقى في مراتبه.

عائلة الوكلاء

منذ أكثر من أربعمئة سنة وهذه العائلة تتقلب في منصب الوكلاء في كُردستان، وقد برز منها رجال مشاهير من جملتهم إبراهيم بك الذي كان وكيلاً في كُردستان أيام حكم نادر شاه الأفشاري. وقد غرمه نادر شاه بعشرة آلاف (نادري) وكانت تعادل اثني عشر ألف تومان لأنه وزع الحبوب والميرة زمن القحط على فقراء كُردستان، وكان شريكه في هذا العمل أحمد خان حاكم كُردستان الذي نال نصيبه من تلك الغرامة.

ومن نجباء هذه العائلة حاجي محمد رشيد بك، وقد كان فريد عصره ووحيد دهره في الذكاء والسخاء، وكان براً عطوفاً بالرعية. فقضى الكثيرون

أيامهم هانئة في عهده وتشرفوا بزيارة بيت الله الشريف.

وقد كان لحاجي محمد رشيد بك أربعة أبناء نالت من سير حياتهم مقاريض المخالفين. ومن جملة عظماء هذه العائلة أمان الله خان الوكيل وهو من نسل حاجي محمد رشيد بك. وكان جواداً كريماً، حاز قصب السبق في السخاء على جميع أسخياء عصره، وقد حكم مدة طويلة.

ومنهم أسد الله خان الوكيل الذي كان صادقاً في القول والعمل شجاعاً ذكياً جواداً سخياً حوى جميع الخصال الحميدة، وقد عاشرته دهراً في السفر والحضر فلم أرى منه سوى سلامة الفطرة وحسن الخلق والمروءة. وقد توفاه الله سنة ١٢٩٩هـ = ١٨٨١م.

ومن رجالات هذه العائلة الباقين على قيد الحياة أمان الله خان الوكيل [الذي تقدم ذكره] وقد طوى اثنتين وثلاثين مرحلة من مراحل عمره. وهو شخص طاهر الذيل نقي السريرة، لايعرف الغش والخداع في معاملته مع الصغار والكبار. ومع كونه شاباً فقد قدم خدمات جلى للدولة في المأموريات التي أسندت إليه. وهو يصحب العلماء والعارفين وله مهارة كاملة في التاريخ.

ومن رجال هذه العائلة درويش بك كبير الخدم (فراشباشي) في ولاية سنندج وله من العمر مايقرب من أربعين عاماً. وهو رجل طيب الأصل، صادق القول مع الناس، ومحط قبول العامة، وله نصيب من السخاء وحسن التدبير.

عائلة الملالي

إن أول رجل في هذه العائلة هو الملا يعقوب الذي ترقى في مدارج الرفعة سنة ١٠٠٨هـ = ١٥٩٩م في عهد حكومة هلوخان والي كُردستان في قلعة پلنگان.

وقد برز من هذه العائلة علماء أفاضل من جملتهم ملا حسين وهو من أحفاد ملا يعقوب. وكان رجلاً عظيماً حاز المقامات الدنيوية والأخروية. وقد ارتحل من سنندج إلى الدولة العثمانية، بسبب جور نادر شاه الأفشاري. وهناك لقي الاحترام والاعزاز.

ومن هذه العائلة ملا مهدي شيخ الإسلام الذي كان رجلاً عالماً فاضلاً صاحب شريعة، فقد بذل جهوداً وافرة في نشر أحكام شريعة النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه، وكان أحد زعماء الولاية في زمانه.

ومن العلماء الأجلاء في هذه العائلة ملا أحمد شيخ الإسلام، وفي الحقيقة لم يظهر في كُردستان رجل في مثل أمانته وصدقه وديانته، ولقد كان صوفي المشرب فذاع صيته حتى صار له الأمر والنهي عند جميع أهل كُردستان أكثر من الحكام. وقد توفاه الله سنة ١٢٩٩ هـ = ١٨٨١م.

ومن الباقين على قيد الحياة ملا عبدالرزاق أمين الإسلام الذي يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً، وهو رجل طلق المحيا حسن السيرة، وله يد في البذل والعطاء، وقد تدرج في مسالك الفضل والأدب، وهو لهذه الصفات الحسنة أحد رؤساء الولاية.

ومن فضلاء هذه العائلة ملا محمد صالح فخر العلماء، حاز قصب السبق في ميادين العلم والفضل والتقوى والصلاح ونجابة الأصل، وفي الحقيقة فهو اليوم أعلم علماء كُردستان وهو جامع العلوم العقلية والنقلية. ومن رجال هذه السلسلة ملا محمد مهدي شيخ الإسلام ولقبه بهاء الدين، وهو من الأسخياء المشهورين والعلماء الموفقين في هذا العصر، توفي سنة ١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م وهو في الرابعة والثلاثين من عمره [؟].

ومنهم ملا محمد أمين الإسلام وهو نجل ملا محمد مهدي وشقيق ملا أحمد شيخ الإسلام، ولا نظير له في الدراية والكفاءة وحسن التدبير. وقد تشرف بلقاء جلالة الشاه سبع أو ثماني مرات. توفي سنة ١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م عن ستة وستين عاماً.

ومنهم ملا إبراهيم والد عباس شيخ الإسلام وملا فتح الله شيخ الإسلام، أما ملا عباس فقد كان عالماً فاضلاً تقياً وبقي في منصب شيخ الإسلام سنوات عديدة، ورسائله الشرعية الآن موضع ثقة واعتماد أهل المملكة.

أما ملا فتح الله فقد قضى عمره في الزهد والتقوى وحسن الخلق وطهارة السريرة، وبعد أن طوى من سجل حياته اثنتين وسبعين سنة توفي في سنة ١٢٨٢هـ = ١٨٦٢م. ومن فضلاء هذه الطائفة ملا لطف الله الذي هو الآن

شيخ الإسلام في الولاية. وهو عالم فاضل وعارف وقدوة لسكان المنطقة. وله وسط مدينة سنندج عمارة تعد من العمارات العالية الحصينة، وقد جر إليها قناة ماء. وله من العمر حوالي الستين عاماً.

ومنهم ملا هداية الله شيخ الإسلام الذي كان عالماً فاضلاً ينهج منهج الدراويش ويعتبر من العارفين والمؤرخين والحكماء في عصره. وقد تخلى باختياره عن المناصب التي ورّثها أبوه إياها. وبعد أن قضى من عمره خمسة وسبعين سنة، توفي سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م دون أن ينجب أولاداً.

ومن رجال هذه الطائفة ملا محمد هادي الذي يعيش حالياً، وهو رجل متدين تقي جواد خيِّر. وليس له طمع في شيء من أعراض الدنيا. وقد أضحت داره محط الرحال وملاذ الرجال.

ومنهم ملا محمد صادق معين الإسلام وهو عالم عاقل متزين بحلية العلم والأدب وفي غاية الوقار والتمكين.

ومن مشاهيرهم ملا إسماعيل وهو عالم كامل له اطلاع واسع على علم التنجيم والفلك وله ولد اسمه ملا علي القاضي يبلغ من العمر الآن ثمانين عاماً، وهو شخص لطيف ظريف ومتكلم حاذق، نال نصيباً وافراً من العلوم العقلية والنقلية وخاصة علم النجوم وهو يسلك مسالك الشريعة ويقطع وديان الحقيقة، ويعتبر من جملة العارفين في هذا الزمان، وله ولد اسمه ملا محمد جعفر وهو كبير القائمين على ضريح پير عمر عليه السلام وله من العمر خمسون عاماً، وهو شخص عالم فاضل عاقل صاحب ديانة وأمانة. ومن هذه الطائفة ملا عبدالرحيم ناظم الشريعة له أربعة وأربعون سنة وهو ابن ملا حسن ابن ملا سعيد [وهو] شقيق ملا محمد مهدي شيخ الإسلام.

وعلى كل حال فإن ملا عبدالرحيم ناظم الشريعة يقتفي أثر أجداده الكرام ويسلك سبيل الشرع ويملك مسند الورع.

عائلة المشايـــخ

من العوائل الأخرى في كُردستان عائلة الشيوخ المردوخيين، ومردوخ قرية من قرى الشام ينتسب إليها جدهم پير محمد[١] الذي هاجر إلى كُردستان.

وقد ظهر من هذه العائلة علماء أفاضل يعجز القلم عن ذكرهم، ولو أردت أن أذكرهم واحداً واحداً لتوجب علي تحرير كتاب آخر، ولكنني سأتحدث عن رهط من الذين دخلت في خدمتهم وصحبتهم وقد لاقوا وجه ربهم منذ أمد قريب.

وتعتبر هذه الطائفة خالدية ينتهي نسبها إلى خالد بن الوليد[٢]، وسوف أفصّل في نسبهم قريباً إن شاء الله، وعلى أي حال فإن من جملة العلماء الأفاضل أربعة أنجال للمرحوم الشيخ سعيد[٣] وهم على الترتيب: الشيخ عبدالقادر، الشيخ وسيم، الشيخ جسيم، والشيخ نسيم.

أما الشيخ عبدالقادر فقد هاجر سنة ١٢٧٢هـ = ١٨٥٥م إلى الدولة العثمانية حيث لقي فيها الاحترام البالغ وأصبح ثقة يعتمد عليه، إلى أن توفي سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م بعد أن بلغ من العمر مئة عام ولقد صرف عمره سواء في إيران أو في بلاد العثمانيين في التدريس والتعليم والتأليف والتصنيف وحاله غنية عن التعريف، وتشهد تصانيفه التي تركها وراءه على

(١) پير محمد: هو الشيخ محمد المردوخي، هاجر إلى كُردستان وأصله من مردوخ قرية في بلاد الشام (ولعلها تل مرديخ القريبة من سراقب في محافظة إدلب السورية) استوطن أورامان في بداية هجرته.

(٢) إن قصة الانتساب إلى خالد بن الوليد، من المواضيع المحيرة لدى بيان أنساب بعض الأعلام الكُرد، فقد ادعى هذا النسب كثيرون ومنهم امراء بوطان. مع أن جميع المصادر التاريخية تجمع على أن نسل خالد قد انقرض سريعاً ولم يبق من ذريته أحد، وقد قال صاحب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقاً ولا غرباً وأن من انتمى إليهم مبطل في انتمائه، وكل مَن ادعى إليه فقد كذب. ويقول القلقشندي في صبح الأعشى: قد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه(١)، أما صاحب أسد الغابة فيقول: قال الزبير بن أبي بكر: وقد انقرض ولد خالد بن الوليد، فلم يبق منهم أحد، وورث أيوب بن سلمة دورهم في المدينة (٢). ويقول ابن حزم الأندلسي: انقرض عقب خالد في طاعون وقع بالشام(٣).

(٣) لم نعثر على ترجمة خاصة للشيخ سعيد في المراجع الموجودة بين أيدينا.

فضله وعلمه ومعرفته[٤]. أما الشيخ وسيم فهو أفصح العلماء، ولم يكن من يجاريه في نشر الفضائل وإشاعة العلم، وكان حاذقاً في الشعر والنثر والعلوم العقلية والنقلية، وقد توفي سنة ١٢٧٤هـ = ١٨٥٧م عن ستة وخمسين عاماً[٥].

أما الشيخ جسيم صدر العلماء فقد كان حجة في الفلك والرياضيات وشعلة متقدة في المنطق والحكمة، وحصل على لقب حجة الإسلام[٦]. وقد توفي سنة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م عن ثمانين عاماً. ولقد تشرفت بصحبة هؤلاء الأفاضل المحترمين الثلاثة عدة مرات وتزودت من بيادر علمهم.

أما شقيقهم الرابع الشيخ نسيم فهو على قيد الحياة الآن ويدرس في إحدى

(٤) الشيخ عبدالقادر المهاجر وفي تاريخ السليمانية الشيخ عبدالقادر السنوي نسبة إلى(سنه – سنندج) عين بعد هجرته إلى السليمانية مدرساً في مسجد الملا محمود وخصص له بأمر السلطان عبدالمجيد راتب جيد. له مؤلفات منها (حاشية اللاري) وحاشية (اثبات الواجب) وشرح (رسالة الزوراء) توفي سنة ١٣٠٣هـ فدفن في گرد سيوان.
وفي كتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين) أنه ولد سنة ١٢١١هـ= ١٧٩٦م في سنندج ولما توفي والده سنة ١٢٣٦هـ= ١٨٢٠م قام مقامه إلى أن هاجر إلى السليمانية سنة ١٢٧٢هـ= ١٨٥٥م ولما استقر هناك عرض محافظ السليمانية قدوم الشيخ إلى السلطان عبدالمجيد مع نسخة من كتابه تقريب المرام شرح تهذيب الكلام فانشرح صدر السلطان بهجرته وأمر بصرف راتب له ولأسرته. كان له من الأبناء الشيخ محمد سعيد، الشيخ عبدالكريم، الشيخ محمود الشيخ أحمد، توفي سنة ١٣٠٤هـ= ١٨٨٦م ودفن أسفل التل المقابل لمسجده.
وفي هدية العارفين: الشيخ عبدالقادر بن الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد التختي المردوخي السنندجي الكُردي الشافعي. هاجر إلى بلدة السليمانية وسكن ودرس إلى أن توفي بها سنة ١٣٠٤هـ. مولده سنة ١٢١١هـ. من تصانيفه تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام مطبوع مع حاشية المحاكمات لأخيه محمد وسيم الكُردي (انظر الهامش رقم٥) وله أيضاً رسالة العلم، وكشف الغطاء.

(٥) الشيخ وسيم: في كتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين) أنه ولد سنة ١٢١٩هـ= ١٨٠٤م ودرّس في مدرسة دار الإحسان المسلمة إلى والده، واستوى في الدراسة وتخرج، ولما شرح أخوه الشيخ عبدالقادر المهاجر كتاب التهذيب علّق على شرحه بالحاشية الوسيمية التي تعتبر من أدق الحواشي وارقها. [وهي الحاشية التي سماها اسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين حاشية المحاكمات]. وله رسالة في إثبات الواجب وإثبات المعاد. ورسالة في تقرير الوجود والعدم بليغة دقيقة جداً. ولما هاجر أخوه إلى السليمانية بقي في سنندج مدة على غير مدرسة دار الإحسان، ثم رجع إليها، ثم زال عنها بوشاية بعض الوشاة. ثم توفي سنة ١٢٧٥هـ= ١٨٥٨م.

(٦) الشيخ جسيم: هكذا ورد اسمه في الحديقة الناصرية، ولم أجد له ترجمة فيما توفر عندي من مراجع.

المدارس الرشدية [؟] في الدولة العثمانية. وقد بلغ الكمال في العلم والفضل وله من العمر الآن سبعون عاماً[٧]. ومن علماء هذه العائلة الأفاضل، الشيخ محمد فخر العلماء الذي توفي سنة ١٣٠٠هـ = ١٨٨٢م عن اثنين وسبعين عاماً. وكان بارعاً في الكتابة والإنشاء. فخوراً بحسبه ونسبه بين العرب والعجم. ولم يكن له نظير في العلم والفضل. وفي الحقيقة كان جامع علوم الظاهر والباطن وحاوي فضائل العقل والنقل. وكان له إلمام واسع بسائر أنواع الفنون والآداب، ماهراً في نظم الشعر بالعربية والفارسية. وكان يبز النظائر والأقران في طلاقة اللسان وفصاحة البيان. وقد جمعت بعض تحريراته ومكاتباته ولا بد من عصور تتوالى حتى يظهر إلى ميدان الوجود رجل مثله... نظم:

يجب أن تمر أعوام حتى يظهر من لطف الإله
بايزيد آخر في خراسان أو أويس في قرن

وإني لأعتذر للقراء عن عدم استطاعتي شرح حال هذا الرجل العظيم لأنه:

إن تحولت كل شعرة مني إلى لسان، ولهجت بالحمد والثناء
فإنني أبقى مع ذلك كله أخرسَ، ولن أوفيه حقه من المديح.

ومن جملة علماء هذه الطائفة المعاصرين، الشيخ يوسف المدرس وكان لقبه رئيس العلماء، وقد توفي سنة ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م عن سبعة وستين عاماً. وكان عالماً فاضلاً ماهراً في النثر والشعر. أما الباقون على قيد الحياة من هذه الطائفة فهم:

الشيخ رضا أمين الشرع ابن المرحوم الشيخ وسيم، وهو من فضلاء

(٧) ولد الشيخ نسيم سنة ١٢٢٣هـ= ١٨٠٨م حسب كتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين). وعلى هذا يكون عمره سنة ١٣٠٩هـ بلغ ستة وثمانين عاماً. وهذا يخالف مايقوله علي أكبر من انه بلغ سبعين عاماً سنة ١٣٠٩هـ.
وقد هاجر الشيخ نسيم مع أخيه الأكبر الشيخ عبدالقادر إلى السليمانية، فاستقر فيها مدة ثم تعين مدرساً في مركز ناحية خورمال. ويقول عبدالكريم المدرس نقلاً عمن يثق به: أنه كان زاهداً متهجداً لايترك صلاة الليل بدون عذر. وأنه كان يتضرع إلى الله بالعربية ثم بالفارسية ثم باللغة الكُردية العامة ثم باللهجة الأورامية وهي لغة أهله وآبائه. وعند ذلك يبكي زماناً ثم يعود إلى فراشه وينام. وكان هذا دأبه في ليالي حياته. توفي سنة ١٣١٥هـ = ١٨٩٧م.

عصره، يمتلك أعنة الفنون والآداب. ومنهم الشيخ أبو الحسن صدر العلماء ابن الشيخ جسيم حجة الإسلام. وهو زاهد تقي. والآن سأفصل نسب هذه السلسلة من المشايخ المردوخيين كما وعدت سالفاً:

الشيخ محمد فخر العلماء بن إمام الدين بن الشيخ محمد بن الشيخ جسيم بن الشيخ محمود بن الشيخ أحمد[٨] بن الشيخ مصطفى[٩] بن الشيخ شمس الدين[١٠] بن الشيخ عبدالغفار[١١]، بن مولانا كشايش بن مولانا إسفنديار بن مولانا فيروز بن پير محمد المشهور بـ(مرودخه) بن الشيخ شمس الدين بن الشيخ أبي بكر بن الشيخ شهاب الدين بن الشيخ محمد صالح بن الشيخ يوسف بن الشيخ محمود بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ أحمد بن الشيخ شرف الدين بن أبي بكر بن سليمان بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن مرز [؟] بن هاشم بن عبد مناف[١٢].

(٨) هو الشيخ أحمد التختي الملقب بالعلامة الأول، ولد في قرية تخته التابعة لسنندج سنة ١٠١٦هـ = ١٦٠٧م وتوفي سنة ١١٤هـ = ١٧٠٢م وخلف ولدين هما محمد وسيم الكبير المدرس بمدرسة (قلعة چوالان) مركز أمراء البابان. والآخر هو الشيخ محمود.

(٩) الشيخ مصطفى: ولد سنة ٩٥١هـ = ١٥٤٤م لازم مجلس إفادة الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي واستجازه فأجازه. وبعد أخذ الإجازة رجع إلى (تخته) في سنندج فأخذ يدرس فيها له قصائد في التصوف باللغة الكُردية. توفي سنة ١٠٤٧هـ = ١٦٣٧م في قريته فدفن فيها.

(١٠) الشيخ شمس الدين: ولد سنة ٩١٢هـ= ١٥٠٦م كان صالحاً زاهداً عابداً عالماً جليلاً لاسيما في علم الزيج والرياضيات وعلم الحروف. انتقل من أورامان إلى قرية دەرەهەرد في ناحية كلات أرزان واشتغل بالوعظ والتدريس إلى أن توفي هناك. وخلف أولاداً ثلاثة هم الشيخ عبدالغفار والشيخ مصطفى والشيخ حسن. وكانت وفاته سنة ٩٨٥هـ= ١٥٧٧م.

(١١) الشيخ عبدالغفار: هو الشيخ عبدالغفار المردوخي الأول. ولد في مركز هورامان سنة ٨٤٧هـ = ١٤٤٣م وتربى عند والده وصار من نوابغ أيامه. وبعد إكمال دراسته انتقل إلى قرية ده كاشيخان البعيدة عن هورامان [أورامان] بمسافة ست ساعات. وتوفي سنة ٩٣٤هـ فدفن في مقبرة القرية.

(١٢) إن نسب خالد بن الوليد في كتب الأنساب هو كما يلي: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي (...) بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
أما هاشم بن عبد مناف فكان له من الأولاد: شيبة وهو عبدالمطلب جد النبي، ونضلة، وأبو صيفي، وأسد. وهؤلاء انقرضت أعقابهم فلم يتركوا ذرية إلاّ عبدالمطلب (١).
وما يورده علي أكبر من سلسلة نسب خالد بن الوليد خطأ، فخالد مخزومي وليس هاشمياً.

عائلة السادات

من العوائل الأخرى في كُردستان، عائلة السادات ذوو الدرجات العالية، وهم متفرعون إلى فروع شتى منها فرع سادات باينجوب ويرأسهم الشيخ أحمد المدفون في قرية باينجوب وكان من أقطاب عصره، وقبره مزار كافة أهل الولاية. ومن فروعها سادات صلوات آباد ويرأسهم شيخ رش [الشيخ الأسود] الذي كان ولياً عظيماً. وهو مدفون في قرية نايسريك على بعد فرسخ واحد من سنندج وقبره يزار، ومن هذا الفرع أيضاً ملا إبراهيم المدفون في صلوات آباد وكان أيضاً من الأقطاب وقبره مزار للجميع.

ومن فروع السادات، فرع كلجي ويرأسهم سيد صالح المدفون في قرية كلجي وكان من أقطاب عصره، ومن أحفاده سيد جلال الدين الذي يعيش حالياً وهو رجل زاهد ورع، قضى عمره في العبادة، ومن الفروع الأخرى فرع سادات شيخ الإسلام الذين تقلبوا في منصب شيخ الاسلام منذ عهد السلطان سنجر حتى عام ١٢٢٠هـ = ١٨٥٥م وينتمي إلى هذا الفرع سيد زكي وسيد محمود، وهما من الرجال المعتبرين وكانا محل تقديس الناس ولهما رسائل شرعية معتمدة وموثوق بها. وقد قتل هذان الرجلان (الأب وابنه) على يد حاكم كُردستان حيث انقطعت بعد قتلهما سلسلة هذا الفرع، وانتقل منصب شيخ الإسلام إلى ملالي كُردستان.

عائلة كلب علي بك

هذه العائلة فرع من عائلة بني أردلان وينتهي نسبها بعد ستة أجيال إلى كلب علي خان بن سليمان خان باني مدينة سنندج، وقد ظهر فيها رجال شجعان أذكياء، منهم لطف علي بك بن كلب علي بك وهو على قيد الحياة الآن في منصب الياور في فوج ظفر كُردستان، وهو رجل كفؤ عاقل.

عائلة ميرزا شفيع

برز من هذه العائلة رجال كرام فضلاء من جملتهم الله ويردي وميرزا

شفيع. ومن الإنصاف القول أنهما كانا من الكاملين في زمنهما. أما ميرزا الله ويردي فقد كان يمتلك ناصية الفنون والآداب وله مهارة في علم جباية الخراج. ومن هذه العائلة ميرزا اسماعيل الذي توفي سنة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م عن أربعة وستين عاماً. وكان طاهر النفس عاقلاً ديِّناً أميناً. خلف أربعة من الأولاد اقتفوا أثره أحدهم يعمل الآن مأموراً في جباية الضرائب والآخر من القادة العسكريين. كما أن الله ويردي خلف ولدين أحدهما ميرزا مصطفى.

عائلة حاجي محمد آغا

من جملة رجال هذه العائلة العقلاء الشجعان رستم بك والحاج شيخ محمد وهو باق على قيد الحياة الآن، كما أنه رجل عابد زاهد تقي ويعتبر من كبار مشايخ العصر وقد سبق ذكر تفاصيل حياته عند الحديث عن قرية سمران. له من الأبناء الشيخ محمد أمين شريعتمدار وهو يسير على خطى والده في الزهد والتقوى والفضل والعلم. وقد انحصر عمله في التأليف واختص في مجال الأحاديث النبوية.

عائلة كمانگر

هذه العائلة من ذرية پير ميكائيل الذي كان أحد الأقطاب في عصره، ورجال هذه العائلة كانوا وما يزالون شجعان أذكياء، وقد برز منهم رجال متدينون من جملتهم مولانا أحمد وهو أحد خلفاء مولانا خالد الكُردي [النقشبندي][١٣]. وكان من جملة أقطاب زمانه، ويخلفه الآن في تكية الإرشاد

(١٣) مولانا خالد الكُردي: في هدية العارفين: هو العارف بالله ضياء الدين أبو البهاء خالد بن حسين الشهرزوري العثماني الشافعي النقشبندي. قدم دمشق وسكن وتوفي بها سنة ١٢٤٢هـ= ١٨٢٦م. من تصانيفه (جلاء الأكدار والسيف البتار بالصلاة على النبي المختار). ديوان شعره فارسي. (رسالة الرابطة في اصطلاح السادة النقشبندية) (شرح مقامات الحريري لم يكمل)... إلخ. أما في كتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين) فهو خالد بن أحمد بن حسين. من عشيرة الجاف فرع الميكائيلي... من أولاد پير ميكائيل الدوراني، من أولاد عثمان بن عفان... ولد سنة ١١٩٣هـ= ١٧٧٩م في ناحية قره داغ، تخرج على يد الشيخ قسيم السنندجي وبعد أن عاد من الحج، سافر إلى دلهي ليتلقى الطريقة من غلام علي عبدالله الدهلوي ثم رجع إلى كُردستان. =

ولده حاجي شيخ عبدالله.

ومن جملة رجال هذه العائلة الأخوان ميرزا مصطفى وميرزا محمد علي، والحق يقال فإن ميرزا مصطفى رجل شجاع ذكي مقبول شريف متواضع. أما ميرزا محمد علي فهو شخص عالم كفؤ، وقد أمضى الاثنان سنوات عمرها في الذكر الحسن. ومن رجالها أيضاً محمود بك المشهور في هذه المملكة بالشجاعة والسخاء.

عائلة البـــراز[١٤]

لقد ظهر من هذه العائلة رجال رشيدون وشجعان ذوو همة. أما جدهم

= وبعد مدة ضجر من الحياة في السليمانية فانتقل إلى بغداد. وهناك رجاه الأمير الباباني محمود باشا أن يعود إلى وطنه. فعاد وبنى له الأمير خانقاهاً. ثم انزعج من السليمانية فتركها لآخر مرة ورجع إلى بغداد ثم سافر منها إلى دمشق فبيت المقدس. ثم عاد إلى دمشق ومات سنة ١٢٤٢هـ= ١٨٢٦م ودفن بجبل قاسيون.

طبع ديوانه في اسطمبول ١٢٦٠هـ= ١٨٤٤م وفيه أشعار بالكُردية والفارسية والعربية.

أما عن تبرمه من السليمانية فيحدثنا محمد أمين زكي في كتابه (تاريخ السليمانية) قائلاً: أن مولانا خالد لما رجع إلى السليمانية ضم الكثيرين إلى طريقته، مما جعل أرباب الطريقة القادرية يقتونه(١). ثم لما عاد حسب رجاء الأمير محمود باشا الباباني إلى السليمانية اشتدت نقمة المنافسين له حتى اخترمت فكرة قتله في أذهان أعدائه. وشعر مولانا خالد بذلك فاتجه إلى بغداد. ثم بعث بخليفته الشيخ أحمد الأربلي إلى الشام. وتهيأ له الجو هناك فبعثوا وراءه. بينما كان محمود باشا يطلب منه العودة إلى السليمانية. إلا أن الشيخ خالد فضل السفر إلى الشام. وبعد مدة مات فيها بالطاعون فرثاه علماء الشام وفضلاؤها.

(١٤) البراز: من قبائل كُردستان الكبيرة ورد ذكرها في شرفنامه للأمير شرفخان البدليسي وادعى البدليسي أن فرقة (بَرازي) انقسمت مع سبعة فرق أخرى من السليماني التي ينتهي نسب أمرائها إلى مروان الحمار آخر خلف بني أمية [والدة مروان الحمار كُردية]. ويضيف البدليسي أن المروانيين استطاعوا بعد اشتداد عود العباسيين من مغادرة فلسطين بعد أن هربوا إليها في عهد أبو العباس السفاح. ولجؤوا بقيادة ثلاثة من أولاد مروان إلى ولاية (قلب = كليب) في ديار بكر وسكنوا في وادي الخوخ من أعمال ناحية (غزالي) فالتف حولهم عشيرة البانوكي فعلا شأنهم وفتحوا قلاعاً عديدة وحرروا قلاعاً أخرى من أيدي الگُرج (الجورجيين) والأرمن. ولحق بهم معظم المروانيين المشتتين في مصر والشام ثم انقسموا إلى ثمان فرق أساسية بينها فرقة (بَرازي).

والبرازا في هذا العصر طائفة كُردية كبيرة... تسكن غالبيتها في سهل سروج، ومن مدنهم كوباني (عين العرب) وسروج وأورفا... وغيرها... ومن مشاهيرهم الشاعر الشعبي والمغني مشوبكه بورى... الذي نقل عنه روجيه ليسكو ملحمة ممي آلان وغيرها من القصص الشعبية.

الأعلى فهو كيا صالح الذي أحضره الأمير تيمور الكوركاني [تيمورلنگ] مع ثلاثة آلاف عائلة من الأراضي العثمانية ورحلهم إلى كُردستان، حيث أسكن قسماً منهم في هوباتو وقراتوره، وقسماً آخر في منطقة مَريوان، وقد وصل بعض من رجال هذه الطائفة إلى منصب نواب حكام كُردستان.

وقد برز منهم يعقوب بك الذي دخل معارك عديدة مع آزاد خان الأفغاني، إلى أن سنحت الفرصة لآزاد خان فتمكن من أسره وقتله.

ومن رجال هذه الطائفة محمد باقر بك الذي تحالف مع حسن علي خان حاكم كُردستان فدخلا حرباً ضروساً ضد كريم خان زند.

ولقد تفرقت هذه الطائفة وتشتت بمرور الدهور، حيث عاد بعضهم إلى الأراضي العثمانية وتوزع بعضهم في قرى كُردستان، ومن جملة الذين بقوا في كُردستان ناس سكنوا قرى (كبك) و(عباس جو) و(كاميشان) وهم فيها إلى الآن.

أما سبب تسميتهم بـ(بَراز) فالمعروف أن (براز) في اللغة الكُردية يعني الخنزير وبما أن رجال هذه الطائفة يقتحمون صفوف الأعداء كالخنازير دون أن يرتدوا على أعقابهم فقد سموا (بَراز).

ويحكى أنه أثناء رحلة صيد أتوا بخنزير حي إلى أمان الله خان الكبير حاكم كُردستان فحكم بقتله، وكان كدخدا جوانمرد وهو أحد رجال تلك الطائفة حاضراً فدفع للوالي مئة تومان على أن يهبه ذلك الخنزير قائلاً: إن بيننا وبينه نسباً فدع قتله! فما كان من الوالي إلا أن وهبه الخنزير المصاد.

طائفة طوس نوذر

سكنت هذه الطائفة منذ القديم كُردستان، وبرز فيها رجال عظام. لم يبق لهم الآن لاذكر ولا أثر.

طائفة القادرية

وهي الطائفة التي ينتمي إليها مؤلف هذا الكتاب، وهم ينتسبون إلى أحد

أجداد هذه الطائفة واسمه (قادر) وكانوا في الأصل من خانات همدان، فاختاروا الرحيل عن أوطانهم سنة ١١٢٠هـ = ١٧٠٨م وجاؤوا إلى سنندج. وقد ظهر من هذه الطائفة رجال مشهورون وأشخاص معتبرون محا الدهر آثارهم جميعاً، ومن الذين بقوا من هذه الطائفة وتمتعوا ببيادر علم العقلاء، ويعتبرهم الناس بسبب فطرتهم السليمة من علماء زمانهم هو أنا الحقير علي أكبر المؤرخ. وإنني أدوّن الحقيقة فأقول: إنني لاأستحق الذكر ولست جديراً به. ولكنني أشكر الله إذ دفعني من غيرتي لأدوّن مآثر أبناء وطني لكيلا تمحوها أقدام حوادث الدهر. وبذلك فقد خدمت قومي خدمة عظيمة (وأحييت العجم بهذه الفارسية).

وعلى أي حال، فإن أحد مشاهير هذه الطائفة هو جدي محمد آغا الذي تشرف عدة مرات بلقاء شاهنشاه إيران فتح علي القاجاري، الذي خلع عليه الخلع الفاخرة ومنحه امتيازات كثيرة، وكان حاضراً في معظم معارك خسرو خان الكبير وفتوحاته، وكان أخواه ابراهيم آغا واسماعيل آغا من جملة رجالات الولاية. ولقد حصل الإخوة الثلاثة على ترقيات عالية عظيمة.

وكانت لهم أخت هي (خورده خانم) تزوجت والي كُردستان أمان الله خان الكبير الذي أنجب منها حسين قُلي خان جد حسين قُلي خان الحالي المشهور بـ(خان خانان). ومن رجالات هذه الطائفة أيضاً والدي ميرزا عبدالله، الذي شهد له الأعداء والأصدقاء بتفوقه على جميع علماء عصره في فن الكتابة والإنشاء، ولو لم يكن والدي لأفضت في الكتابة عن فضائله وأدبه وأمانته ودينه. وقد توفي سنة ١٢٨١هـ = ١٨٦٤م عن ثلاثة وستين عاماً. تاركاً ثلاثة أبناء، بقي منهم اثنان على قيد الحياة أحدهما أنا والآخر ميرزا عبدالوهاب وهو شاب ذكي صادق. وللأخوين عدة أبناء وفقهم الله إلى الخير وأرشدهم إلى تخليد مآثر آبائهم وأجدادهم.

ومن مشاهير هذه الطائفة ابنة عم المؤلف (ماه شرف خانم) الملقبة بـ(مستوره) وهذه العفيفة جديرة بأن يذكرها مؤرخو العالم في صفحات تواريخهم، نظراً لما تتحلى به من فضل وأدب، ونظراً لشعرها وكتاباتها، ولها ما يقرب من عشرين ألف بيت شعر في الغزل غيره من القصائد. وقد توفيت

سنة ١٢٦٤هـ = ١٨٤٧م عن أربعة وأربعين عاماً. وكانت زوجة الوالي خسرو خان المشهور بلقب (ناكام).

وثمة طوائف أخرى في المدينة وسائر المناطق، لو كتبت عنها لطال الحديث وكبر حجم هذا الكتاب، وإن امتد بي الأجل إن شاء الله فإني سأكتب عنها في كتاب (تاريخ الكُرد).

إن مت فاقبلوا عذري فما أكثر الآمال التي صارت تراباً.

طائفة مشايخ كاني مشكان

الطائفة الأخرى التي يجب ذكرها، هي طائفة مشايخ كاني مشكان، وقد جاء الجد الأعلى لهذه الطائفة وهو الشيخ محمد من قرية (قسيران) وهي قرية من قرى الشام. وكان لدى مجيئه إلى كُردستان على هيئة الدراويش، فانزوى في قرية كاني مشكان، ومارس الرياضة الروحية إلى آخر حياته. وكان له ابن هو الشيخ شمس الدين من الرجال الكاملين والفاضلين، وحمل بعده اللواء المعنوي ابنه الشيخ محمد الذي خلفه ولده الشيخ شمس الدين الذي خلفه ولده الشيخ قاسم الذي خلفه ولده الشيخ أحمد الذي خلفه ولده الشيخ حسين الذي مازال باقياً على قيد الحياة حتى الآن وله من العمر مئة عام، ومع ذلك يتمتع بأعضاء وجوارح سليمة وقوية. وله عدة أبناء كلهم علماء أفاضل منهم الشيخ علي والشيخ أحمد رئيس المشايخ.

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين. والحمد لله رب العالمين.

تم بعون الله الفراغ من ترجمة هذا الكتاب في يوم الأحد الثاني من شهر مايو/ أيار من سنة ١٩٩٩ ميلادية الموافق للسابع عشر من شهر محرم الحرام من سنة ١٤٢٠ هجرية.

جان دوست

كوباني (عين العرب)

مراجع المحقق ومصادره

١ – المعجم المفهرس – محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة دار الكتب ١٩٨٥.
٢ – المنجد.
٣ – تاريخ أردلان – ماه شرف خانم (مستوره كُردستانى) به كوشش ناصر آزاد پور چاپخانه بهرامى. سنندج ١٩٦٤.
٤ – تاريخ مردوخ – آية الله شيخ محمد مردوخ كُردستاني. چاپخانه ارتش. تهران تاريخ چاپ ندارد.
٥ – ترجمه تفسير طبري. چاپ دوم. انتشارات طوس. تهران ١٣٥٦ شمسي.
٦ – جغرافياى غرب إيران – زاك دو مركان. ترجمة: دكتر كاظم وديعى چاپخانه شفق. تبريز ١٣٣٩ شمسي.
٧ – دايرة المعارف فارسى: غلا محسين مصاحب. چاپ أول.
٨ – دايرة المعارف عميد.
٩ – زبدة التواريخ سنندجى. موجود در دانشگاه كمبريج انگلستان كه فيلم آن به شماره ٥٧٦٩ در كتابخانه مركزى دانشكاه موجود است.
١٠ – شرح حال رجال ايران: مهدى بامداد. چاپ دوم. چاپخانه افست مروى تهران ١٣٥٧ شمسى.
١١ – شرف نامه: أمير شرفخان بدليسي. چاپ تهران به كوشش محمد عباس ١٣٤٣ شمسى.
١٢ – فرهنك عميد.
١٣ – فرهنك معين.
١٤ – قرآن كريم.
١٥ – كوردو كُردستان. محمد أمين زكى. چاپخانه دار السلام بغداد ١٩٣٢م.
١٦ – لب تواريخ (تاريخ بنى أردلان): خسرو بن محمد بن منوجهر أردلان چاپخانه زندگى. تهران ١٣٥٦ شمسى.

المراجع والمصادر المعتمدة في الترجمة

١ – آداب ورسوم كُردان. تأليف ملا محمود بايزيدي، ترجمة عزيز محمد بورداشبندي، مطبعة ميعاد – طهران ١٩٩١ باللغة الفارسية.
٢ – أسد الغابة في معرفة الصحابة. ابن الأثير الجزري – تحقيق محمد ابراهيم البنا، دار الشعب – مصر.
٣ – بدائع اللغة – قاموس. تأليف علي أكبر وقائع نكار – تحقيق محمد رؤوف توكلي – ترجمة جان دوست، ط١، ١٩٩٨.
٤ – تاريخ الفارقي – ابن الأزرق الفارقي. دار الفكر الحديث. بيروت ١٩٨٨.
٥ – تاريخ السليمانية – تأليف محمد أمين زكي – تعريب ملا جميل الروژبياني ١٩٥١.
٦ – تاريخ ابن خلدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٧ – جمهرة أنساب العرب – ابن حزم الأندلسي – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
٨ – جمهورية مهاباد الكُردية – ويليام ايگلتن الإبن – ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت ١٩٧٢.
٩ – دائرة المعارف الإسلامية.
١٠ – درة نادرة – الأستر آبادي – ترجمة حاتم محمد رشاد – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.
١١ – الشرفنامه – شرفخان البدليسي – ترجمة محمد علي عوني – دار إحياء الكتب العربية. مصر.
١٢ – صبح الأعشى في صناعة الإنشا – القلقشندي، وزارة الثقافة والارشاد القومي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
١٣ – صورة الأرض – ابن حوقل – مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩.
١٤ – علماؤنا في خدمة العلم والدين، عبد الكريم محمد المدرس، دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٨٣.
١٥ – قاموس الفارسية، د عبد النعيم محمد حسنين – دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط١، ١٩٨٢.
١٦ – كُردستان والكُرد – عبد الرحمن قاسملو – المؤسسة اللبنانية للنشر – بيروت، ط١، ١٩٧٠.

١٧ – الكُرد حسب المصادر العربية – آرشاك بولاديان. ترجمة د. خشادور قصباريان، وعبد الكريم أبا زيد.
١٨ – لقاء الأسلاف – الكُرد واللان في بلاد الباب وشيروان. جمال رشيد أحمد. منشورات رياض الريس، ط١ ،١٩٩٤.
١٩ – مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبو الحسن المسعودي. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، ط٣، ١٩٥٨.
٢٠ – المعجم الذهبي – قاموس فارسي عربي. د محمد آلتونجي. توزيع دار الروضة، لبنان، طبعة ١٩٩٣.
٢١ – معجم البلدان – ياقوت الحموي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٢٢ – المنجد في اللغة والأعلام.
٢٣ – مختصر كتاب البلدان. أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني الملقب بابن الفقيه – دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت ١٩٨٨.
٢٤ – ميديا. إ. م دياكونوف – ترجمة د. وهبية شوكت – دمشق؟
٢٥ – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – د. جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦.
٢٦ – معجم مصطلحات الصوفية – أنور فؤاد أبي خزام – مكتبة لبنان – بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٢٧ – الكامل في التاريخ – ابن الأثير الجزري.
٢٨ – الأخبار الطوال – أبو حنيفة الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.
٢٩ – نگاهی به تاریخ مهاباد – سید محمد صمدي – انتشارات رهرو – مهاباد ١٩٩٩ باللغة الفارسية.
٣٠ – الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل ايبك الصفدي – طبعة فرانز، فيسبادن ١٩٨٥.
٣١ – وفيات الأعيان – ابن خلكان، تحقيق د احسان عباس، منشورات دار صادر، لبنان.
٣٢ – هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، اسماعيل باشا البغدادي، استانبول ١٩٥١، أعادت دار احياء التراث العربي في لبنان طبعه بالأوفست.

ثبت المواضيع

مدخل 5
مقدمة الباحث م. رؤوف توكلي 15
المقدمة 27
الفصل الأول – إقليم ميديا 29
الفصل الثاني – سنندج 35
الفصل الثالث – بلدات كُردستان 45
الفصل الرابع– أنهار كُردستان 67
الفصل الخامس– جبال كُردستان 77
الفصل السادس– عشائر كُردستان 85
الفصل السابع–في تفصيل نسب أردلان الذي هو بداية سلسلة ولاة كُردستان 91
الفصل الثامن– حكام كُردستان غير المحليين 155
خاتمة الكتاب 211
الفصل التاسع– ملحقات الكتاب 213
مراجع المحقق ومصادره 231
المراجع والمصادر المعتمدة في الترجمة 233
ثبت المواضيع 237